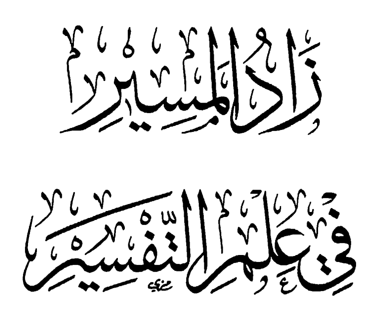

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World
زاد المسير في علم التفسير
تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
المجلد الثالث عشر
الواقعة - الحديد - المجادلة - الحشر
الممتحنة - الصف - الجمعة - المنافقون
التغابن - الطلاق - التحريم - الملك
القلم - الحاقة - المعارج - نوح
الجن - المزمل - المدثر - القيامة
الإنسان - المرسلات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
زاد المسير في علم التفسير
أوقاف
AWQAF
يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه



١٣

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا
شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26
تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856
الايميل: alshamiya.tr@gmail.com







زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثالث عشر

الواقعة - المرسلات

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

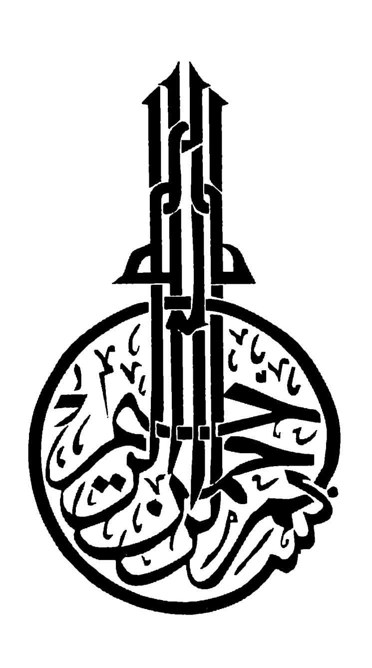
المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم

سُورةُ الوَاقِعةِ

وفِيها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها مكيَّة، قالَه الأكثرون؛ منهمُ ابْنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، وعطاءٌ، وعكْرمةُ، وقتادةُ، وجَابِرٌ، ومُقاتِلٌ[(١)].

وحُكي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ فيها آيةً مدنيَّةً، وهي قوْلُه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

والثَّاني: أنَّها مدنيَّةٌ، رَواه عطيَّة عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾[الواقعة: ١ - ١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾.

قالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: لَمَّا قالَ المشركونَ: متَى هذَا الوعْدُ، متَى هذَا الفتْحُ؟ نزَلَ قوْلُه: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾، فالمعْنَى: يكون إذَا وقعتْ.

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٢١٣).

قَالَ المفَسِّرونَ: والوَاقعَةُ: القِيامَةُ، وكُلُّ آتٍ يُتوقَّعُ، [يُقَال][1] لـه إذَا كانَ: قـدْ وقَـع، والمـرَادُ بهـا هَاهُنـا: النَّفخـةُ في الصُّـور لِقيامِ السَّـاعة. ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾؛ أي: لَمجيئِهَا وَظُهورِهَا ﴿كَاذِبَةٌ﴾؛ أي: كَـذِبٌ؛ كقوْلِـه: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾؛ [الغاشية: ١١] أي: لغـوًا.

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: و«كاذِبـةٌ»: مصْـدرٌ؛ كقوْلِـك: عافَـاهُ اللهُ عافِيـةً، وكَـذبَ كاذبـةً، فهـذِه[2] أسْـماءٌ في موْضِـعِ المصَـادرِ[3].

وفِي معْنى الكَلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لَا رجْعَةَ لهَا ولَا ارْتِدادَ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: ليْس الإخبارُ عنْ وقُوعِها كذبًا، حكاه الماوردِيُّ[4].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿خَافِضَةٌ﴾؛ أي: هـيَ خافِضـةٌ ﴿رَّافِعَةٌ﴾ وقـرَأ أَبـو رَزيـنٍ[5]، وأبـو عبْـدِ الرَّحمـنِ، وأبـو العَاليـةِ، والحسَـنُ، وابْـنُ أبي عبْلَـةَ، وأبـو حيْـوَةَ، واليَزيـدِيُّ في اخْتيـارِه: «خَافِضـةً رَافِعـةً» بالنَّصـب فيهـا[6].

---

(١) من (س).

(٢) في (س): فهي.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٠٧.

(٤) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٤٤٦.

(٥) في الأصل، و(ر): وأبو المتوكل، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) هي قراءة شاذة. ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥١، و"المحتسب" لابن جني ٢/ ٣٠٧، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي اليشكري ص٦٤٤.

وفي معْنَى الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها خفضَتْ فأسمَعَتِ القَريبَ، ورفعَتْ فأسْمعَتِ البَعِيدَ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١). وهذَا يدلُّ علَى أنَّ المرادَ بالوَاقعةِ: صَيحةُ الْقِيامةِ.

والثَّاني: أنَّها خفَضَتْ نَاسًا، ورَفَعَتْ آخَرينَ، رَواه عِكْرمةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

قَالَ المفَسِّرونَ: تخفِضُ أقْوَامًا إلى أسْفَلِ السَّافِلينَ في النَّار، وترْفَعُ أقْوامًا إلى علِّيينَ فِي الجنَّةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾؛ أي: حُرِّكتْ حركَةً شَدِيدةً وزُلزلت، وذلِك أنَّها ترتجُّ حتَّى يتهدَّم مَا عليها مِن بناءٍ، ويتَفَتَّتُ ما عليْهَا مِن جبَلٍ.

وفي ارْتِجاجِهَا قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه لإِماتةِ مَن عليْهَا مِنَ الأَحْياءِ.

والثَّاني: لإِخْراجِ مَن فِي بطْنِها مِنَ الموْتَى.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: فُتِّتَتْ فتًّا، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣)، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ.

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٩١، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ٧/ ٥١٤.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٩٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: فتِّت حتَّى صارَتْ كالدَّقِيق والسَّويقِ المبْسُوسِ[١].

والثَّاني: لُتَّتْ، قالَه قتادةُ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: خُلِطتْ وَلُتَّت، قالَ الشَّاعرُ [من الرجز]:

لَا تَخْبِزُوا خُبْزًا وَبُسَّا بَسَّا[٢]

[٧٦١/ب] وفي «الهبَاءِ» أقْوالٌ قدْ ذكرْنَاها في «الْفُرْقَان»، وذكرَ ابْنُ قُتيبةَ أنَّ الهبَاءَ المنْبثَّ: مَا سطَعَ مِن سَنابِك الخيْلِ، وهو مِن «الهَبْوة» والهَبْوة: الغُبارُ[٣]. والمعْنَى: كانت تُرابًا مُنْتشرًا.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: أصْنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وَفيهِم ثمانِيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهمُ الَّذين كانُوا على يمِينِ آدمَ حِين أُخرجتْ ذُرِّيتُه مِن صُلْبِه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهمُ الَّذين يُعطون كُتبَهُم بأَيْمانِهِم، قالَه الضَّحَّاكُ، والقُرظيُّ.

---

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة (ص: ٤٤٥).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٠٨، والبيت من مشطور الرجز، وبعده:

مَلْسا بِذَوْدِ الحَلَسِيِّ مَلْسا

أو: ولا تطيلا بمناخ حبسا

ينظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٢١، و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٤٨، و"تفسير الطبري" ٢٣/ ٩١، و"معجم ديوان الأدب" لإسحاق بن إبراهيم الفارابي ٣/ ١٢٤، و"الصحاح" للجوهري ٣/ ٩٠٨.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٣١٢.

والثَّالث: أنَّهُمُ [الَّذين][(١)] كانوا مَيامِينَ علَى أنْفُسِهِم؛ أي: مُباركين، قالَه الحسَنُ، والرَّبيعُ.

والرَّابع: أنَّهُمُ الَّذين أُخذوا مِن شقِّ آدمَ الأيمَنِ، قالَه زيدُ بْنُ أسْلمَ.

والخامِس: أنَّهُمُ الَّذين منْزلَتُهُم علَى اليَمِين، قالَه ميْمونُ بْنُ مِهرانَ.

والسَّادس: أنَّهمْ أهْلُ الجنَّةِ، قالَه السُّدِّيُّ.

والسَّابع: أنَّهم أصْحابُ المنْزلَةِ الرَّفِيعةِ، قالَه الزَّجَّاجُ[(٢)].

والثَّامن: أنَّهُمُ الَّذين يُؤخذ بِهِم ذَاتَ اليَمِين إلى الجنَّةِ، ذكَرَه عليُّ بْنُ أحْمدَ النَّيْسابُوريُّ[(٣)].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: عجَّبَ نبيَّه ﷺ منْهم؛ والمعْنَى: أيُّ شيءٍ هم؟[(٤)].

قالَ الزَّجَّاج: وهذَا اللَّفْظ في العربيَّة مجراه مجْرى التَّعجُّبِ، ومجْرَاه مِن اللهِ عزَّ وجلَّ في مخاطبَةِ العِباد ما يعْظُم بهِ الشَّأنُ عنْدَهم، ومثْلُه: ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢] ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٢][(٥)].

---

(١) من (س).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٠٩.

(٣) هو الواحدي: "البسيط" ٢١/ ٢١٧، "الوسيط" ٤/ ٢٣٢.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٢٢.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٠٨- ١٠٩.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ومثْلُه أنْ يقُولَ(١): زيْدٌ مَا زيْد؛ أي: أيُّ رجُلٍ هو(٢).

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ مَا أَصْحَابُ الشّمالِ(٣)، والعرَبُ تُسمِّي اليدَ اليُسْرى: الشُّؤمَى، والجانِبَ الأيْسرَ: الأَشْأم، ومِنه قيلَ: اليُمْنُ والشُّؤْم، فاليُمن: كأنَّه ما جاء عنِ اليمين، والشُّؤْم ما جاء عن الشِّمال، ومنه سُمِّيتِ «اليمن» و«الشَّأمُ»؛ لأنَّها عن يمين الكعْبة وشمالها.

قالَ المفَسِّرون: أصْحابُ الميمنة: همُ الَّذين يُؤخذ بهم ذاتُ اليمين، ويُعطون كُتبَهُم بأَيْمانِهم؛ وتفْسِير أصْحاب المشْأمَةِ على ضدِّ [تفسير](٤) أصْحَاب الميمنة سواء؛ والمعْنَى: أي قومٍ [هُم](٥)؟ ماذا أُعِدَّ لهم مِنَ العذاب؟.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فيهم خمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهمُ السَّابقونَ إلى الإيمان من كلِّ أُمَّةٍ، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنَّهمُ الَّذِين صلَّوا إلى القِبْلَتين، قالَه ابْنُ سِيرينَ.

والثَّالث: أهْلُ القرْآن، قالَه كعْبٌ.

والرَّابع: الأنْبياءُ، قالَه مُحمَّدُ بْنُ كعْبٍ.

والخامِس: السَّابِقون إلى المسَاجِد وإلى الخُروجِ في سَبيلِ الله، قالَه عُثمانُ

---

(١) في (س): تقول.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٤٥- ٤٤٦.

(٣) في (س): ما أصحاب المشأمة.

(٤) من (س).

(٥) من (س).

ابْـنُ أبي سـوْدةَ.

وفِي إعَادَةِ ذكْرِهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ ذلِك للتَّوْكيد.

والثَّـاني: أنَّ المعْنـى: السَّـابِقون إلى طاعـةِ الله هـمُ السَّـابِقون إلى رحْمَـة اللهِ، ذكرَهُمـا الزَّجَّـاجُ[1].

قوْلـه تعَـالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ قـالَ أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقِيُّ: يعْنِـي عنْـدَ اللهِ في ظِـلِّ عرْشِـه وجِـوارِه.

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾[الواقعـة: ١٣ - ٢٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ **الثُّلَّةُ:** الجَماعةُ غيْرُ محْصُورةِ العدَدِ.

وفي «الأوَّلِينَ» و«الآخِرينَ» هَاهُنا ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّ «الأوَّلـينَ»: الَّذيـنَ كانُـوا مِـن [زمَـنِ][2] آدَمَ إلى زمـنِ[3] نبيِّنَـا ﷺ، و«الآخِريـنَ»: هـذِه الأمَّـة.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٠٩.

(٢) من (س).

(٣) في (ر): زمان.

والثَّاني: أنَّ «الأوَّلين»: أصْحابُ رسُول الله ﷺ، و«الآخرينَ»: التَّابِعُون.

والثَّالث: أنَّ «الأوَّلِين» و«الآخرين»: مِن أصْحاب نبيِّنَا [محمَّدٍ][1] ﷺ.

فعلى الأوَّل يكون المعْنَى: أنَّ الأوَّلِين السَّابِقين[2]: جماعةٌ مِنَ الأمم المتقدِّمَة الَّذين سبقُوا بالتَّصْديق لأنْبيائهِم مَن جاءَ بعْدَهم مُؤمنًا، وقليلٌ مِن أُمَّةِ محُمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّ الَّذين عايَنُوا الأنْبياء أجمعين وصدَّقُوا بهم أكْثرُ ممَّن عايَنَ نبيَّنَا ﷺ وصدَّق به.

وعلى الثَّاني: أنَّ السَّابقينَ: جماعةٌ مِن أصْحابِ رسُولِ الله ﷺ، وهمُ الأوَّلُون مِن المهاجرينَ والأنْصارِ، وقليلٌ مِن التَّابِعين وهمُ الَّذِين اتَّبَعوهُم بإحْسانٍ. [٧٦٢/أ]

وعلى الثَّالثِ: أنَّ السَّابقينَ[3]: الأوَّلونَ مِن المهاجرينَ والأنْصار، وقليلٌ ممَّن جاءَ بعْدَهم لِعجْزِ المتأخِّرينَ أنْ يلْحقُوا الأوَّلين، فقليلٌ منْهُم مَن يُقاربهم في السَّبق.

وأمَّا «الموْضُونة»: فقَال ابنُ قتيبةَ: هيَ المنْسُوجةُ، كأنَّ بعْضَها أُدخل في بعْضٍ، أو نُضِّدَ بعْضُها على بعْضٍ، ومنْهُ قِيل للدِّرع: موْضونة، ومنْهُ قِيل: وضِينُ النَّاقةِ، وهو بِطانٌ مِن سُيورٍ يدْخُل بعْضُه في بعْضٍ[4].

---

(١) من (س).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ر): السابقون.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٤٦.

قَالَ الفَرَّاءُ: سَمِعْتُ بعْضَ العرَبِ يقولُ: الآجرُّ موضونٌ بعْضُه علَى بعْضٍ، أي: مُشرَجٌ(١).

وللمُفسِّرينَ في معْنى «موْضُونة» قوْلَانِ:

أحدُهما: مزمُولةٌ بالذَّهب، رواه مُجاهدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢). وقالَ عِكرمَةُ: مُشبَّكةٌ بالدُّرِّ والياقوتِ(٣). وهذا معْنى ما ذكرْناه عنِ ابْنِ قُتيبةَ، وبهِ قالَ الأكْثرُونَ.

والثَّاني: مصْفُوفةٌ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤).

وما بعْدَ هذَا قدْ تقدَّم بيَانُه إلى قوْلِه: ﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾.

الولْدَان: الغلمان. وقالَ الحسَنُ البصريُّ: هؤلاءِ أطْفالٌ لم يكُنْ لهم حَسناتٌ فيُجْزونَ بها، ولا سَيِّئاتٌ فيُعاقبُون عليْهَا، فوضِعُوا بهذا الموضِعِ(٥).

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٩٩، والبيهقي في "البعث والنشور" (٢٩٤، ٣٠٢)، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ٨ عزوه إلى سعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٩٩.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة به، والبيهقي في البعث والنشور (٣٤٧) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٥٥) إلى ابن المنذر.

(٥) أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" ٨/ ٩.

وفي المخلَّدينَ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه مِنَ الخُلْد؛ **والمعْنَى**: أنَّهم مخْلُوقونَ للبقَاءِ لا يتغَيَّرُون، وهمْ علَى سِنٍّ واحِدٍ.

قالَ الفرَّاء: والعرَبُ تقُول للإنْسان إذا كبُر ولم يشْمَطْ: أو لم تذْهَبْ أسْنانُه عنِ الكبرِ: إنَّه لُمخلَّدٌ[(١)(٢)]. هذا قوْلُ الجمهور.

والثَّاني: أنَّهم المُقرّطُون، ويُقال: المُسوَّرونَ، ذكرَه الفرَّاءُ، وابْنُ قُتيبةَ[(٣)]، وأنْشَدُوا في ذلِك [من الكامل]:

وَمُخَلَّداتٍ باللُّجَيْنِ كَأَنَّما أَعْجازُهُنَّ أَقاوِزُ الْكُثْبانِ[(٤)]

قوْلُه تعَالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الكوبُ: إناءٌ لا عُروة له ولا خُرْطُوم، وقد ذكرْناه في الزُّخرف [آية: ٧٢]. **والأبَاريقُ**: آنِيةٌ لها عُرًى وخَراطِيمُ.

وقرأْتُ على شيْخِنا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ[(٥)] قالَ: الإبْريقُ: فارسيٌّ مُعرَّبٌ، وترجمتُه مِنَ الفارسيَّة أحَدُ شيْئَيْنِ؛ إمَّا أن [يكونَ][(٦)]: طَريق الماءِ،

---

(١) في (ر): إنهم المخلدون.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٢٢- ١٢٣.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٢٣، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٤٧.

(٤) البيت من الكامل التام، وهو بلا نسبة في: "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٤٧، و"تفسير الطبري" ٢٤/ ١١٠، و"الاشتقاق" لابن دريد ١٦٣، وفي "معجم ديوان الأدب" للفارابي قال: وأنشد الكَلْبيُّ لرجل من أهل اليمن.

(٥) هو الجواليقي، وكلامه هذا في "المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم" ص١٨.

(٦) من (ر).

أوْ: صبّ الماءِ على هينَتِهِ، وقد تكلَّمتْ بهِ العرَبُ قديمًا، قالَ عدِيُّ بْنُ زيْدٍ [من الخفيف]:

وَدَعا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِها إِبْرِيقُ[١]

وباقي الآيات في الصَّافات [آية: ٤٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لا يلْحَقُهم الصُّداعُ الذي يلْحَقُ شَاربي خمرِ الدُّنْيا. و«عنْهَا» كِنَايةٌ عنِ الكأْسِ المذْكُور، والمرَادُ بها: الخمْرُ، وهذَا قوْلُ الجمهورِ.

والثَّاني: لا يتفرَّقُون عنْهَا، مِن قوْلِك: صدعْتُه فانْصَدعَ، حكاه ابْنُ قُتيبةَ[٢].

قوْلُه: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ مُفسَّرٌ في الصَّافات [آية: ٤٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾؛ أي: يختارُون، تقُول: قد[٣] تخيرتُ الشَّيءَ: إذا أخذْتَ خيْرَه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يخْطرُ على قلْبِه الطَّيرُ، فيَصِيرُ ممثلًا بيْنَ يدَيْهِ علَى ما يشتهي[٤][٥].

---

(١) البيت من الخفيف التام، ونسبه لعدي بن زيد: أبو الفرج الأصبهاني في "الأغاني" ٦/ ٨٥، والتنوخي في "الفرج بعد الشدة" ٤/ ٢٨٨، والمعافى بن زكريا النهرواني في "الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي" ص٥٩٨.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٤٧.

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ر)، و(س): اشتهى.

(٥) ذكره الواحدي في "البسيط" ٢١/ ٢٢٣، والبغوي في "تفسيره" ٥/ ٧.

وقالَ مُغِيث بْنُ سُمي: تقع(١) على أغْصانِ شجَرةِ طُوبى طَيْرٌ كأمْثَال البُخْت، فإذَا اشْتَهى الرَّجُل طيرًا دعَاه، فيَجِيء حتَّى يقَعَ على خِوَانه، فيأكُلُ مِن أحَدِ جَانِبَيْهِ قَدِيدًا والآخر شِواءً، ثُمَّ يعُود طيْرًا فيَطِير فيذْهَبُ(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وحور عين» بالرفع فيهما(٣).

وقرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالخفض [٧٦٢/ ب] فيهما(٤).

وقرأ أُبيُّ بن كعب، وعائشة، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «وحورًا عينًا» بالنصب فيهما(٥).

قال الزَّجَّاج: والذين رفعوا كرهوا الخفض؛ لأنَّه معطوف على قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، قال(٦): والحور ليس مما يطاف به، ولكنه مخفوض

(١) في (س): يقع.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٦/ ٤٣٨- ٤٣٩.

(٣) في (ر): فيهم.

(٤) كلتا القراءتين سبعية متواترة. ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٢، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٥٥.

(٥) هي قراءة شاذة. ينظر: "الكتاب" لسيبويه ١/ ٩٥، و"معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٢٤، و"إعراب القرآن" للنحاس ٤/ ٢١٨، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ١٥١، و"المحتسب" لابن جني ٢/ ٧٨، ٣٠٩.

(٦) في (ر)، و(س): قالوا.

على غير ما ذهب إليه هؤلاء؛ لأنَّ المعنى: يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بها، وكذلك ينعمون بلحم طير، فكذلك ينعمون بحور عين، والرفع أحسن.

والمعنى: ولهم حور عين؛ ومن قرأ: «وحورًا عينًا» حمله على المعنى؛ لأنَّ المعنى: يُعطون هذه الأشياء ويُعطون حورًا عينًا، إلا أنها تخالف المصحف فتكره[1].

ومعنى ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ﴾؛ أي: صفاؤُهن وتلألؤهن كصفاء اللؤلؤ وتلألئه.

والمكنون: الذي لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال، فهن كاللؤلؤ حين يخرج من صدفه.

﴿جَزَآءً﴾: منصوب مفعول له؛ **والمعنى**: يفعل بهم ذلك جزاء بأعمالهم، ويجوز أن يكون منصوبًا على أنه مصدر؛ لأن معنى «يطوف عليهم ولدان مخلدون»: يجازون جزاء بأعمالهم؛ وأكثر النحويين على هذا الوجه.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قد فسرنا معنى اللغو والسلام في سورة مرْيمَ ومعنى التأثيم في الطُّورِ، ومعنى ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ في أول هذه السورة [الواقعة: ٩].

فإن قيل: التأثيم لا يسمع فكيف ذكره مع المسموع؟

فالجواب: أنَّ العرب يتبعون آخر الكلام أوّله، وإن لم يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر، فيقولون: أكلت خبزًا ولبنًا، واللبن لا يؤكل،

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١١.



إنما حسن هذا؛ لأنه كان مع ما يؤكل، قال الفرَّاء: أنشدني بعض العرب [من الوافر]:

إِذا مَا الْغانِياتُ بَرَزْنَ يَوْمًا ... وَزَجَّجْنَ الْحَواجِبَ وَالْعُيُونَا(١)

قال: والعين لا تزجج إنما تكحل، فردها على الحاجب؛ لأنَّ المعنى يعرف، وأنشدني آخر [من مجزوء الكامل]:

وَلَقِيتُ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى ... مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا(٢)

وأنشدني [آخر](٣) [من الرجز]:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَماءً بارِدًا(٤)

---

(١) البيت من الوافر التام، قال العيني في "المقاصد النحوية" ٣/ ١٠٧٤، ٤/ ١٦٥٦: قائله هو الراعي، واسمه عبيد. والذي في "ديوان الراعي النميري" ص٢٦٩:

وَهِزَّةِ نِسْوَةٍ مِنْ حَيِّ صِدْقٍ ... يُزَجِّجْنَ الْحَوَاجِبَ والْعُيُونا

وهو دون نسبة في: "شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات" لأبي بكر الأنباري ص١٤٨، و"تهذيب اللغة" للأزهري ١٠/ ٢٤٤، و"غريب الحديث" للخطابي ١/ ٣٣٠، و"الخصائص" لابن جني ٢/ ٤٣٤.

(٢) البيت من الكامل المجزوء، وهو دون نسبة في: "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي بكر الأنباري ١/ ٥٢، و"غريب الحديث" للخطابي ١/ ٣٣٠، وغيرهما.

وقد نسبه لعبد الله بن الزبعري: أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي في "إيضاح شواهد الإيضاح" ١/ ٢٤٥، وفيه الشطر الأول:

ياليتَ زوجكِ قدْ غدا *** ....

(٣) من (س).

(٤) هذا صدر بيت من الرجز التام، وعجزه: حتَّى شَتَتْ همَّالةً عَيْناها. قال الفراء في "معاني القرآن" ١/ ١٤: وأنشدني بعض بني أسد يصف فرسه. وفي ٣/ ١٢٤: وأنشدني=

والماء لا يعلف وإنما يشرب، فجعله تابعًا للتبن[١].

قال الفرَّاء: وهذا هو وجه قراءة من قرأ: «وحور عين» بالخفض، لإتباع آخر الكلام أوله، وهو وجه العربية[٢].

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٤٠].

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ في قوله: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [الواقعة: ٩]، وقد روي عن عليٍّ ﷺ أنَّه قال: أصحاب اليمين: أطفال المؤمنين[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾.

سببُ نزولها: أنَّ المسلمين نظروا إلى وجٍّ، وهو وادٍ بالطائف مخصب. فأعجبهم سدرة، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا؟ فنزلت هذه الآية، قاله

=بعض بني دبير. ثم ذكره بتمامه في الموضعين. وقال العيني في "المقاصد النحوية" ٣/ ١٠٨١: هذا رجز مشهور بين القوم، ولم أر أحدًا عزاه إلى راجزه. وهو دون نسبة في: "شرح كتاب سيبويه" لأبي سعيد السيرافي ١/ ٧٠، و"كتاب الشعر" لأبي علي الفارسي ص٥٣٣، و"الخصائص" لابن جني ٢/ ٤٣٣.

(١) في (ر): للبن.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٢٣- ١٢٤.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٠٩.

أبـو العاليـة، والضَّحَّـاك[١].

وفي المخضود ثلاثة أقوال:

أحدهـا: أنـه الـذي لا شـوك فيـه، رواه أبـو طلحـة عـن ابـن عبـاس، وبـه قـال عكرمـة، وقسـامة بـن زهير.

قـال ابـن قتيبـة: كأنـه خضـد شـوكه؛ أي: قطـع[٢]، ومنـه قـول النبـي ﷺ في المدينـة: «**لَا يُخْضَـدُ شَـوْكُها**»[٣].

والثـاني: أَنَّـه الْمُوقَّـرُ حَمْـلًا، رواه العـوفي عـن ابـن عبـاس[٤]، وبـه قـال مجاهـد، والضَّحَّـاك.

والثالث: أَنَّه الْمُوقَّرُ الَّذِي لاشَوْكَ فيه، ذكره قتادة.

وفي الطَّلح قولان:

أحدهمـا: أَنَّـه المـوز، قالـه عـلي، وابـن عبـاس، وأبـو هريـرة، وأبـو سـعيد الخـدري، والحسـن، وعطـاء، وعكرمـة، ومجاهـد، وقتـادة.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٢٠٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٢٢).

(٢) في (س): قلع.

(٣) ذكـره بهـذا اللفـظِ ابـنُ قتيبـة في "غريـب الحديـث" ١/ ٣٩٣، وهـو في صحيـح البخـاري" (٤٣١٣) مـن حديـث مجاهـد مرسـلًا بلفـظ: وَلا يُعْضَـدُ شَـوْكُهَا. قـال الحافـظ في "فتـح البـاري" ٤/ ٤٤: وَوَقَـعَ فِي رِوَايَـةٍ لِعُمَـرَ بْـنِ شَـبَّةَ بِلَفْـظِ: لَا يُخْضَـدُ. بِالْخَـاءِ الْمُعْجَمَـةِ بَـدَلَ الْعَـيْنِ الْمُهْمَلَـةِ، وَهُـوَ رَاجِـعٌ إِلَى مَعْنَـاهُ فَـإِنَّ أَصْـلَ الْخَضْـدِ الْكَسْرُ وَيُسْـتَعْمَلُ فِي الْقَطْـعِ.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١١)، وانظر: تفسير مجاهد (ص: ٦٤١).

والثَّاني: أنَّه شجر عظام كثير(١) الشَّوك. [٧٦٣/أ]

قال أبو عبيدة: هذا هو الطَّلح عند العرب، قال الحادي [من مشطور الرجز]:

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَا
غَدًا تَرَيْنَ الطَّلْحَ وَالْجِبَالَا(٢)

فإن قيل: ما الفائدة في الطَّلح؟

فالجواب: أن له نورًا وريحًا طيبة، فقد وعدهم ما يعرفون ويميلون إليه، وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا.

وقال مجاهد: كانوا يعجبون بـ «وَج» وظلاله من طلحه وسدره(٣).

فأمَّا المنضود: فقال ابن قتيبة: هو الذي قد نضد بالحمل أو بالورق، والحمل من أوله إلى آخره، فليس له ساق بارزة. وقال مسروق: شجر الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها(٤).

---

(١) في (س): كبار.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٠، وهذان بيتان من الرجز المشطور، قال الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٠٦: قال بعض الحداة.

(٣) "تفسير مجاهد" ص٦٤٢، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١١٣، ١١٤، والبيهقي في "البعث والنشور" (٢٦٦)، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ١٢ عزوه إلى عبد بن حميد.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة في ص٤٤٨، وقول مسروق لم أقف عليه عند غيره.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾؛ أي: دائم لا تنسخه الشمس.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾؛ أي: جار غير منقطع.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: لا مقطوعة في حين دون حين، ولا ممنوعة بالحيطان والنواطير، إنما هي مطلقة لمن أرادها، هذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة.

ولخصه بعضهم فقال: لا مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان.

والثَّاني: لا تنقطع إذا جنيت، ولا تمنع من أحد إذا أريدت، روي عن ابن عباس.

والثَّالث: لا مقطوعة بالفناء، ولا ممنوعة بالفساد، ذكره الماوردي[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ **فيها قولان:**

أحدهما: أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم.

وفي رفعها قولان:

أحدهما: أنها مرفوعة فوق السرر.

والثاني: أن رفعها: زيادة حشوها ليطيب الاستمتاع بها.

والثاني: أنَّ المراد [بالفراش][2]: النساء؛ والعرب تسمي المرأة: فراشًا وإزارًا ولباسًا.

---

(١) النكت والعيون (٥/ ٤٥٤).

(٢) في الأصل: بالفرش، والمثبت من (ر)، و(س).

وفي معنى رفعهن ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهن رفعن بالجمال على نساء أهل الدنيا.

والثاني: رفعن عن الأدناس.

والثالث: في [القلوب][(١)] لشدة الميل إليهن.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ يعني النساء.

قال ابن قتيبة: اكتفى بذكر الفرش؛ لأنها محل النساء عن ذكرهن[(٢)].

وفي المشار إليهن قولان:

أحدهما: أنَّهن نساء أهل الدنيا المؤمنات.

ثم في إنشائهن قولان:

أحدهما: أنَّه إنشاؤهن من القبور، قاله ابن عباس.

والثاني: إعادتهن بعد الشمط والكبر أبكارًا صغارًا، قاله الضَّحَّاك.

والثَّاني: أنَّهن الحورُ العين، وإنشاؤهن: إيجادهن عن غير ولادة، قاله الزَّجَّاجُ[(٣)].

والصواب أن يقال: إن الإنشاء عمهن كلهن، فالحور أنشئن ابتداء، والمؤمنات أنشئن بالإعادة وتغيير الصفات؛ وقد روى أنس بن مالك عن

---

(١) في الأصل: القلب، والمثبت من (ر)، و(س).

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٤٩.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٢.

النبي ﷺ أنَّه قال: «إِنَّ مِنَ الْمُنْشَآتِ اللَّاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيا عَجَائِزَ عُمْشًا رُمْصًا»[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾؛ أي: عذارى. وقال ابن عباس: لا يأتيها زوجُها إلا وجدها بكرًا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ عُرُبًا ﴾ قرأ الجمهور: بضم الرَّاء. وقرأ حمزة، وخلف: بإسكان الراء[٣]؛ قال ابن جرير: هي لغة تميم وبكْرٍ[٤].

وللمفسرين في معنى «عربًا» خمسة أقوال:

أحدها: أنَّهن المتحبّبات إلى أزواجهنَّ، رَواه العوفي عن ابن عباس[٥]،

---

(١) أخرجه الترمذي في "سننه" (٣٢٩٦)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١١٩، وابن أبي حاتم في "تفسيره" ١٠/ ٣٣٣١، وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (٢٨٤)، وأبو نعيم في "صفة الجنة" ٢/ ٢٢١- ٢٢٢ (٣٩٠)، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢١١، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٠- ١١، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

وضعفه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٣٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٢٠ بنحوه.

(٣) قراءة متواترة، ينظر: "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري ٢/ ٢١٦، ٣٨٣، "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" للدمياطي ص٥٣٠.

(٤) "تفسير الطبري" ٢٣/ ١٢٤.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٢١) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٥٨) إلى ابن جرير.

وبه قال سعيد بن جبير، وابن قتيبة[١]، والزَّجاج[٢].

والثَّاني: أنَّهن العواشق، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٣]، وبه قال الحسن، وقتادة، ومقاتل[٤]، والمبرد؛ وعن مجاهد كالقولين.

والثالث: الحسنة التبعل -التَّزينُ للزَّوْج- رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة[٥].

والرَّابع: الغنجات، قاله عكرمة.

والخامس: الحسنة الكلام، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

فأمَّا الأتراب فقد ذكرناهن في "ص". [٧٦٣/ ب]

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ هذا من نعت أصحاب اليمين. وفي الأولين والآخرين خلافٌ، وقد سبق شرْحُه، وقد زعم مقاتل[٦] أنه لما نزلت الآية الأولى، وهي قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ وجد المؤمنون من ذلك وجدًا شديدًا حتى أنزلت: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾

---

(١) غريب القرآن (ص: ٤٤٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١١٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢١) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس، وأخرجه البيهقي في البعث (٣٧٧) من طريق أبي صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٥٨) إلى ابن المنذر.

(٤) تفسير مقاتل (٤/ ٢١٦).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٥١).

(٦) تفسير مقاتل (٤/ ٢١٦).

فنسختها(١). وروي عن عروة بن رويم نحو هذا المعنى(٢).

قلت: وادِّعاء النسخ هاهنا لا وجهَ له **لثلاثة أوجه**:

أحدها: أنَّ علماء الناسخ والمنسوخ لم يوافقوا على هذا.

والثَّاني: أنَّ الكلام في الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، فهو ها هنا لا وجه له.

والثَّالث: أنَّ الثلة بمعنى الفرقة والفئة.

قال الزَّجَّاج: اشتقاقها من القطعة، والثل: الكسر والقطع. فعلى هذا قد يجوز أن تكون الثلة في معنى القليل(٣).

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٥٦].

---

(١) ذكره أبو القاسم هبة الله بن سلامة في "الناسخ والمنسوخ" ص١٧٢، وابن حزم في "الناسخ والمنسوخ" ص٥٩، والسخاوي في "جمال القراء" ٢/ ٨٥٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ١٤/ ١٨١، والبغوي في "تفسيره" ٥/ ١٣.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٠٩.

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ قد بيَّنَّا أنه بمعنى التعجب من حالهم؛ **والمعنى**: ما لهم، وما أعد لهم من الشر؟ ثم بين [لهم][1] سوء منقلبهم؛ فقال: ﴿فِي سَمُومٍ﴾، قال ابن قتيبة: [هو][2] حرُّ النار[3].

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحۡمُومٍ﴾ قال ابن عباس: ظل من دخان[4].

قال الفرَّاء: اليحموم: الدُّخان الأسود[5].

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ فوجه الكلام الخفض تبعًا لما قبله، ومثله: ﴿زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وكذلك قوله: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٍ وَلَا مَمۡنُوعَةٍ﴾، ولو رفعت ما بعد «لَا» كان صوابًا، والعرب تجعل الكريم تابعًا لكلِّ شيءٍ نفت عنه فعلًا ينوي به الذم، فتقول: ما هذه الدار بواسعة ولا كريمة، وما هذا بسمين ولا كريم.

قال ابنُ عباس: لا بارد المدخل ولا كريم المنظر[6].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في الدنيا ﴿مُتۡرَفِينَ﴾؛ أي: متنعمين في ترك أمْرِ الله، فشغلهم ترفهم عن الاعتبار والتعبد.

---

(١) من (س).

(٢) من (ر)، و(س).

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٤٩.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٢٩، ١٣٠، والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ٨/ ٢٠.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٢٦.

(٦) ذكره الواحدي في "البسيط" ٢١/ ٢٤١، و"الوسيط" ٤/ ٢٣٦،.



﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾؛ أي: يقيمون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه الشرك، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، وابن زيد.

والثاني: الذَّنب العظيم الذي لا يتوبون منه، قاله مجاهد، وعن قتادة كالقولين.

والثَّالث: أنَّه اليمين الغموس، قاله الشَّعبي.

والرابع: الشرك والكفر بالبعث، قاله الزجاج[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

قال أبو عبيدة: الواو متحركةٌ؛ لأنها ليست بواو «أو» إنما هي «وآباؤنا»، فدخلت عليها ألف الاستفهام فتركت مفتوحةً[٢].

وقرأ أهل المدينة، وابن عامر: «أو آباؤنا» بإسْكان الواو[٣].

وقد سبق بيانُ ما لم يذكر ها هنا [هود ١٠٣، الصافات ٦٢، الأنعام ٧٠] إلى قوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قرأ أهل المدينة، وعاصم، وحمزة: «شرب» بضم الشين؛ والباقون بفتحها[٤].

قال الفرَّاء: والعرب تقول: شربته شربًا، وأكثر أهل نجد يقولون:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١١٣).

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥١.

(٣) قراءة سبعية متواترة قرأ بها أيضًا نافع. ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ١/ ٤١٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٦٠٨.

(٤) كلتا القراءتين متواترة؛ قرأ بالضم: نافع وحمزة وعاصم، وقرأ بالفتح: ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر والكسائي. ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٣.

شربًا بالفتح، أنشدني عامتهم [من البسيط]:

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا ... مِنَ الشِّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبَهُ الْغُمَرُ[١]

وزعم الكسائي أنَّ قومًا من بني سعد بن تميم يقولون: «شِرب الهيم» بالكسر.

وقال الزَّجَّاج: «الشرب» المصدر، و«الشرب» بالضم: الاسم، قال: وقد قيل: إنَّه مصدر أيضًا[٢].

وفي «الهيم» قولان:

أحدهما: الإبل العِطاش، رواه ابن أبي طلحة والعوفي عن ابن عبَّاس[٣]، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، والضحاك، وقتادة.

قال ابْنُ قُتيبة: هي الإبل يصيبها داءٌ فلا تروى من الماء، يقال: بَعيرٌ أهيم، وناقةٌ هيماء[٤].

والثَّاني: أنها الأرض الرملة التي لا تروى من الماء، وهو مرويٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضا. [٧٦٤/أ]

(١) البيت من البسيط التام، وهو في "كتاب فيه لغات القرآن" للفراء ص١٣٧، وقائله هو أعشى باهلة يرثي أخاه المنتشرَ بن وهبٍ الباهليَّ كما في: "الكامل" للمبرد ١/ ٢٩٢، و"الأمالي" لليزيدي ص١٨، و"الصحاح" للجوهري ٢/ ٧٧٢.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٣.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٣٥، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢١.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٠.

قال أبو عبيدة: الهيم: ما لا يروى من رمل أو بعير[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾؛ أي: رزقهم. [ورواه عياش][(٢)] عن أبي عمرو: «نزلهم» بسكون الزاي[(٣)]؛ أي: رزقهم [وطعامهم][(٤)].

و فى «الدين» قوْلَانِ، قد ذكرناهما فى «الفاتحة».

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[الواقعة: ٥٧ - ٦٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾؛ أي: أوجدناكم ولم تكونوا شيئًا، وأنتم تقرون بهذا ﴿فَلَوْلَا﴾؛ أي: فهلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث؟

ثم احتجَّ على بعثهم بالقدرة على ابتدائهم، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ قال الزجاج: أي: ما يكون منكم من المني، يقال: أمنى الرجل يمني، ومنى يمني، فيجوز على هذا «تمنون» بفتح التاء إن ثبتت به رواية[(٥)].

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥١.

(٢) في الأصل: وروى ابن عبَّاس، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) هي قراءة متواترة، ورواها عن أبي عمرو بالضم كبقية القراء السبعةِ اليزيديُّ، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٥٢.

(٤) من (ر).

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٣.

قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾؛ أي: تخلقون ما تمنون بشرًا؟

وفيه تنبيه على شيئين:

أحدهما: الامتنان، إذ خلق من الماء المهين بشرًا سويًا.

والثاني: أن من قدر على خلق ما شاهدتموه من أصل وجودكم كان أقدر على خلق ما غاب عنكم من إعادتكم.

قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ وقرأ ابن كثير: «قدرنا» بتخفيف الدال[1].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: قضينا عليكم بالموت.

والثَّاني: سوينا بينكم في الموت.

قوله: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ﴾ قال الزجاج: المعنى: إن أردنا أن نخلق خلقًا غيركم لم يسبقنا سابق، ولا يفوتنا ذلك[2].

وقال ابن قتيبة: لسنا مغلوبين على أن نستبدل بكم أمثالكم[3].

---

(١) قراءة سبعية، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٣٦٧، ٦٢٣، و"الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه ص٣٤١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٥١، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٦٩٦.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٤.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٠.

قوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **وفيه أربعة أقوال:**

أحدها: نبدل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، قاله الحسن.

والثاني: ننشئكم في حواصل طير سودٍ، تكون بـ«بَرَهوت»(١) كأنَّها الخطاطيف(٢)، قاله سعيد بن المسيب.

والثالث: نخلقكم في أي خلقٍ شئنا، قاله مجاهد.

والرابع: نخلقكم في سوى خلقكم، قاله السدي.

قال مقاتل: نخلقكم سوى خلقكم في ما لا تعلمون من الصور(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ وهي ابتداء خلقكم من نطفة وعلقة ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: فهلا تعتبرون فتعلموا قدرة الله فتقروا بالبعث.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٧٤].

---

(١) في حاشية (س): بَرَهوت: اسم موضع باليمَن، فيه أرواحُ الكُفّار.

(٢) قال ابن سيده: الخُطّافُ العصفور الأسود، وهو الّذي تدعوه العامة عصفور الجنّة، وجمعه خطاطِيفُ. انظر: لسان العرب؛ لابن منظور (خطف).

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٢٢، وذكره الواحدي في "البسيط" ٢١/ ٢٤٨.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾؛ أي: ما تعملون في الأرض من إثارتها، وإلقاء البذور فيها، ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾؛ أي: تُنبتونه؟ وقد نبَّه هذا الكلامُ على أشياء منها: إحْياء الموتى، ومنها: الامتنان بإخراج القوت، ومنها: القدرة العظيمة الدَّالَّة على التوحيد.

قوْلُه تعالى: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ﴾ يعني: الزرع ﴿حُطَٰمًا﴾ قال عطاء: تبنًا لا قمح فيه[١].

وقال الزَّجَّاج: أبطلناه حتى يكون متحطمًا لا حنطة فيه، ولا شيء[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ وقرأ الشعبي، وأبو العالية، وابن أبي عبلة: «فظلتم» بكسر الظاء[٣]؛ وقد بيناه في قوله: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧].

قوْلُه تعالى: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السميفع، والقاسم بن محمد، وعروة: «تفكنون» بالنون[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في "البسيط" ٢١/ ٢٤٩، و"الوسيط" ٤/ ٢٣٧، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٧.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٤.

(٣) قراءة شاذة، قرأ بها أيضا عبد الله بن مسعود، ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٧/ ٢١٩، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص٥٩٩، وقد رويت عن عاصم. ينظر: " جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ٤/ ١٦٢٧.

(٤) قراءة شاذة، قرأ بها أيضا: أبو حرام العكلي. ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٢، و"الدر المصون" للسمين الحلبي ١٠/ ٢١٧.

وفي المعنى أربعة أقوال:

أحدها: متعجبون[١]، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل[٢].

قال الفرَّاء: تتعجبون ممَّا نزَل بكم في زرْعِكُم[٣].

والثَّاني: تَنَدّمُون، قاله الحسن، والزجاج[٤]، وعن قتادة كالقولين.

قال ابن قتيبة: يقال: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: تندمون، ومثلها: تَفَكَّنُون، وهي لغةٌ لعكل[٥].

والثالث: تتلاومون، قاله عكرمة.

والرابع: تتفجعون، قاله ابن زيد.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قال الزَّجَّاج: أي: تقولون: قد غرمنا وذهب زرعنا[٦]. وقال ابن قتيبة: ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾؛ أي: لمعذبون[٧]. [٧٦٤/ب]

قوْلُه تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ أي: حُرِمْنَا ما كنَّا نطْلُبه من الرّيع في

---

(١) في (ر)، و(س): تتعجبون.

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٢٢٢).

(٣) معاني القرآن (٣/ ١٢٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١١٤).

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٠. قال ابن السكيت: كان أبو حزام العكلي يقرأ: "تَفَكَّنونَ". انظر: كتاب الألفاظ (ص: ٣٩٧).

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٤.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٠.

الـزَّرع. وقـد نبَّـه بهـذا عـلى أمْريْـنِ[١]:

أحدهما: إنْعامه عليهم إذ لم يجعل زرعَهُم حطامًا.

والثاني: قدرته على إهلاكهم كما قدر على إهلاك الزرع.

فأمَّا المزن: فهي السحاب، واحدتها: مزنة.

ومـا بعـد هـذا ظاهـر إلى قولـه: ﴿ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ قـال أبـو عبيـدة: أي: تسـتخرجون، مـن أَوْريْـت، وأكثـر مـا يُقـال: وريـت[٢].

وقـال ابـن قتيبـة: التـي تسـتخرجون مـن الزُّنُـود[٣]. قـال الزَّجَّـاج: «تُـورُون»؛ أي: تقْدحُـون؛ تقـول أوريـت النَّـار؛ إذا قدحْتهـا[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ﴾ في المراد بشجرتها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحديد، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثـاني: أنهـا الشـجرة التـي تتخـذ منهـا الزنـود، وهـو خشـب يحـك بعضـه ببعـض فتخـرج منـه النـار، هـذا قـول ابـن قتيبـة، والزجـاج[٥].

والثالث: أن شجرتها: أصلها، ذكره الماوردي[٦].

---

(١) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: قولين.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥١.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٥.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥١، "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٥.

(٦) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٤٦١.

قَوْلُه تعَالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً ﴾.

قال المفسرون: إذا رآها الرائي ذكر نار جهنم، وما يخاف من عذابها، فاستجار بالله منها ﴿ وَمَتَٰعًا ﴾؛ أي: منفعة ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ وفيهم أربعَةُ أقْوَالٍ:

أحدها: أنهم المسافرون، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

قال ابن قتيبة: سمُّوا بذلك لنزلهم القَواءَ، وهو القفر[1].

وقال بعض العلماء: المسافرون أكثر حاجة إليها من المقيمين؛ لأنهم إذا أوقدوها هربت منهم السباع واهتدى به الضال.

والثاني: أنهم المسافرون والحاضرون، قاله مجاهد.

والثالث: أنهم الجائعون، قال ابن زيد: المقوي: الجائع في كلام العرب[2].

والرابع: أنهم الذين لا زاد معهم ولا مال لهم، قاله أبو عبيدة[3].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ قَالَ الزَّجاج: لما ذكر ما يدلُّ على توحيده، وقدرته، وإنعامه، قال: «فسبح» أي: بـرِّئِ الله ونزِّهْه عما يقولون في وصفه[4].

---

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥١.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٤٥، وهو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ كما "تفسير ابن كثير" ٧/ ٥٤٢.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٥، وقول الزجاج هذا بين معكوفتين علق عليه محققه قائلًا: زيادة حكاها ابن الجوزي عن الزَّجَّاجِ. ("زاد المسير" ٨/ ١٥٠).

وقال الضحاك: معناه: فصل باسم ربك؛ أي: استفتح الصلاة بالتكبير(١).

وقال ابْنُ جريرٍ: سبح بذكر ربك وتسميته(٢). وقيل: الباء زائدة. والاسم يكون بمعنى الذات، والمعنى: فسبح ربك.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ (٨١) وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة: ٧٥ - ٨٢].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ في «لَا» قوْلَان:

أحدهما: أنها دخلت توكيدًا. **والمعنى**: فأقسم، ومثله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[الحديد: ٢٩] قاله الزجاج(٣)، وهو مذهب سعيد بن جبير.

والثَّاني: أنها على أصلها.

ثم في معناها قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى ما تقدم، ومعناها: النهي، تقدير الكلام: فلا تكذبوا، ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج، قاله الماوردي(٤).

والثَّاني: أن «لا» ردٌّ لما [يقوله](٥) الكفار في القرآن: إنه سحر، وشعر،

---

(١) ذكره النحاس في "إعراب القرآن" ٤/ ١٧٧ بمعناه.

(٢) "تفسير الطبري" ٢٣/ ١٤٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١١٥).

(٤) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٤٦٢.

(٥) في الأصل: يقله، والمثبت من سائر النسخ.

وكهانة. ثم استأنف القسم على أنَّه قرآن كريم، قاله علي بن أحمد النيسابوري[١].

وقرأ الحسن: "فلأقسم" بغير ألف بين اللام والهمزة[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «بموقع» على التوحيد[٣].

قال أبو علي: مواقعها: مساقطها. ومن أفرد، فلأنه اسم جنس. ومن جمع، فلاختلاف ذلك[٤].

وفي «النجوم» قولان:

أحدهما: أنها[٥] نجوم السماء، قاله الأكثرون.

فعلى هذا في مواقعها ثلاثة أقوال:

أحدها: انكدارها وانتشارها يوم القيامة، قاله الحسن.

والثَّاني: منازلها، قاله عطاء، وقتادة.

والثالث: مغيبها في المغرب، قاله أبو عبيدة[٦].

---

(١) هو الواحدي، وقوله في "التفسير البسيط" له ٤/ ٢٣٩.

(٢) هي قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٢، وقرأ بها أيضا: الثقفي. ينظر: "المحتسب" لابن جني ٢/ ٣٠٩.

(٣) هي قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٤.

(٤) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٣.

(٥) ليست في (ر).

(٦) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢.

والثاني: أنها نجوم القرآن، رواه [سعيد][(١)] بن جبير عن ابن [٧٦٥/أ] عباس[(٢)]. فعلى هذا سميت نجومًا لنزولها متفرقة، ومواقعها: نزولها.

قوْلُه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ ﴾ الهاء كناية عن القسم. وفي الكلام تقديمٌ وتأخير، تقديره: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عِظَمَه.

ثم ذكر الْمُقْسَمَ عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾، **والكريم**: اسم جامع لما يُحمد، وذلك أن فيه البيان، والهدى، والحكمة، وهو مُعظَّمٌ عند الله عز وجل.

قوْلُه تعَالى: ﴿ فِي كِتَٰبٍ ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: أَنَّه اللَّوح المحفوظ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أَنَّه المصحف الذي بأيدينا، قاله مجاهد، وقتادة.

وفي «المكنون» قولان:

أحدهما: مَسْتورٌ مِنَ[(٣)] الخلق، قالَه مُقاتلٌ[(٤)]، وهذا على القول الأوَّل.

والثاني: مَصُونٌ، قالَه الزَّجَّاج[(٥)].

---

(١) من (س).

(٢) أخرجه عليُّ بن الجعد في "مسنده" (٢٣٦٣)، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٥، وابن عبد البر في "التمهيد" ١٧/ ٥١.

(٣) في (ر): عن.

(٤) تفسير مقاتل (٤/ ٢١٨).

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٥

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ مـن قـال: إنَّـه اللـوح المحفـوظ؛ فالمطهـرون عنـده: الملائكـة، وهـذا قـول ابـن عبـاس، وعكرمـة، ومجاهـد، وسـعيد بـن جبـير. فعـلى هـذا يكـون الـكلام خـبرًا. ومـن قـال: هـو المصحف؛ ففـي المطهريـن أربعـة أقـوال:

أحدهـا: أنَّهـم المطهـرون مـن الأحـداث، قالـه الجمهـور. فيكـون ظاهـر الـكلام النفـي، ومعنـاه النهـي.

والثَّاني: المطهرون من الشرك، قالَه ابْنُ السَّائب.

والثالث: المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنس.

والرابع: أنَّ معنى الكلام: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، حكاه الفرَّاء[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ تَنزِيلٌ ﴾؛ أي: هو تنزيل.

والمعنـى: هـو منـزل، فسـمي المنـزل تنزيـلًا عـلَى[٢] اتِّسـاع اللغـة، كـما تقـول للمقـدور: قـدر، وللمخلـوق: خلـق.

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: مكذبون، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء[٣].

والثَّاني: ممالئون الكفارَ على الكفر به، قاله مجاهد.

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٠.

(٢) في (ر): في.

(٣) معاني القرآن (٣/ ١٣٠).

قال أبو عبيدة: المدهن: المداهن[١]. وكذلك قال ابن قتيبة: «مدهنون»؛ أي: مداهنون، يقال: أدهن في دينه، وداهن[٢].

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ روى مسلم في «صحيحه» من حديث ابن عباس قال: مُطر النَّاس على عهد رسول الله ﷺ، فقالَ رسول اللهِ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ» قالوا: هذه رحمةٌ وضعَها اللهُ حيثُ شاءَ. وقالَ بعضُهم: لقَدْ صدَقَ نوءُ كَذا، وَكَذا. فنزلت هذهِ الآيةُ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتى بلغَ: ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[٣].

وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث زيد بن خالد الجهني، قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبْحِ بالحديبية على إثْر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ»؟ قالوا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ. قال: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ؛ فَقَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ[٤]. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَاكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ[٥]»[٦].

---

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢.

(٢) "غريب القرآن" ص٤٥١.

(٣) "صحيح مسلم" (٧٣).

(٤) في (س): بالكوكب.

(٥) في (س): بالكوكب.

(٦) "صحيح البخاري" (٨٤٦)، "صحيح مسلم" (٧١).



وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

[٧٦٥/ب] **أحدها**: أنَّ الرزق هاهنا بمعنى الشكر. روت عائشة عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ قال: «شُكْرَكُمْ»[١]. وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وكان عليٌّ يقرأ: «وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ»[٢].

والثاني: أنَّ المعنى: وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم، قاله الأكثرون.

وذلك أنهم كانوا يُمطَرون، فيقولون: مُطرنا بنَوْء كذا.

والثَّالث: أنَّ الرزق بمعنى الحظ، فالمعنى: وتجعلون حظَّكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، ذكره الثعلبي[٣].

وقرأ أُبي بن كعب، والمفضل عن عاصم: «تكذبون» بفتح التَّاء، وإسكان الكاف، مخففة الذال[٤][٥].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٤٣/ ٢٤٧.

(٢) هي قراءة شاذة، وأخرجها عن علي مسندة: ابنُ مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٣٠، وزاد ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص١٥٢، وأبو علي الفارسي في "الحجة للقراء السبعة" ٦/ ٢٦٥، وابن جني في "المحتسب" ٢/ ٣١٠ نسبتها لابن عباس.

(٣) "الكشف والبيان" للثعلبي ٩/ ٢٢١.

(٤) في الأصل، و(س): الكاف، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) قراءة آحاد، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ٦٢٤، "معاني القراءات للأزهري" ٣/ ٥٢، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٤، وزاد أبو حيان في "البحر المحيط" ٨/ ٢١٤ نسبتها لعَليٍّ ﷺ، ولم أجد من نسبها لأُبيٍّ ﷺ.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن
لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ
أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٩٦].

قَوْلُه تعَالى: ﴿فَلَوْلَآ﴾؛ أي: فهلَّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ يعني: النفسَ، فترك ذكرها لدلالة الكلام، وأنْشدوا من ذلك [من الطويل]:

.... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ[١]

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنتُمْ﴾ يعني: أهلَ الميت ﴿تَنظُرُونَ﴾ فيه قوْلَانِ:

أحدُهما: تنْظرون إلى سلطان الله وأمْره.

والثَّاني: تنظرون إلى الإنسان في تلك الحالة، ولا تملكون [له][٢] شيئًا.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ فيه قوْلَانِ:

أحدهما: ملك الموت أدنى إليه من أهله ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ الملائكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

(١) البيت لحاتم الطائي في ديوانه (ص: ١٩٩)، والأغاني (١٧/ ٢٩٥)، وجمهرة اللغة (ص: ١٠٣٤- ١١٣٣)، والألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٥)، والشعر والشعراء (١/ ٢٥٢)، والصاحبي في فقه اللغة (ص: ٢٦١).

(٢) من (ر)، و(س).

والثَّاني: ونحن[١] أقرب إليه منكم بالعلم والقدرة والرؤية ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: لا تعلمون، والخطاب للكفَّار، ذكره الواحدي[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فيه خمسةُ أقْوالٍ:

أحدها: محاسبين، رواه الضَّحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة.

والثَّاني: موقنين، قاله مجاهد.

والثَّالث: مبعوثين، قاله قتادة.

والرَّابع: مَجْزيين. ومنه يقال: دنته، وكما تدين تُدان، قاله أبو عبيدة[٣].

والخامس: مملوكين أذلاء من قولك: دنت له بالطَّاعة، قاله ابن قتيبة[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾؛ أي: تردون النفس.

والمعنى: إن جحدتم الإله الذي يحاسبكم ويجازيكم، فهلا تردون هذه النفس؟ فإذا لم يمكنكم ذلك، فاعلموا أن الأمر لغيركم.

قالَ الفرَّاء: وقوله تعالى: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ هو جوابٌ لقوْله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾، ولقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فإنهما أجيبتا

---

(١) ليست في (س).

(٢) "التفسير البسيط" ٢١/ ٢٦٦، و"التفسير الوسيط" ٤/ ٢٤١ كلاهما للواحدي.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٢.

بجواب واحـد[١].

ومثلـه قولـه تعـالى: ﴿كَانَ﴾ يعنـي: الـذي بلغـت نفسـه الحلقـوم ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عنـد الله. قـال أبـو العاليـة: هـم السـابقون[٢]. ﴿فَرَوْحٌ﴾؛ أي: فلـه روح. والجمهـور يفتحـون الـراء[٣].

وفي معناها ستة أقوال:

أحدها: الفرح رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[٤].

والثاني: الراحة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٥].

والثالث: المغفرة والرحمة، رواه العوفي عن ابن عباس[٦].

والرابع: الجنة، قاله مجاهد.

والخامس: روح من الغم الذي كانوا فيه، قاله محمد بن كعب.

والسَّادس: روح في القبر، أي: طيب نسيم، قاله ابن قتيبة[٧].

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٠.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٦٠.

(٣) هي قراءة الجمهور إلا يعقوب. ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٥٣.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٦٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٦٦) إلى ابن جرير.

(٦) المصدر السابق.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٢.

وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رزين، والحسن، وعكرمة، وابن يعمر، وقتادة، ورويس عن يعقوب، وابن أبي سريج عن الكسائي: «فروح» برفع الراء[١].

وفي معنى هذه القراءة قولان:

أحدهما: أن معناها: فرحة، قاله قتادة.

[٧٦٧/أ] **والثاني**: فحياة وبقاء، قاله ابن قتيبة[٢].

وقال الزَّجَّاج: معناه: فحياة دائمة لا موت معها[٣].

وفي «الريحان» أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه الرِّزق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[٤].

والثاني: أنه المستراح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٥].

والثالث: أنه الجنة، قاله مجاهد، وقتادة.

والرابع: أنه الريحان المشموم.

---

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٢، و"الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة" لأبي علي الأهوازي ص٣٤٧، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص٦٤٥.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٢.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٧.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٦٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٩).

وقال أبو العالية: لا يخرج أحد من المقربين من الدنيا حتى يؤتى بغصنٍ من ريحان الجنة، فيشمه، ثم تقبض فيه روحه[١]. وإلى نحو هذا ذهب الحسن.

وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه يُلَقَّى بضبائر الريحان من الجنة، فتُجعل روحه فيه[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ **فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:**

أحدها: فسلامة لك من العذاب، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: تسلم عليه الملائكة، وتخبره أنَّه من أصحاب اليمين، قاله عطاء.

والثَّالث: أن المعنى: أنك ترى فيهم ما تحب من السَّلامة. وقد علمت ما أُعدَّ لهم من الجزاء، قاله الزجاج[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: بالبعث ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الهدى ﴿فَنُزُلٞ﴾ وقد بيناه في هذه السورة [الواقعة: ٥٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: ما ذكر في هذه السورة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي: هو اليقين حقًّا، فأضافه إلى نفسه؛ كقولك: صلاة الأولى، وصلاة العصر، ومثله: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقد سبق هذا

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٦٠، وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٣٨.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في "ذكر الموت" (٢٦٨)، وعبد الله بن أحمد في زوائد "الزهد"، وعبد بن حميد كما في "الدر المنثور للسيوطي ٨/ ٣٨.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١١٨.



المعنى، وقال قوم: معناه: وإنه للمتقين حقًّا. وقيل للحق: اليقين.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ قد ذكرناه في هذه السورة [الواقعة: ٧٤].

سورة الحديد

وفيها قوْلانِ:

أحدهما: أنَّها مدنية، رواه العوفي عن ابن عباس[١]، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل[٢].

والثاني: أنها مكيَّة، قاله ابْنُ السَّائب[٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ [الحديد: ١ - ٦].

قوْلُه تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أمَّا تسبيح ما يعقل فمعْلومٌ، وتسبيحُ مَا لا يعقل، قد ذكرنا معناه في قوْلِه تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

---

(١) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٥/ ٤٦٨)، والناسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٥٩)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٨/ ٣١).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٢٣٧).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٤٦٨)، والناسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (ص: ٥٩).



قوْله تعَالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾.

قال أبو سليمان الخطَّابي: هو السابق للأشياء ﴿وَٱلْآخِرُ﴾: الباقي بعد فناء الخلق ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: بحججه الباهرةِ، وبراهينه النَّيرةِ، وشواهدِهِ الدَّالَّةِ على صحَّةِ وحدانيته. ويكون: الظاهر فوق كل شيء بقدْرتِه. وقد يكون الظهور بمعنى: العلو، ويكون بمعنى: الغلبة.

والباطن: هو المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية. وقد يكون معنى الظهور والبطون: احتجابه عن أبصار الناظرين، وتجليه لبصائر المتفكرين. ويكون معناه: العالم بما ظهر من الأمور، والمطلع على ما بطن من الغيوب[1].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مفسر في "الأعْرَافِ" إلى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وهو مفسر في "سَبَإٍ" إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؛ أي: بعلمه وقدرته. وما بعده ظاهرٌ إلى قوْلِه تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

قال المفسِّرون: هذا الخطاب لكفَّار قريش ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني: المالَ الذي كان بأيدي غيرهم، فأهلكهم الله تعالى، وأعطى قريشًا ذلك المالَ، فكانوا فيه خلفاءَ مَن مضى.

---

(١) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص٢٨٧ - ٢٨٨.

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١ ﴾ [الحديد: ٧ - ١١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ هذا اسْتفهامُ إنْكارٍ، والمعْنى: أي شيء لكم من الثواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله.

﴿وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ﴾ قرأ أبو عمرو: "وقدْ أُخذ" بالرَّفع. وقرأ الباقون: [٧٦٦/ب] "أخذ" بفتح الخاء[1] ﴿مِيثَٰقَكُمۡ﴾ بالفتح.

والمراد به: حين أخرجتم من ظهر آدم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بالحجج والدلائل.

قوْلُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ﴾ يعني: القرآن ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يعني: الشِّركَ ﴿إِلَى﴾ نور الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ حين بعث الرسول ونصب الأدلة.

ثُمَّ حثَّهُم على الإنفاق؛ فقال: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: أي شيء لكم في ترك الإنفاق مما يقرب إلى الله عز

---

(١) هي قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٥، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٦، و"الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر الغرناطي ص٣٨٢.

وجل وأنتم ميتون تاركون أموالكم؟

ثُمَّ بيَّنَ فضل من سبق بالإنفاق؛ فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه فتح مكَّة، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثَّاني: أنه فتح الحديبية، قاله الشَّعبي.

والمعنى: لا يستوي مَن أنفق قبل ذلك ﴿وَقَاتَلَ﴾ ومن فعل ذلك بعد الفتح.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق عليه السلام.

قوْلُه تعَالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ قال ابن عباس: أعظم منزلةً عند الله[١].

قال عطاء: درجات الجنة تَتفاضَلُ، فالذين أنفقوا مِن قبل الفتح في أفضلِها[٢].

قَالَ الزَّجَّاج: لأنَّ المتقدمين كانت بصائرهم أنفذَ، ونالهم من المشقَّة أكثر[٣]. ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: وكِلَا الفريقين وعده اللهُ الجنَّةَ.

وقرَأ ابْنُ عامر: "وكل" بالرَّفع[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ قرأ ابن كثير،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره الواحدي في "البسيط" ٢١/ ٢٨١ "الوسيط" ٤/ ٢٤٦، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٢٨.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٢٣.

(٤) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٥، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٦، و"جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ٤/ ١٦٢٩.

وابن عامر: "فيُضعِّفه" مشددة بغير ألف، إلَّا أنَّ ابن كثير يضم الفاءَ، وابن عامر يفتحُها.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: "فيضاعفه" بالألف وضم الفاء، ووافقهم عاصم، إلا أنَّه فتح الفاء[1].

قال أبو علي: يضاعف ويضعف بمعنى واحد، إلَّا أنَّ الرفع في "يضاعف" هو الوجه؛ لأنه محمولٌ على "يقرض"، أو على الانقطاع من الأول، كأنه قال: فهو يضاعف.

ويحمل قول الذي نصب على المعنى؛ لأنَّه إذا قال: من ذا الذي يقرض الله، (فكأنه قال)[2]: أيقرض الله أحدٌ قرضًا فيضاعفه[3]. والآية مفسرة في البقرة [آية: ٢٤٥]، والأجر الكريم: الجنة.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢ - ١٥].

---

(١) هذه القراءات جميعها متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٥، و"التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ص٨١.

(٢) في (ر): فمعناه.

(٣) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٧- ٢٦٨.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾.

قال المفسرون: يضيء لهم نورُ عملِهم على الصراط على قدر أعمالهم.

قال ابن مسعود: منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نورًا نوره على إبهامه يطفئ مرة، ويتَّقِد أخرى[١].

وفي قوْلِه تعالى: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ **قوْلَانِ:**

أحدهما: أنه كتبهم يعطونها بأيمانهم، قاله الضحاك.

والثاني: أنَّه نورهم يسعى؛ أي: يمضي بين أيديهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم. والباء بمعنى: "في". و"في" بمعنى: "عن" هذا قول الفراء[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا قول الملائكة لهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ﴾ وقرأ حمزة: "أَنظِرونا" بقطع الهمزة، وفتحها، وكسر الظاء[٣].

قال المفسرون: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة، فيعطى المؤمنون النور، فيمشي المنافقون في ضوء[٤] المؤمنين، فإذا سبقهم المؤمنون،

(١) أخرجه ابن أبي شيبَة في "مصنفه" ١٩/ ١٧١ (٣٥٧٠٠)، والحاكم في "مستدركه" ٢/ ٥٦٤، وصححه، وَابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٥٢.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٢.

(٣) هي قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٥، و"التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ص٢٠٨، و"العنوان في القراءات السبع" لأبي طاهر السرقسطي ص١٨٦.

(٤) في (ر): نور.

قالوا: انظرونا نقتبس من نوركم.

﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ﴾ في القائل قولانِ:

أحدهما: أنَّهمُ المؤمنون، قاله ابْنُ عبَّاسٍ.

والثاني: الملائكة، قاله مقاتل[1]. [٧٦٨/أ]

وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ارجعوا إلى المكان الذي قبستم فيه النور، فيرجعون، فلا يرون شيئًا.

والثَّاني: ارجعوا فاعملوا عملًا يجعله الله لكم نورًا.

والثَّالث: أنَّ المعنى: لا نور لكم عندنا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾.

قال ابن عباس: هو الأعراف، وهو سور بين الجنة والنار[2].

﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ وهي: الجنَّة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ يعني: من وراء السور ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وهو جهنم.

وقد ذهب قوم إلى أن هذا السور يكون ببيت المقدس في مكان السور الشرقي بين الوادي الذي يسمى: وادي جهنم، وبين الباب الذي يسمى: باب الرحمة، وإلى نحو هذا ذهب عبادة بن الصامت، وعبد الله ابن عمرو، وكعب.

---

(١) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٤/ ٢٦٩).

(٢) ذكر نحوه: ابنُ عطية في "المحرر الوجيز" ٢/ ٤٠٤.



قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾؛ أي: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾؛ أي: على دينكم نصلي بصلاتكم، ونغزو معكم؟ فيقول لهم المؤمنون: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي[1]: استعملتموها في الفتنة[2]. وقال غيره: آثمتموها[3] بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تربصتم بالتوبة.

والثَّاني: تربصتم بمحمد الموتَ، وقلتم: يوشك أن يموتَ فنستريح ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ شككتم في الحقِّ ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ يعني: ما كانوا يتمنون من نزول الدوائر.

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه الموت.

والثَّاني: إلقاؤهم في النَّار ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾؛ أي: غركم الشَّيطانُ بحلم الله وإمهاله.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: "لَا

---

(١) ليست في (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٢٤.

(٣) في (ر): أنمتموها. وأشار ناسخ الأصل في الحاشية إلى نسخة فيها: آثرتموها.

تؤخذ" بالتاء[1]؛ أي: بدل وعوض عن عذابكم.

وهذا خطاب للمنافقين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

قوْلُه تعَالى: ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي: أولى بكم[2].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٦ - ١٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهم: أنها نزلت في المؤمنين.

قال ابْنُ مسْعُودٍ: ما كان بين إسلامنا، وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضًا[3].

والثَّاني: أنها نزلت في المنافقين، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قال مقاتل: سأل المنافقون سلمان الفارسي فقالوا: حدثنا عن التوراة،

---

(١) هي قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٥٦، و"الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه ص٣٤٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٠٠.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٤.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣٠٢٧).

فـإن فيهـا العجائب. فنزلـت هـذه الآية[١].

وقـال الزَّجَّـاج: نزلـت هـذه الآيـة في طائفـةٍ مـن المؤمنـين حثّـوا عـلى الرِّقـة والخشـوع.

فأمَّـا مـن كان وصفـه الله عـز وجـل بالخشـوع، والرقـة، فطبقـة مـن المؤمنـين فـوق هـؤلاء[٢].

فعـلى الأول: يكـون الإيـمان حقيقـة. وعـلى الثـاني: يكـون المعنـى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بألسـنتهم.

قال ابن قتيبة: المعنى: ألم يحن، تقول: أنى الشيء: إذا حان[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: ترق وتلين لذكر الله تعَالى.

المعنى: أنَّه يجب أن يورثهم الذكر خشوعًا.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ قـرأ ابـن كثـير، وعاصـم، وأبـو عمـرو، وابـن عامـر، وحمـزة، والكسـائي: "ومـا نـزل" بفتـح النـون، والـزاي، مـع تشـديد الـزَّاء[٤].

وقـرأ نافـع، وحفـص، والمفضـل عـن عاصـم: "نـزل" بفتـح النـون، وتخفيـف الـزاي[٥].

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٤١.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٢٥.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٣.

(٤) في (ر)، و(س): الزاي.

(٥) كلتـا القراءتـين سـبعية متواتـرة، ينظر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٢٦، و"معاني القراءات"=

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، ويونس بن حبيب عن أبي عمرو، وأبان عن عاصم: "نُزِّلَ" برفع النون، وكسر الزَّاي، مع تشديدها[١]. [٧٦٨/ ب]

وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: "وما أَنزَل" بهمزة مفتوحة، وفتح الزاي[٢].

وقرأ أبو مجلز، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنه بضم الهمزة، وكسر الزاي[٣].

و"الحق": القرآن.

﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ قرأ رويس عن يعقوب: "لا تكونوا" بالتَّاء[٤].

﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: اليهود، والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ وهو: الزمان.

وقال ابن قتيبة: الأمدُ: الغاية[٥].

=للأزهري ٣/ ٥٥، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٠٠.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" ص١٥٣.

(٢) قراءة شاذة أيضًا، ينظر: "إعراب القرآن" للنحاس ٤/ ٢٣٩، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٣.

(٣) قراءة شاذة أيضًا، ذكرها عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي في "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" ص٧٢٢.

(٤) هذه قراءة آحاد، عشرية، ينظر: "المبسوط في القراءات العشر" لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري ص٤٣٠، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهُذَلي اليشكري ص ٦٤٦.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٢٦٤.

والمعنى: أنَّه بَعُدَ عهدهم بالأنبياء والصالحين.

﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: وهم الذين لم يؤمنوا بعيسى ومحمدٍ عليهما السلام.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ أي: يخرج منها النبات بعد يبسها، فكذلك يقدر على إحياء الأموات ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لكي تتأملوا.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[الحديد: ١٨ - ١٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم إلَّا حفصًا بتخفيف الصَّاد فيهما على معنى التصديق، وقرأ الباقون، بالتَّشديد على معنى الصدقة[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

اختلفوا في نظْمِ الآية على قولين:

أحدهما: أنَّ تمام الكلام عند قوْلِه تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾، ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ هذا قول ابن عباس، ومسروق، والفراء في آخرين[2].

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٦، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٧٤، و"جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ٤/ ١٦٣٠.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٥.

والثَّاني: أنها على نظمها.

والواو في «الشهداء» واو النسق.

ثم في معناها قولان:

أحدهما: أن كُلَّ مؤمن صديق شهيد، قاله ابن مسعود، ومجاهد.

والثَّاني: أنها نزلت في قومٍ مخصوصين، وهم ثمانيةُ نفرٍ[١] سبقوا إلى الإسلام: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة بن عبد المطلب، وطلحة، والزبير، وسعد، وزيد، قاله الضَّحاك.

وفي الشهداء قولان:

أحدهما: أنه جمع شاهد.

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الأنبياء خاصَّة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم الشَّاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان لله، قاله مجاهد.

والقول الثَّاني: أنه جمع شهيد، قاله الضَّحاك، ومقاتل[٢].

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ

(١) كذا في الأصل جاء في تفسير الثعلبي: قال الضحاك: هم ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر وعلي وزيد وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وحمزة بن عبد المطلب، تاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته.
تفسير الثعلبي(٩/ ٢٤٣).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٢٤٣).



وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٠ - ٢١].

قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني: الحياةَ في هذه الدَّار ﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾؛ أي: غرور ينقضي عن قليل.

وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المشار بهذا إلى حال الكافر في دنياه؛ لأنَّ حياته تنقضي على لهوٍ ولعب وتزين الدنيا، ويفاخر قرناءه وجيرانه، ويكاثرهم بالأموال والأولاد، فيجمع من غير حلِّه، ويتطاول على أولياء الله تعالى بمالِه، وخدَمِه، وولَدِه، فيفنى عمره في هذه الأشياء، ولا يتلفت إلى العمل (في الآخرة)[1].

ثم بين لهذه الحياة شبَهًا، فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ﴾ يعني: مطرًا ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ﴾ وهم الزراع، وسمُّوا كفَّارًا؛ لأنَّ الزارع إذا ألقى البذر في الأرض كفره؛ أي: غطاه ﴿نَبَاتُهُۥ﴾؛ أي: ما نبت من ذلك الغيث ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ أي: ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ بعد خضرته وريه.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗا﴾؛ أي: يتحَطَّم[2]، ويتكسَّر[3] بعد يبسه. وشرح هذا المثل قد تقدَّم في «يونس» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [آية: ٢٤]،

---

(١) في (ر): للآخرة، وفي (س) أثبت "في" وضرب عليها ووضع اللام.

(٢) في (ر): ينحطم.

(٣) في (ر): ينكسر.

وفي «الكهف» عند قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آية: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ أي: لأعداء الله عزَّ وجلَّ. ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لأوليائه وأهل طاعته. وما بعد هذا مذكورٌ في آل عمران [آية: ١٨٥]... إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ فبين أنَّه لا يدخل الجنة أحدٌ إلا بفضل الله تعالى. [٧٦٩/أ]

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٤].

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من الأمراض، وفقد الأولاد ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾؛ أي[1]: [أن][2] نخلقها، يعني: الأنفس ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾؛ أي: إثباتُ ذلك على كثرته هينٌ على الله عزَّ وجلَّ.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾؛ أي: تحزنوا على ما ﴿فَاتَكُمْ﴾ من الدُّنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ وقرأ أبو عمرو ـ إلا اختيار اليزيدي ـ بالقصر على معنى: جاءكم من الدنيا.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) من (ر)، و(س).

وقرأ الباقون بالمدِّ على معنى: مَا أعطاكم الله تعالى منها[١].

واعْلم أنَّه مَن علِم أنَّ ما قضي لا بدَّ أن يصيبه (من خيرٍ وشرٍّ)[٢]؛ قلَّ حُزْنُه وفرحُه.

وقد روى قتيبة بن سعيد، قال: دخلت بعْضَ أحياءِ العرب، فإذا بفضَاء مِنَ الأرض فيه مِنَ الإبل ما لا يحصى عددُه، كلُّها قد مات، فسألت عجوزًا: لمن كانت هذه الإبل؟ فأشارت إلى شيخ كان[٣] على تلٍّ يغزل الصُّوفَ، فقلت [له: يا شيخ][٤]! ألَك كانت هذه الإبل؟ قال: كانت باسْمي. قلت: فما أصابها؟ قال: ارتجعها الَّذي أعطاها. قلت: فهل قلْتَ في ذلك شيْئًا؟ قال نعَم! قلتُ [من البسيط]:

لَا وَالَّذِي أَنا عَبْدٌ فِي عِبادَتِهِ ... وَالمَرْءُ فِي الدَّهْرِ نُصْبَ الرَّزْءِ وَالحَزَنِ
ما سَرَّنِي أَنَّ إِبْلِي فِي مَبَارِكِها ... وَما جَرَى فِي قَضَاءِ اللهِ لَمْ يَكُنِ[٥]

وما بعد هذا قد ذكرْناه في سورة النساء [آية:٣٧]، والذي قيل في البخل هناك هو الذي قيل هاهنا إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾؛ أي: عن الإيمان.

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٦، و"الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه ص٣٤٣، و"معاني القراءات" لأبي منصور الأزهري ٣/ ٥٧.

(٢) ليست في (ر).

(٣) ليست في (ر).

(٤) من (ر) فقط.

(٥) ذكر القصة بتمامها: الثعلبيُّ في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٤٦، وبيان الحق النيسابوري في "باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن" ٣/ ١٤٧٤.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه. وقد سبق معنى الاسمين في البقرة [آية:٢٦٧].

وقرأ نافع وابن عامر: «فإن الله الغني الحميد» ليس فيها «هو» وكذلك [هو](١) في مصاحف أهل المدينة، والشام(٢).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بالآيات والحجج ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ببيان الشرائع، والأحكام.

وفي «الميزان» قولان:

أحدهما: أنَّه العدل، قاله ابن عبَّاس، وقتادة.

والثَّاني: أنَّه الذي يوزن به، قاله ابن زيد ومقاتل(٣).

فعلى القول الأوَّل: يكون المعنى: وأمرنا بالعدل. وعلى الثاني: ووضعنا الميزان؛ أي: أمرنا به. ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: لكي يقوموا بالعدل.

---

(١) من (ر)، و(س).

(٢) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٣، ١٣٦، و"السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٧، و"معاني القراءات" لأبي منصور الأزهري ٣/ ٥٧، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٠٢.

(٣) تفسير مقاتل (٤/ ٢٤٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّ الله تعالى أنزل مع آدم السندان، والكلبتين، والمطرقة، قاله ابن عباس.

والثاني: أن معنى «أنزلنا»: أنشأنا وخلقنا؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قال الزَّجَّاج: وذلك أنَّه يمتنع به، ويحارب به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ يستعملونه[١] في أدواتهم، وما ينتفعون به من آنية وغيرها[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾، والمعنى: ليتعامل الناس بالعدل وليعلم الله ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ بالقتالِ في سبيله، ونصرة دينه، وذلك أنَّه أمَرَ في الكتاب الذي أنزل بذلك. وقد سبق معنى قوْله عزّ وجلّ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ في مواضع.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: ولم يرَ الله، ولا أحكام الآخرة، وإنَّما يُحمد[٣] ويثاب مَن أطاع بالغيب.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٢٩.

(٣) في (ر): يجهد.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[الحديد: ٢٦ - ٢٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعنـي: الكتـبَ ﴿فَمِنْهُم ﴾ يعنـي: مِـنَ الذُّريَّـةِ. [٧٦٩/ ب]

﴿مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كافرون، قاله ابن عباس.

والثاني: عاصون، قاله مقاتل[١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾؛ أي: أتبعنـا عـلى آثـار نـوح، وإبراهيـم، وذريتهـا ﴿بِعِيسَى ﴾ وكان آخـر أنبيـاء بنـي إسرائيـل.

﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ يعنـي: الحواريـين وغيرهـم مـن أتباعـه عـلى دينـه ﴿رَأْفَةً ﴾ وقـد سـبق بيانهـا، والمعنـى: أنهـم كانـوا متواديـن، كـما وصـف الله تعـالى أصحـابَ نبينـا عليـه الصـلاة والسـلام، فقـال تعـالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتـح:٢٩].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ ليـس هـذا معطوفًـا عـلى مـا قبلـه، وإنـما انتصـب بفعـل مضمـرٍ، يـدلُّ عليـه مـا بعـده، تقديـره: وابتدعـوا رهبانيـةً

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٢٤٧).



ابتدعوها؛ أي: جاؤوا بها من قِبَل أنفسهم، وهي غلوهم في العبادة، وحمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الجبال.

﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: ما فرضناها عليهم.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنَّ الاستثناءَ يرجع إلى قوله تعالى: «ابتدعوها» وتقديره: ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ذكره علي بن عيسى، والرماني عن قتادة، وزيد بن أسلم.

والثَّاني: أنه راجع إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا﴾.

ثُمَّ في معنى الكلام قولان:

أحدهما: ما كتبناها عليهم بعد دخولهم فيها تطوُّعًا إلا ابتغاء رضوان الله.

قال الحسن: تطوعوا بابتداعها، ثم كتبها الله عليهم[١].

وقال الزَّجَّاج: لما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع لزمهم إتمامه، كما أنَّ الإنسان إذا جعل على نفسه صومًا لم يفترض عليه، لزمه أن يتمه[٢].

---

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٥/ ٤٨٥.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٣٠.

قال القاضي أبو يعلى: والابتداع قد يكون بالقول، وهو ما ينذره ويوجبه على نفسه، وقد يكون بالفعل بالدخول فيه. وعموم الآية تتضمن الأمرين، فاقتضى ذلك أنَّ كلَّ من ابتدع قربة، قولًا، أو فعلًا، فعليه رعايتها وإتمامها[١].

والثَّاني: أن المعنى: ما أمرناهم منها إلا بما يرضي الله عز وجل، لا غير ذلك، قاله ابن قتيبة[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ في المشار إليه قولان:

أحدهما: أنهم [الذين][٣] ابتدعوا الرهبانية، قاله الجمهور.

ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم ما رعوها لتبديل دينهم وتغييرهم له، قاله عطية العوفي.

والثاني: لتقصيرهم فيما ألزموه أنفسهم.

والثالث: لكفرهم برسول الله ﷺ لما بعث، ذكر القولين الزَّجَّاجُ[٤].

والثاني: أنهم الذين تبعوا[٥] مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم، ما رعوها بسلوك طريق أوَّليهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٤- ٤٥٥.

(٣) من (ر)، و(س).

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٣٠.

(٥) في (ر): اتبعوا.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ **فيهم ثلاثة أقوال:**

أحدها: الذين آمنوا بمحمد ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به.

والثاني: [أنَّ الذين آمنوا: المؤمنون بعيسى، والفاسقون: المشركون.

والثالث][1]: أنَّ الذين آمنوا: مبتدعو الرهبانية، والفاسقون: متبعوهم على غير القانون الصَّحيح.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨ – ٢٩].

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ عامَّة المفسرين على أنَّ هذا الخطابَ لليهود والنصارى.

والمعنى: ياأيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتَّقوا الله، وآمنوا برسوله محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾؛ أي: نصيبين، وحظَّين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال الزجاج: الكفل: كساء يمنع الراكبَ أن يسقط، **فالمعنى:** يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي[2].

وقد بينا «معنى» الكفل في سورة النساء [آية:٨٥].

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٣١.

وفي المراد بالكفلين هاهنا قولان:

أحدهما: لإيمانهم بمن تقدَّم من الأنبياء، والآخر: لإيمانهم بمحمَّدٍ [٧٧٠/ أ] ﷺ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ **أحدهما**: أجر الدنيا.

والثاني: أجر الآخرة، قاله ابن زيد.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا﴾ **فيه أربعة أقوال:**

أحدها: أنه[1] القرآن، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[2].

والثاني: نورًا تمشون به على الصراط، رواه أبو صالح عن ابن عباس[3].

والثالث: الهدى، قاله مجاهد.

والرابع: الإيمان، قاله ابن السَّائب.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾.

«لَا»: زائدة، قاله الفرَّاء، والعرب تجعل «لَا» صلةً في كلِّ كلامٍ دخل في آخره أو في[4] أوَّله جحد، فهذا مما جعل في آخره جحد[5].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٥٩٠٨)، والطبري في تفسير (٢٣/ ٢١٢).

(٣) ذكره مقاتل ابن سليمان في تفسيره (٤/ ٢٤٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٦/ ١٠٧)، ولمواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٥٦).

(٤) ليست في (ر).

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٧.

والمعنى: ليعلم ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمَّدٍ ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾؛ أي: أنَّهم لا يقدرون ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، والمعنى: أنه جعل الأجرين لمن آمَنَ بمحمَّدٍ ﷺ ليعلم من لم يؤمن به أنَّه لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فآتاه المؤمنين.

هذا تلخيص قوْلِ الجمهور في هاتين الآيتين.

وقد ذهب قوم إلى أنه لما نزل في مسلمة أهل الكتاب قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص:٥٢- ٥٤] افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر، فشقَّ ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان، وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل[١].

فعلى هذا يكون الخطاب للمسلمين، ويكون المعنى: يؤتكم أجرين ليعلم مؤمنو أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي خصَّكُم به، فإنه فضَّلكم على جميع الخلائق.

وقال مقاتل[٢]: لما نزل قوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾... الآيةَ، حسد أهْلُ الكتاب المسلمينَ عليها، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾... الآيةَ[٣].

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٢٣٩).

(٢) في (ر): قتادة.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٢٧٨، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢١٤، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٦٨.

سورة المجادلة

وهـي مدنيـة في قـول ابـن عبـاس، والحسـن، ومجاهـد، وعكرمـة، وقتادة، والجمهـور. وروي عـن عطاء أنّه قـال: العشر الأُول منها مـدنيٌّ، والباقي مكيٌّ[١].

وعـن ابـنِ السَّـائب: أنّهـا مدنيـة سـوى آيـة، وهـي قولـه تعـالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلـة: ١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾.

أمّـا سـببُ نزولهـا: فـروي عـن عائشـة أنهـا قالـت: تبـارك الـذي وسـع سـمعه الأصـوات، لقـد جـاءت المجادلـة فكلمـت رسـولَ الله ﷺ، وأنـا في جانـب البيـت أسـمع كلامهـا، ويخفـى علـيَّ بعضـه، وهـي تشـتكي زوجَهـا، وتقـول: يـا رسـول الله! أبـلى شـبابي، ونثـرت لـه بطنـي، حتـى إذا كـبر سـني، وانقطـع ولـدي، ظاهـر منـي، اللهـم إني أشـكو إليـك. قالـت: فـما برحـت حتـى نـزل جبريـل بهـذه الآيـات[٣].

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٥/ ٤٨٧.

(٢) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٥/ ٤٨٧.

(٣) أخرجـه أحمـد في "مسـنده" ٤٠/ ٢٢٨- ٢٢٩ (٢٤١٩٥)، وابـن ماجـه في "سـننه" (٢٠٦٣)، والنسـائي في "المجتبـى" ٦/ ١٦٨، وابـن أبي عاصـم في "السـنة" (٦٢٥)، والطـبري في=

فأمّا تفسيرها: فقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ قالَ الزَّجّاج: إدغام الدال في السين حسنٌ لقرب المخرجين؛ لأنهما من حروف طرف اللسان، وإدغام الدال في السِّين تقوية للحرف، وإظهار الدال جائزٌ؛ لأنَّه وإن قرب من مخرج السين، فله حيز على حدة، ومن موضع الدال الطاء والتاء، فهذه الأحرف الثلاثة موضعها واحد، والسين والزاي والصاد من موضع واحد، وهي تسمى: حروف الصفير(١).

وفي اسم هذه المجادلة ونسبتها أربعة أقوال: [٧٧٠/ب]

أحدها: خولة بنت ثعلبة، رواه مجاهد، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، والقرظي.

والثاني: خولة بنت خويلد، رواه عكرمة. عن ابن عباس.

والثالث: خولة بنت الصامت، رواه العوفي عن ابن عباس.

والرابع: خولة بنت الدليج، قاله أبو العالية.

واسم زوجها: أوس بن الصامت، وكانا من الأنصار.

قال ابن عباس: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنتِ عليَّ كظهر أمي، حرمت عليه، فكان أول مَن ظَاهَر في الإسلام أوسٌ، ثم

="تفسيره" ٢٣/ ٢٢٥- ٢٢٦، وغيرهم. قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ١٣/ ٣٧٤: هَذَا أَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ الْمُجَادِلَةِ وتسميتها. وحسن الألباني إسناده في تحقيقه "السنة" لابن أبي عاصم. وأصله في "صحيح البخاري" معلقا قبل حديث (٧٣٨٦).

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٣٣.

نـدم، وقـال لامرأتـه: انطلقـي إلى رسـول الله ﷺ فسـليه. فأتتـه، فنزلـت هـذه الآيـات(١).

فأمَّـا مجادلتهـا رسـولَ الله ﷺ، فإنـه كان كلـما قـال لهـا: قَـدْ حَرُمْـتِ عَلَيْـهِ. تقـول: والله مـا ذكـر طلاقًـا، فقـال: مَـا أُوحِـيَ إِلَيَّ فِي هَـذَا شَيْءٌ. فجعلـت تشـتكي إلى الله عـزَّ وجـلَّ. وتشـتكي بمعنـى: تشـكو. يُقـالُ: اشـتكيت مـا بي، وشـكوته. وقالـت: إنَّ لي صبيـةً صغـارًا، إنْ ضممتهـم إليـه ضاعـوا، وإن ضممتهـم إليَّ جاعـوا.

فأما التحاور، فهو مراجعة الكلام. قال عنترة في فرسه [من الكامل]:

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْـتَكَى   وَلَـكَانَ لَـوْ عَلِـمَ الْـكَلَامَ مُكَلِّمِي(٢)

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[المجادلـة: ٢ – ٣].

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٢١.

(٢) البيـت مـن الكامـل التـام، وهـو في "ديـوان عنـترة" طبـع بنفقـة خليـل خـوري ص٨٣ مـن معلقتـه المشـهورة، و"الخصائـص" لابـن جنـي ١/ ٢٥، وفي "شرح ديـوان عنـترة" للخطيـب التبريـزي، ص١٨٣، و"الجمـل في النحـو" المنسـوب للخليـل بـن أحمـد ص١٣٠، وفيهـما الشـطر الثـاني: أو كان يـدري مـا جـواب تكلمـي.



قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «يظَّهَّرون» بفتح الياء، وتشديد الظَّاء والهاء وفتحهما من غير ألف.

وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة والكسائي بفتح الياء، وتشديد الظَّاء، وبألف، وتخفيف الهاء.

وقرأ عاصم: «يُظاهِرون» بضم الياء، وتخفيف الظَّاء والهاء، وكسر الهاء في الموضعين مع إثبات الألف[1].

وقرأ ابن مسعود: «يتظاهرون» بياءٍ وتاءٍ وألف. وقرأ أُبيٌّ بن كعب: «يتظَهَّرون» بياءٍ وتاء وتخفيف الظَّاء وتشديد الهاء من غير ألف.

وقرأ الحسن وقتادة والضحاك: «يظهرون» بضمِّ[2] الياء وفتح الظاء مخففة، مكسورة الهاء مشددة.

والمعنى: تقولون لهن: أنتن كظهور أمهاتنا.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون بكسر التاء. وروى المفضل عن عاصم رفعها.

والمعنى: ما اللواتي تجعلن كالأمهات بأمهات لهم ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾؛ أي: ما أمهاتهم ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾ قال الفراء: وانتصاب، «الأمهات» هاهنا

---

(١) هذه القراءات جميعها سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" ص٦٢٨، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٧٨، "جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ٤/ ١٦٣١.

(٢) في (ر): بفتح.

بإلقاء الباء، وهي قراءة عبد الله «ما هن بأمهاتهم»[(١)] ومثله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف:٣١].

المعنى: ما هذا ببشر، فلما ألقيت الباء أبقي أثرها، وهو: النصب، وعلى هذا كلام أهل الحجاز.

فأمَّا أهل نجدٍ؛ فإنهم إذا ألقوا الباء رفعوا، وقالوا: «ما هن أمهاتهم»، و«ما هذا بشر» أنشدني بعْضُ العرب [من الطويل]:

رِكابُ حُسَيْلٍ آخِرَ الصَّيْفِ بُدَّنٌ ... وَنَاقَةُ عَمْرٍو ما يُحَلُّ لَهَا رَحْلُ
وَيَزْعُمُ حِسْلٌ أَنَّهُ فَرْعُ قَوْمِهِ ... وَمَا أَنْتَ فَرْعٌ يَا حُسَيْلُ وَلَا أَصْلُ[(٢)]

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني: المظاهرين ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لتشبيههم الزوجات بالأمهات، والأمهات محرماتٌ على التأبيد، بخلاف الزوجات ﴿وَزُورًا﴾؛ أي: كذبًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ إذ شرع الكفَّارة لذلك.

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾.

اللام في «لما» بمعنى: «إلى»، **والمعنى**: ثم يعودون إلى تحليل ما حرموا على أنفسهم من وطء الزوجة بالعزم على الوطء.

---

(١) "ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٤.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٩، والبيتان من الطويل، نسبهما الجاحظ في "الحيوان" ٦/ ٣٦٤ لعمرو بن خويلد وبينهما:

إِذا ما ابْتَنَينا بَيْتَنا لِمَعِيشَةٍ ... يعُودُ لِمَا نَبْنِي فَيَهْدِمُهُ حِسْلُ

[٧٧١/أ] قال الفرَّاء: معنى الآية: يرجعون عمَّا قالوا، وفي نقض ما قالوا[١].

وقال سعيد بن جبير: المعنى: يريدون أن يعودوا للجماع[٢] الذي قد حرَّموه على أنفسهم[٣].

وقال الحسن، وطاووس، والزهري: العود: هو الوطء[٤]. وهذا يرجع إلى ما قلناه.

وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهار مدة يمكنه طلاقها فيه فلا يطلقها. فإذا وجد هذا، استقرت عليه الكفارة؛ لأنه قصد بالظهار تحريمها، فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه، وإن سكت عن الطلاق، فقد ندم على ما ابتدأ به، فهو عود إلى ما كان عليه، فحينئذ تجب الكفارة[٥].

وقال داود: هو إعادة اللفظ ثانيًا؛ لأنَّ ظاهر قوله تعالى: ﴿يَعُودُونَ﴾ يدلُّ على تكرير اللفظ[٦].

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٣٩.

(٢) في (ر): إلى الجماع.

(٣) ذكره ابن كثير في "تفسيره" ٨/ ٤٠ من طريق ابن لهيعة عن عطاء عنه به.

(٤) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٢٦٠، وزاد نسبته لمقاتلٍ، وابنُ بطال في "شرح صحيح البخارى" ٧/ ٤٥٠، وأبو المظفر السمعاني في "تفسيره" ٥/ ٣٨٣.

(٥) "الأم" للشافعي ٦/ ٧٠٣، وينظر: "نهاية المطلب في دراية المذهب" للجويني ١٤/ ٤٧٥، "الإشراف على نكت مسائل الخلاف" للقاضي عبد الوهاب بن محمد البغدادي ٢/ ٧٧٣.

(٦) ينظر: "المحلى" لابن حزم ٩/ ١٩٣.

قال الزجاج: وهذا قول من لا يدري اللغة(١).

وقال أبو علي الفارسي: ليس في هذا كما ادَّعوا؛ لأن العود قد يكون إلى شيءٍ لم يكن الإنسان عليه قبل، وسميت الآخرة معادًا، ولم يكن فيها أحَدٌ ثم عاد إليها، قال الهذلي [من الطويل]:

وَعادَ الفَتَى كالطِّفْلِ(٢) لَيْسَ بِقائِلٍ سِوَى الحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ(٣)

وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قال ابن قتيبة: من توهَّم أنَّ الظهار لا يقع حتى يلفظ به ثانيةً، فليس بشيءٍ؛ لأنَّ النَّاس قد أجمعوا أنَّ الظهار يقع بلفظ واحد.

وإنَّما تأويل الآية: أنَّ أهل الجاهلية كانوا يُطلِّقون بالظهار، فجعل اللهُ حكم الظهار في الإسلام خلافَ حكمه عندهم في الجاهلية، وأنزل قوله تعالى: و﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ يريد في الجاهلية ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ في الإسلام؛ أي: يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام(٤).

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ١٣٥.

(٢) في (ر)، و(س): كالكهل.

(٣) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢/ ١٣٦ - ١٣٧، والبيت من الطويل، وهو في "ديوان الهذليين" ٢/ ١٥٠ قاله أبو خِراش فى قتلِ زهير بن العَجْوة أخى بنى عمرو بنِ الحارث.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٦ - ٤٥٧.



﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ قال المفسرون: المعنى: فعليهم، أو فكفارتهم تحرير رقبة؛ أي: عتقها. وهل يشترط أن تكون مؤمنةً؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوْلُه تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ وهو: كناية عن الجماع. على أنَّ العلماء قد اختلفوا: هل يباح للمظاهر الاستمتاعُ باللمس والقبلة؟ وعن أحمد روايتان.

وقال أبو الحسن الأخفشُ: تقدير الآية: «والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم»(١).

فَصْلٌ

إذا وطئ المظاهرُ قبل أن يكَفِّرَ أَثِم، واستقرَّتِ الكفَّارةُ، وقال أبو حنيفة: يسقط الظِّهارُ والكفارة(٢).

واختلف العلماء فيما يجب عليه إذا فعل ذلك:

فقال الحسن، وسعيد بن المسيب، وطاووس، ومجاهد، وإبراهيم، وابن سيرين: عليه [كفارةٌ](٣) واحدةٌ(٤).

---

(١) "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٥٣٧.

(٢) ينظر: "مختصر القدوري" ص١٦٥، و"المبسوط" للسرخسي ٦/ ٢٢٥.

(٣) من (ر)، و(س).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" ٢/ ٣٧، ٣٩، ٤٢ (١٨٢٣، ١٨٢٨، ١٨٢٩، ١٨٣٢، ١٨٤٥) عن طاوس والحسن وإبراهيم وابن المسيب.

وقال الزهري، وقتادة، في آخرين: عليه كفَّارتان[١].

فإن قال: أنت عليَّ كظهر أمي اليوم؛ بطل الظهار بمضي اليوم، هذا قول أصحابنا، وأبي حنيفة، والثوري، والشافعي.

وقال ابن أبي ليلى، ومالك، والحسن بن صالح: هو مظاهر أبدًا[٢].

واختلفوا في الظهار من الأَمَة:

فقال ابن عباس: ليس من أمةٍ ظهارٌ[٣]، وبه قال سعيد بن المسيب، والشعبي، والنخعي، وأبو حنيفة، وأحمد، والشافعي.

وقال سعيد بن جبير، وطاووس، وعطاء، والأوزاعي، والثوري، ومالك: هو ظهار[٤].

ونقل أبو طالب عن أحمد أنَّه قال: لا يكون مظاهرًا من أمته، ولكن تلزمه كفَّارةُ الظهار[٥]، كما قال في المرأة إذا ظاهرت من زوجها: لم [٧٧١/ ب] تكن مظاهرةً، وتلزمها كفارة الظهار[٦].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" ٦/ ٤٣٢ (١١٥٣٠، ١١٥٣١) عن الزهري وقتادة.

(٢) ذكره ابن عبد البر في "الاستذكار" ٦/ ٤٦، وأبو الوليد الباجي في "المنتقى" ٤/ ٣٨.

(٣) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" ٧/ ٣٨٣.

(٤) ذكره ابن عبد في "الاستذكار" ٦/ ٥٩.

(٥) ذكره: القاضي أبو يعلى الفراء "المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين" ٢/ ١٧٧، وابن تيمية الجد في "المحرر" ٢/ ٨٩.

(٦) ينظر: "المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين" لأبي يعلى الفراء ٢/ ١٩٢.

واختلفوا فيمَن قال: أنتِ عليَّ كظهر أبي: فقال مالك: هو مظاهر، وهو قول أصحابنا، وقال أبو حنيفة والشّافعيّ: لا يكون مظاهرًا.

واختلفوا فيمن ظاهر مرارًا:

فقَال أبو حنيفة، والشافعي: إن كان في مجالس، فكفارات وإن كان في مجلس واحد، فكفارة[(١)].

قال القاضي أبو يعلى: وعلى قول أصحابنا: يلزمه كفارة واحدة، سواء كان في مجلس واحدٍ[(٢)]، أو في مجالس، ما لم يكفر[(٣)]، وهذا قول مالك.

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ قال الزجاج: ذلكم التغليظ توعظون به[(٤)]. **والمعنى:** أنَّ غلظ الكفارة وعظٌ لكم حتى تتركوا الظهار.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ يعني: الرقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾؛ أي: فعليه صيام شهرين ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصيام {فـ} كفارته ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الفرض ذلك الذي وصفنا ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: تصدقوا بأنَّ الله أمَرَ بذلك، وتصدقوا بما أتى به الرَّسول.

---

(١) ينظر: "الاختيار لتعليل المختار" لأبي الفضل الحنفي ٣/ ١٦٣، و"الغرر البهية في شرح البهجة الوردية" لزكريا الأنصاري ٤/ ٣١٥.

(٢) ليست في (ر).

(٣) "المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين" لأبي يعلى الفراء ٢/ ١٨٣.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ١٣٥.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما وصفه الله من الكفارات في الظهار ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: لمن جحد هذا، وكذَّب به[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٥ - ٧].

قَوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ قد ذكرْنا معنى المحادّة في التَّوْبَة، ومعنى «كُبتوا» في آل عِمْرانَ عند قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٧].

وقال ابن عباس: أخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أخزي الَّذين من قبلهم ممن قاتل الرسلَ[2].

قَوْلُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾؛ أي: من قبورهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ من معاصيه، وتضييع فرائضه ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾؛ أي: حفظه الله عليهم ﴿وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم في السرِّ والعلانية ﴿شَهِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: ألم تعلم.

---

(١) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ٥٤.

(٢) ذكره الطبري في "تفسيره" ٢٢/ ٤٦٦، وأبو حيان في "البحر المحيط" ٨/ ٢٣٣ دون نسبة لابن عباس.



قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ وقرأ أبو جعفر «ما تكون» بالتَّاء(١)، قال ابن قتيبة: النجوى السرار(٢).

وقال الزَّجَّاج: ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئًا ويتناجون به إلا هو رابعهم؛ أي: عالم به. «ونجوى»: مشتق من النجوة، وهو ما ارتفع(٣). وقرأ يعقوب: «ولا أكثرُ» بالرَّفع(٤).

وقال الضَّحاك: «إلا هو معهم»؛ قال: علمه معهم(٥).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المجادلة: ٨ - ١٠].

---

(١) هي قراءة آحاد، ينظر: "شرح طيبة النشر في القراءات" لابن الجزري ص٣١٧.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٧.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٣٧.

(٤) هي قراءة آحاد، ينظر: "المبسوط في القراءات العشر" لأبي بكر النيسابوري ص٤٣١، و"الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة" لأبي علي الأهوازي ص٣٥٠.

(٥) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٣٧، والآجري في "الشريعة" ٣/ ١٠٧٨ (٦٥٥)، وابن بطة "الإبانة الكبرى" ٧/ ١٥٢ (١٠٩).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنها[١] نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا، قتل أو موت، أو مصيبة، فيقع ذلك في قلوبهم، ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدم أصحابهم.

فلما طال ذلك وكثر، شكا المؤمنون إلى رسول الله ﷺ فأمرهم، أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس.

والثاني: نزلت في اليهود، قاله مجاهد.

قال مقاتل: وكان بين اليهود وبين رسول الله موادعة فإذا رأوا رجلًا من المسلمين وحده تناجوا بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم عن [٧٧٢/ أ]
النجوى، فلم ينتهوا، وعادوا إليها فنزلت هذه الآية[٢].

وقال ابن السائب: نزلت في المنافقين[٣]. **والنجوى**: بمعنى: المناجاة ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ﴾ قرأ حمزة، ويعقوب،

---

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ٨/ ٨٠، و"لباب النقول في أسباب النزول" ص٢٠٦ للسيوطي.

(٣) ذكره أبو المظفر السمعاني في "تفسيره" ٥/ ٣٨٦ دون نسبة لأحد.

إلا زيدًا، ورويحًا «ويتنجَّون»، وقرأ الباقون «ويتناجون» بألف[1].

وفي معنى مناجيهم[2] ﴿بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ وجهان:

أحدهما: يتناجون بما يسوء المسلمين، فذلك الإثم والعدوان ويوصي بعضهم بعضًا بمعصية الرسول.

والثاني: يتناجون بعد نهي الرسول لهم، وذلك هو الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: نزلت في اليهود.

قالت عائشة رضي الله عنها: جاء ناسٌ من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: عليك السام[3] يا أبا القاسم! فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم، فقال رسول الله ﷺ: **"مَهْ يَا عَائِشَةُ! فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ"**. فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! أليس ترى ما يَقولونَ؟ فقال: **"أَلَسْتِ تَرَيْنِي مَا أَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَا يَقُولُونَ، وَأَقُولُ: وَعَلَيْكُمْ"**. قالَت: فنزَلت هذهِ

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٨، "معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٥٩، "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٠، "المبسوط في القراءات العشر" لأبي بكر أحمد بن الحسين النيسابوري ص٤٣١.

(٢) في (ر)، و(س): تناجيهم.

(٣) في (ر): السام عليك.

الآيـةُ في ذلـكَ[١].

قالَ الزَّجَّاج: والسَّام: الموت[٢].

والثاني: أنها نزلت في المنافقين، رواه عطية عن ابن عباس[٣].

قـال المفسرون: ومعنـى «حيـوك» سـلموا عليـك بغـير سـلام الله عليـك، وكانـوا يقولـون: سـام عليـك. فـإذا خرجـوا يقولـون في أنفسـهم؛ أي[٤]: يقـول بعضهـم لبعـض: لـو كان نبيًّـا عذبنـا بقولنـا لـه مـا نقـول.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ﴾ **فيهَا قوْلَانِ**:

أحدهمـا: أنَّهـا نزلـت في المنافقـين، **فالمعنـى**: ياأيهـا الذيـن آمنـوا بزعمهـم، وهـذا قـول عطـاء ومقاتـل[٥].

والثـاني: أنهـا في المؤمنـين، **والمعنـى**: أنـه نهاهـم عـن فعـل المنافقـين واليهـود، وهـذا مذهـب جماعـة، منهـم الزَّجَّـاج[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ﴾ هكذا قرأ الجماعة بألف.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٠، ٦٤٠١) بنحوه دون قولها: فنزَلَـت هـذهِ الآيةُ في ذلـكَ. وأخرجه بتمامه: مسلم (٢١٦٥/ ١١)، وأحمد في "مسنده" ٤٣/ ٩٢- ٩٣ (٢٥٩٢٤)، وإسحاق بن راهويه في "مسنده" ٣/ ٨١٥ (١٤٥٥).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٣٧.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٣٩).

(٤) في (ر): أو.

(٥) تفسير مقاتل (٤/ ٢٦١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٣٨).



وقرأ يعقوب وحده: «فلا تتنجوا»[(١)].

فأما البر؛ فقال مقاتل: هو الطاعة، «والتقوى»: ترك المعصية[(٢)].

وقال أبو سليمان الدمشقي: «البر»: الصدق، و«التقوى»: ترك الكذب.

ثم ذكر أن ما يفعله اليهود والمنافقون، من الشيطان، فقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: من تزيينه، والمعنى: إنما يزين لهم ذلك ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقد بيَّنَّا آنفًا ما كان يحزن المؤمنين من هذه النجوى ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا﴾؛ أي: وليس الشيطان بضارٍّ المؤمنين شيئًا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بإرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: فليكلوا أمورهم إليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة: ١١].

قوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ وقرأ عاصم: «في المجالس» على الجمع[(٣)]، وذلك لأنَّ كل جالس له مجلس،

---

(١) ظاهر كلام ابن الجوزي أنها بتاءين ثم نون ثم جيم، كقراءة الجميع لكن بحذف الألف كما هي مثبتة، غير أن ابن خالويه قال في "مختصر في شواذ القرآن" ص١٥٤: "إن انتجيتم فلا تنتجُوا" عن يعقوب. وقال أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوري في "المبسوط في القراءات العشر" ص٤٣١: قرأ يعقوب برواية رويس: "فَلَا تَنْتَجُوا" بالنون والتاء وضم الجيم من غير ألف.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٦١، وذكره عنه أيضا: الواحدي في "البسيط" ٢١/ ٣٤٤.

(٣) هي قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٨، و"الحجة للقراء=

فالمعنى: ليفسح كلُّ رجل منكم في مجلسه.

قال المفسرون: نزلت في نفرٍ من المؤمنين كانوا يسابقون إلى مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل المهاجرون وأهل السَّابقة، لم يجدوا موضعًا، وكان [٧٧٢/ ب] رسول الله ﷺ يحبُّ أن يليه أولو الفضل ليحفظوا عنه، فبينما رسول الله ﷺ يوم جمعة جالس في صفة ضيقة في المسجد، جاء نفرٌ من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس، فسلموا وانتظروا أن يوسعوا لهم، فأوسعوا لبعضهم، وبقي بعضهم، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ فقال: "**قُمْ يَا فُلَانُ، قُمْ يَا فُلَانُ**". حتى أقام من المجلس على عدة من هو قائم من أهل السَّابقة، فرأى رسول الله ﷺ في وجوه مَن أقامهم الكراهةَ، وتكلم المنافقون في ذلك، وقالوا: وَاللهِ ما عدَلَ. فنزلت هذه الآيةُ(١).

وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل مقبل ضنوا بمجلسهم، فأمرهم اللهُ تَعالى أن يفسح بعضهم لبعض(٢).

قال المفسرون: ومعنى «تفسحوا» توسعوا وذلك أنهم كانوا يجلسون متضايقين حولَ رسول الله ﷺ فلا يجد غيرهم مجلسًا عنده؛ فأمرهم أن يوسعوا لغيرهم ليتساوى الناسُ في الحظِّ منه، وتظهر فضيلة المقربين إليه

=السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٠.

(١) هذه الرواية في "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٦٢، وأخرجها ابْن أبي حَاتِم عَن مقَاتل بن حَيَّان كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٨٢، وذكرها الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٥٨- ٢٥٩ عن المقاتلَيْن، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٤٤ عن مقاتل بن حيان.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٢٩٣ (٣١٧٤)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٤٤، قال النحاس في "إعراب القرآن" ٤/ ٢٥٢: وصح عن قتادة أنه قال. ثم ذكره.

من أهل بدر وغيرهم.

وفي المراد «بالمجلس» هاهُنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه مجلس [الحرب][١]، ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف، فيقول لهم: توسعوا، فيأبون عليه لحرصهم على القتال، وهذا قول ابن عباس والحسن وأبي العالية، والقرظي.

والثَّاني: أنه مجلس رسول الله ﷺ، قاله مجاهدٌ.

وقال قتادة: كان هذا للنبي ﷺ ومن حوله خاصة[٢].

والثَّالث: مجالس الذكر كلها، روي عن قتادة أيضًا.

وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، والحسن، وعكرمة، وقتادة، وابن أبي عبلة، والأعمش: «تفسحوا في المجالس» بألف على الجمع[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: يوسع اللهُ لكم الجنة، والمجالس فيها.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «انشزوا فانشزوا» برفع الشين.

---

(١) في الأصل: لحرب، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٤٤ عن الضحاك، وذكره عنه أيضًا: مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١١/ ٧٣٦٥.

(٣) هي قراءة سبعة قرأ بها عاصم أيضًا، وقد سبق تخريجها قريبًا.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بكسر الشين فيهما[1].

ومعنى «انشزوا»: قوموا، قال الفرَّاء: وهما لغتنان[2].

وفي المراد بهذا القيام خمسة أقوال:

أحدها: أنَّه القيام إلى الصلاة، وكان رجالٌ يتثاقلون عنها، فقيل لهم: إذا نودي للصلاة فانهضوا، هذا قول عكرمة والضحاك.

والثاني: أنه القيام إلى قتال العدو، قاله الحسن.

والثالث: أنه القيام إلى كل خير من قتال أو أمر بمعروف ونحو ذلك، قاله مجاهد.

والرابع: أنه الخروج من بيت رسول الله ﷺ، وذلك أنهم كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله ﷺ أطالوا ليكون كل واحد منهم آخرهم عهدًا به، فأمروا أن ينشزوا إذا قيل لهم انشزوا، قاله ابن زيد.

والخامس: أن المعنى: قوموا وتحركوا وتوسعوا لإخوانكم، قاله الثعلبي[3].

قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾؛ أي: يرفعهم بإيمانهم على من ليس بمنزلتهم من الإيمان {و} {يرفع ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ} على من [٧٧٣/أ]

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٢٩، و"التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ص٢٠٩.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٤١.

(٣) "الكشف والبيان" ٩/ ٦٢.

ليس بعالم.

وهل هذا الرفع في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه وجهان:

أحدهما: أنه إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة.

والثاني: أنه ارتفاع مجالسهم في الدنيا، فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم.

وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس: افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٢ – ١٣].

قَوْلُه تعالى: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ في سببِ نُزولها قولَانِ:

أحدهما: أنَّ الناس سألوا رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل هذه الآيةَ قاله ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يكثرون مناجاة رسول الله ﷺ، ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآية.

---

(١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٦٠.

فأمَّا أهل العسرة؛ فلم يجدوا شيئًا، وأمَّا أهل الميسرة فبخلوا، واشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت الرخصة قاله مقاتل بن حيان[1]، وإلى نحوه ذهب مقاتل بن سليمان، إلا أنه قال: فقدر الفقراء حينئذ على مناجاة رسول الله ﷺ، ولم يقدم أحد من أهل الميسرة صدقة غير علي بن أبي طالب[2].

وروى مجاهد عن عليٍّ رضي الله عنه قال: آية في كتاب الله عزَّ وجلَّ لم يعمل بها أحدٌ قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى؛ كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قدمت درهمًا، فنسختها الآية الأخرى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا﴾... الآية[3].

قوْلُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾؛ أي: تقديم الصدقة على المناجاة خيرٌ لكم، لما فيه من طاعة الله، وأطهر لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ يعني: الفقراءَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إذ عفا عمن لا يجد.

قوْلُه تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾؛ أي: خفتم بالصدقة الفاقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة.

---

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٦١، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٨٤.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٦٣.

(٣) أخرجه الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٢٦٦ (١١٧٦)، والمصنف في "ناسخ القرآن ومنسوخه" ص٢٠٢-٢٠٣ (٢٠٤).



قال مقاتل بن حيان: إنما كان ذلك عشر ليال[1]. وقال قتادة: ما كان إلَّا ساعة من نهار[2].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٤ - ١٩].

قوْلُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزلت في المنافقين الذين تولوا اليهود، ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين.

قال السدي، ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، وذلك أنه كان يجالس رسول الله ﷺ ويرفع حديثه إلى اليهود، فدخل عليه يومًا، وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ: "**عَلَامَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ**"؟ فحلف بالله ما فعل، فقال له النبي ﷺ: «**فَعَلْتَ**» فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله هذه الآيات[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٨٤.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٢٩٥ (٣١٧٨)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٤٩، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه المصنف في "ناسخ القرآن ومنسوخه" ص٢٠٣.

(٣) ذكره الواحدي في "أسباب النزول" ص٧١٣، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ٨٥ لابن أبي حاتم وعبد بن حميد.

وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث ابن عباس، أنَّ رسول الله ﷺ كان في ظلِّ حجرة من حجره، وعنده نفرٌ من المسلمين، فقال: "[إِنَّهُ][1] سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَتَاكُمْ فَلَا [٧٧٣/ ب] تُكَلِّمُوهُ". فجاء رجلٌ أزرقُ، فدعاه رسولُ الله ﷺ فقال: "عَلَامَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ"؟ فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ﴾... الآية[2].

فأمَّا التفسير؛ فالذين تولوهم: المنافقون، والمغضوب عليهم: هم اليهود ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يعني: المنافقين ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ وهو ما ذكرنا في سبب نزولها.

وقال بعضهم: حلفوا أنهم ما سبوا رسول الله ﷺ ولا تولوا اليهودَ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم [كذبة][3].

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾؛ أي: سترة يتقون بها القتل.

قال ابن قتيبة: المعنى: استتروا بالحلف فكلَّما ظهر لهم شيءٌ يوجب معاقبتهم حلفوا كاذبين[4].

---

(١) من (ر).

(٢) "المستدرك على الصحيحين" لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ٢/ ٥٦٨ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٣) في الأصل: كذبوه، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٦٧.

﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: صدوا الناس عن دين الإسلام، قاله السدي.

والثاني: صدوا عن جهادهم بالقتل وأخذ مالهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ ﴾.

قال مقاتل، وقتادة: يحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين، كما حلفوا لأوليائه في الدنيا[١]. ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ من أيمانهم الكاذبة ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ في قولهم وأيمانهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾.

قال أبو عبيدة: غلب عليهم، وحاذهم، وقد بيَّنَّا هذا في سورة النِّسَاء عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ [آية:١٤١] وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾؛ أي: في المغلوبين، فلهم في الدنيا ذلٌّ، وفي الآخرة خزيٌ.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٠ - ٢٢].

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٦٤، وأخرجه عن قتادة: عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٢٩٥ (٣١٨١)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٥٥.

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي: قـضى الله ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ وفتـح اليـاء نافـعٌ، وابـن عامـر(١).

قـال المفـسرون: مـن بعـث مـن الرسـل بالحـرب، فعاقبـة الأمـر لـه، ومـن لم يبعـث بالحـرب، فهـو غالـب بالحجـة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾؛ أي: مانـع حزبَـه مـن أن يـذلَّ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾... الآيَةَ.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدهـا: نزلـت في أبي عبيـدة بـن الجـراح، قتـل أبـاه يـوم أحـد، وفي أبي بكـر دعـا ابنـه يـوم بـدر إلى الـبراز، فقـال: يـا رسـول الله! دعنـي أكـون في الرعلـة الأولى فقـال: مَتِّعْنَـا بِنَفْسِـكَ يَـا أَبَـا بَكْـرٍ. وفي مصعـب بـن عمـير، قتـل أخـاه عبيـد بـن عمـير(٢) يـوم أحـد، وفي عمـرو قتـل خالـه العـاص بـن هشـام يـوم بـدر، وفي عـلي وحمـزة قتـلا عتبـة وشـيبة يـوم بـدر، قالـه ابـن مسـعود(٣).

والثَّـاني: أنهـا نزلـت في أبي بكـر الصديـق، وذلـك أنَّ أبـا قحافـة سـبَّ رسـولَ الله ﷺ، فصكَّـه أبـو بكـر الصديـق صكَّـةً شـديدة سـقط منهـا، ثـم ذكـر ذلـك لرسـول الله ﷺ، فقـال لـه رسـول الله ﷺ: «أَوَفَعَلْتَـهُ» قـال: نعـم! قـال:

---

(١) هـي قـراءة سـبعية متواتـرة، ينظـر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٢٩، و"العنـوان في القـراءات السـبع" لأبي طاهـر إسـماعيل بـن خلـف السرقسـطي ص١٨٧.

(٢) كذا في الأصل، و(س)، وفي (ر): حمنة.

(٣) أخرجـه مقاتـل بـن حيـان مـن حديـث عبـد الله بـن مسـعود كـما في "الكشـف والبيـان" للثعلبـي ٩/ ٢٦٤، و"معـالم التنزيـل" للبغـوي ٥/ ٥٠.

"فَلَا تَعُدْ إِلَيْهِ". فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريبًا مِنِّي لقتلتُه. فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج(١).

والثالث: أنها نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ، وذلك أنه كان جالسًا إلى جنب رسول الله، فشربَ رسول الله ماءً، فقال عبد الله: يا رسول الله! أَبْقِ فضلةً من شرابك. قال: "وَمَا تَصْنَعُ بِهَا"؟ قالَ: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه. ففعل فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشربها، لعل الله يطهر قلبك. فقال: هلا جئتني ببول أمِّك. فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله [٧٧٤/أ] ائذن لي في قتل أبي، قال: فقال: رسول الله ﷺ: "ارْفُقْ بِهِ، وَأَحْسِنْ إِلَيْهِ". فنزلت هذه الآية قاله السُّدِّيُّ(٢).

والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أنَّ رسول الله ﷺ قد عزم على قصدهم، قاله مقاتل(٣)، واختاره الفرَّاء والزَّجَّاج(٤).

وهذه الآية قد بينت أنَّ مودة الكفار تقدَح في صحَّة الإيمان، وأن من كان مؤمنًا لم يوالِ كافرًا وإن كان أباه أو ابنه أو أحدًا من عشيرته.

---

(١) أخرجه ابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٨٦.

(٢) ذكرها الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٦٤.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٦٥.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٤٢، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٤١.

قَوْلُه تعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، يعني: لا يوادون من حاد الله ورسوله ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ وقرأ المفضل عن عاصم: «كُتِبَ» برفع الكاف، والنون من «الإيمانُ»[١].

وفي معنى «كتب» خمسة أقوال:

أحدها: أثبت في قلوبهم الإيمان، قاله الربيع بن أنس.

والثاني: جعل، قاله مقاتل[٢].

والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان حكاه الماوردي[٣].

والرابع: حكم لهم بالإيمان. وإنما ذكر القلوب؛ لأنها موضع الإيمان ذكره الثعلبي[٤].

والخامس: جمع في قلوبهم الإيمان حتى استكملوه، قاله الواحدي[٥].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾؛ أي: قواهم.

﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ **وفي المراد «بالروح» هاهنا خمسة أقوال:**

---

(١) هي قراءة آحاد، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٠، "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٢.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٦٦.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٤٩٦.

(٤) "الكشف والبيان" للثعلبي ٩/ ٢٦٥.

(٥) "البسيط" ٢١/ ٣٥٨، و"الوسيط" ٤/ ٢٦٨ للواحدي.

أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس، والحسن. فعلى هذا سمي النصر روحًا؛ لأنَّ أمرهم يحيا به.

والثاني: الإيمان، قاله السدي.

والثالث: القرآن، قاله الربيع.

والرابع: الرحمة، قاله مقاتل[١].

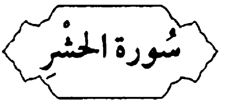
والخامس: جبريل عليه السلام أيدهم به يوم بدر ذكره الماوردي[٢].

فأما ﴿حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ فقال الزجاج: هم الداخلون في الجمع الذين اصطفاهم الله وارتضاهم، و«ألا» كلمة تنبيه وتوكيد للقصَّة.

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٦٦.

(٢) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٤٩٦.



وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعِهِم.

وذكر المفسرون أنَّ جميعها نزل[١] في بني النضير. وكان ابن عباس يسمِّي هذه السورةَ «سورة بني النضير»[٢].

وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل العلم بالتفسير والسير: أنَّ رسول الله ﷺ خرج إلى مسجد قباء، ومعه نفرٌ من أصحابه، فصلَّى فيه، ثم أتى بني النضير، فكلَّمهم أن يعينوه في ديةِ رَجُلين كان قد آمنهما، فقتلهما عمرو بن أميةَ الضمري وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل. وهمُّوا بالغدر به، وقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت، فأطرح عليه صخرة.

فقَال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما هممتهم به، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فنهض سريعًا، فتوجه إلى المدينة، فلحقه أصحابُه، فقالوا: قمتَ ولم نَشعُرْ؟ فقال: "هَمَّتْ يَهُودُ بِالْغَدْرِ، فَأَخْبَرَنِي اللهُ بِذَلِكَ، فَقُمْتُ".

وبعث إليهم رسول الله محمد بن مسلمة: "أَنِ اخْرُجُوا مِنْ بَلَدَتِي، فَلَا تُسَاكِنُونِي، وَقَدْ هَمَمْتُمْ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ، وَقَدْ أَجَّلْتُكُمْ عَشْرًا، فَمَنْ رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ".

---

(١) في (ر): أنزلت.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٣) عن سعيد بن جبير عنه.

فمكثوا أيَّامًا يتجهزون، فأرسل إليهم ابنُ أُبيٍّ: لا تَخرُجوا، فإنَّ معي ألفينِ من قومي وغيرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان.

[٧٧٤/ب] وطمع حييٌّ فيما قال ابنُ أُبيٍّ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك. فكبَّرَ رسول الله ﷺ، وكبَّرَ المسلمون لتكبيره، وقال: "حَارَبَتْ يَهُودُ".

ثُم سار إليهم في أصحابه، فلمَّا رأوه، قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظةُ، وخذَلَهم ابنُ أُبَيٍّ، وحلفاؤُهم من غطَفانَ، وكان رئيسُهم كعب بن الأشرفِ قد خرج إلى مكَّة فعاقد المشركين على التَّظاهر على رسول الله، فأخبر الله نبيَّهُ بذلك، فبعثَ محمدَ بن مَسلَمةَ فاغترَّه فقتَلَه، وحاصرهم رسول الله وقطعَ نخلَهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادك. فأجلاهم عن المدينة، فمضى بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى خيبر، وقبض أموالهم وسلاحهم[1]، فوجد خمسين درعًا، وخمسين بَيضةً، وثلاثمائة وأربعين سيفًا[2].

فأمَّا التفسير؛ فقد ذكرنا فاتحة هذه السورة في الْحَدِيد.

---

(١) في (ر): سلاحهم وأموالهم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" ٥/ ٣٥٨ (٩٧٣٣)، وأبو داود في "سننه" (٣٠٠٤)، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٣/ ١٧٨- ١٧٩ من طريق عبد الرزاق عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ٩٣ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ١ - ٥].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: يهود بني النضير ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾؛ أي: من منازلهم.

﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أوَّل من حشر وأخرج من داره، قاله ابن عباس(١).

وقال ابن السائب: هم أول من نفي من أهل الكتاب(٢).

والثَّاني: أن هذا كان أول حشرهم، والحشر الثاني: إلى أرض المحشر يوم القيامة، قاله الحسن.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" كما في "تفسير ابن كثير" ٨/ ٥٩.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٢٧٠.

قال عكرمة: من شكَّ أن المحشر إلى الشام فليقرأ هذه الآية، وأنَّ النبي ﷺ قال لهم يومئذٍ: "اخْرُجُوا". فقالوا: إلى أينَ؟ قال: "إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ"(١).

والثالث: أن هذا كان أول حشرهم.

والحشر الثاني: نارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، قاله قتادة.

والرَّابع: أن هذا كان أول حشرهم من المدينة، والحشر الثاني من خيبر.

وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام في أيَّام عمر بن الخطاب، قاله مرَّة الهمداني.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ يخاطب المؤمنين ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾ من ديارهم لعزِّهم، ومنعتِهم، وحصونهم ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ يعني: بني النضير أنَّ حصونهم تمنعهم من سلطان الله ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ وذلك أنَّه أمَرَ نبيَّه بقتالهم وإجلائهم، ولم يكونوا يظنون أن ذلك يكون ولا يحسبونه.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ لخوفهم من رسول الله ﷺ، وقيل: لقتل سيدهم كعب بن الأشرف.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ أبو عمرو: «يُخَرِّبون» بالتشديد، وقرأ الباقون «يُخْرِبُون» بالتَّخفيف(٢).

---

(١) أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٩٢.

(٢) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٢، و"معاني القراءات للأزهري" للأزهري ٣/ ٦٣، و"التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ص٢٠٩.

وهل بينهما [فرق][١]**، أمْ لا؟ فيه قولان:**

أحدهما: أنَّ المشددة معناها: النقض والهدم. والمخففة معناها: يخرجون منها ويتركونها خرابًا معطَّلةً، حكاه ابن جرير.

ورُوي عن أبي عمرو أنَّه قال: إنما اخترت التشديد؛ لأنَّ بني النضير نقضوا منازلهم، ولم يرتحلوا عنها وهي معمورة[٢].

والثَّاني: أن القراءتين بمعنى واحد.

والتَّخريب والإخراب: لغتان بمعنًى، حكاه ابن جرير عن أهل اللغة[٣].

وللمفسرين فيما فعلوا بمنازلهم أربعةُ أقوال:

أحدها: أنَّه كان المسلمون كلما ظهروا على دارٍ من دُورِهم هدموها ليتسع لهم مكان القتال وكانوا هم ينقبون دورهم، فيخرجون إلى ما [٧٧٥/أ] يليها، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه كان المسلمون كلما هدموا شيئًا من حصونهم نقضوا ما يبنون به الَّذي خربه المسلمون، قاله الضحاك.

والثالث: أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة في منازلهم، أو العمود، أو الباب، فيستحسنونه، فيهدمون البيوت، وينزعون ذلك منها، ويحملونه معهم، ويُخرِّب المؤمنون باقيها، قاله الزهري.

---

(١) في الأصل: فراق، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) "تفسير الطبري" ٢٣/ ٢٦٦.

(٣) "تفسير الطبري" ٢٣/ ٢٦٦.

والرابع: أنهم كانوا يخربونها لئلَّا يسكنها المؤمنون، حسدًا منهم، وبغيًا، قاله ابن زيد.

قَوْلُه تعَالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

الاعتبار: النظر في الأمور، ليعرفَ بها شيءٌ آخر من جنسها. «والأبصار»: العقول، والمعنى: تدبروا ما نزل بهم.

﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: قضى ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾ وهو خروجُهم مِن أوطانهم.

وذكر الماورديُّ بين الإخراج والجلاء فرقينِ:

أحدهما: أنَّ الجلاء: ما كان مع الأهل والولد، والإخراج: قد يكون مع بقاء الأهل والولد.

والثَّاني: أنَّ الجلاء لا يكون إلا لجماعةٍ، والإخراج: قد يكون لواحدٍ ولجماعة[1].

والمعنى: لـوْلَا أنَّ الله قضى عليهم بالخروج ﴿لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بالقتْلِ والسبي كما فعل بقريظة.

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ مع ما حل بهم في الدنيا ﴿عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ ذٰلِكَ الذي أصابهم ﴿بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ﴾ وقد سبق بيانُ الآية.

قال القاضي أبو يعلى: فقد دلَّت هذه الآية على جواز مصالحةِ أهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير سبيٍ ولا استرقاقٍ، ولا جزيةٍ، ولا

---

(١) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٥٠١.

دخـولٍ في ذمَّـةٍ، وهـذا حكـم منْسـوخٌ إذا كان في المسـلمين قـوَّةٌ عـلى قتالهـم؛ لأنَّ الله تعـالى أمـر بقتـال الكفَّـار حتـى يسـلموا، أو يـؤدوا الجزيـة، وإنـما يجـوز هـذا الحكـمُ إذا عجـز المسـلمون عـن مقاومتِهـم فلـم يقـدروا عـلى إدخالهـم في الإسـلام أو الذمـة، فيجـوز لـه حينئـذٍ مصالحتُهُـم عـلى الجـلاء مـن بلادِهِـم.

وفي هـذه القصَّـة دلالـةٌ عـلى جـواز مصالحتهـم عـلى مجهـولٍ مـن المـال؛ لأنَّ النَّبـي ﷺ صالحَهـم عـلى أرضهـم، وعـلى الحلقـة، وتـرك لهـم مـا أقلـت الإبـل، وذلـك مجهـول.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾.

سـبب نزولهـا: أنَّ رسـول الله ﷺ حـرَّق نخـلَ بنـي النضـير، وقطـعَ، فنزلـت هـذه الآيـة، أخرجـه البخـاري ومسـلم مـن حديـث ابـن عمـر[١].

وذكـر المفسِّرون أنَّـه لمـا نزلـت ببنـي النضـير تحصَّنـوا في حصونهـم، فأمـر بقطْـعِ نخيلهـم، وإحراقهـا، فجزعـوا، وقالـوا: يـا محمـدُ! زعمْـتَ أنَّـك تريـد الصَّـلاحَ، أفمِـن الصَّـلاح عقـر الشـجر، وقطـع النخـل؟! وهـل وجـدت فيـما أنـزل عليـك الفسـاد في الأرض؟! فشـقَّ ذلـك عـلى رسـول الله ﷺ ووجـد المسـلمون في أنفسـهم مـن ذلـكَ[٢].

واختلـف المسـلمون فقـال بعضهـم: لا تقطعـوا فإنه مما أفـاء الله علينا. وقال بعضهـم: بـل نغيظهـم بقطعهـا، فنزلت هـذه الآية، بتصديـقِ مَن نهى عـن قطعه،

(١) "صحيح البخاري" (٤٠٣١)، و"صحيح مسلم" (١٧٤٦).

(٢) في (ر)، و(س): قولهم.



وتحليل من قطعه من الإثم، وأخبر أنَّ قطعه وتركه بإذن الله تعالى.

وفي المراد «باللينة» ستَّةُ أقوال:

أحدها: أنَّه النَّخل كلُّه ما خلا العجوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس[(١)]، وبه قالَ عكرمةُ[(٢)] وقتادة[(٣)] والفرَّاء[(٤)].

[٧٧٥/ب] **والثَّاني:** أنَّه النَّخل والشَّجر، رواه عطاء عنِ ابن عباس[(٥)].

والثَّالث: أنَّه ألوان النخل كلها إلَّا العجوة، والبرنية، قاله الزهري[(٦)]، وأبو عبيدة[(٧)]، وابن قتيبة[(٨)].

---

(١) أخرجه الفراء في "معاني القرآن" ٣/ ١٤٤.

(٢) أخرجه يحيى بن سلام في "تفسيره" ٢/ ٧١٢، وَابْن أبي شيبَة في "مصنفه" ١٧/ ٥٩٠ (٣٣٨٢٨)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٦٩، وزاد السيوطي في الدر المنثور" ٨/ ٩٨ عزوه لسعيد بن مَنْصُور وَعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٢٩٧ (٣١٨٧)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٦٩.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٤٤.

(٥) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٧١.

(٦) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٦٩، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ٩٨ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر، وذكره البخاري معلقًا قبل حديث (٤٨٨٤) دون نسبة لأحد.

(٧) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٦.

(٨) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٥٩.

وقالَ الزَّجَّاج: أهل المدينة يُسمُّون جميعَ النخيل: الألوان، ما خلا البرني، والعجوة. وأصل «لينة»: لونة، فقلبت الواو ياءً؛ لانكسار ما قبلها[١].

والرَّابع: أنها النخل كلُّه، قاله مجاهد، وعطية، وابن زيد.

قال ابن جرير. معنى الآية: ما قطعتم من ألوان النخيل[٢].

والخامس: أنها كرام النخل، قاله سفيان.

والسَّادس: أنها ضرب من النخل، يقال لتمرها: اللون، وهي شديد الصُّفرة ترى نواه من خارج، وكان أعجب ثمرهم إليهم[٣]، [قالَه مقاتل][٤].

وفي عدد ما قطع المسلمون ثلاثةُ أقوال:

أحدها: أنهم قطعوا وأحرقوا ستَّ نخلات، قاله الضحاك.

والثاني: أحرقوا نخلة، وقطعوا نخلة، قاله ابن إسحاق.

والثالث: قطعوا أربع نخلات، قاله مقاتل[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال يزيد بن رومان، ومقاتل: بأمر الله[٦].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٤٤.

(٢) "تفسير الطبري" ٢٣/ ٢٦٨.

(٣) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: إليه.

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٧٧.

(٦) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٧٧، وأخرجه عن يزيد بن رومانَ: الطبريُّ في "تفسيره" ٢٣/ ٢٧٢.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ يعني: اليهود. وخزيهم: أن يريهم أموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف أحبوا.

والمعنى: وليخزي الفاسقين، أذن في ذلك، ودلَّ على المحذوف قوله: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٦ - ١٠].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾؛ أي ما ردَّ عليهم ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني: من بني النضير.

﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ قال أبو عبيدة: الإيجافُ: الإيضاع، والرِّكاب: الإبل[1]. قال ابن قتيبة: يقال وجف الفرس والبعير،

---

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٦.

وأوجفته، ومثله: الإيضاع، وهو الإسراع في السير[١].

وقال الزَّجَّاج: معنى الآية: أنه لا شيءَ لكم في هذا، إنما هو لرسول الله ﷺ خاصَّة[٢].

قال المفسِّرون: طلَبَ المسلمون من رسول الله ﷺ أن يخمس أموالَ بني النضير لما أجلوا، فنزلت هذه الآية تُبيِّن أنها فيء لم تحصل لهم بمحاربتِهم، وإنما هو بتسليط رسول الله ﷺ، فهو له خاصَّة يفعل فيه ما يشاء، فقسَّمه رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يُعط الأنصارَ منه شيئًا، إلَّا ثلاثة نفرٍ كانت بهم حاجة، وهم: أبو دجانة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصِّمَّة.

ثُمَّ ذكر حكم الفيء؛ فقال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾؛ أي: من أموال كفار أهل القرى ﴿فَلِلَّهِ﴾؛ أي: يأمركم فيه بما أحبّ، {وَلِرَسُولِهِ} بتحليل الله إيَّاه. وقد ذكرنا ذوي القرى واليتامى في الأنفالِ، وذكرنا هناك الفرق بين الفيء والغنيمة.

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٦٠.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٤٥.



فَصْلٌ

واخْتلف العلماءُ في حُكْم هذه الآيةِ:

فذهب قومٌ أنَّ المراد بالفيء هَاهُنا: الغنيمةُ التي يأخذها المسلمون من أموال الكافرين عنوةً، وكانت في بدو الإسلام للذين سمَّاهم الله هاهنا دون [الغالبين][1] الموجفين عليها، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في الأنفال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾... الآية [آية: ٤١] هذا قول قتادة، ويزيد بن رومان.

وذهَبَ قومٌ إلى أنَّ هذا الفيء: ما أخذ من أموال المشركين ما لم يوجف بخيلٍ ولا ركابٍ؛ كالصلح، والجزية، والعشور، ومال من مات [٧٧٦/أ] منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كان يقسم في زمَنِ رسول الله ﷺ خمسةَ أخماسٍ، فأربعةٌ لرسول الله ﷺ يفعل بها ما يشاء، والخُمُس الباقي للمذكورين في هذه الآية.

واختلف العُلماء فيما يُصنع بسهْمِ رسُول الله ﷺ بعد موْتِه على ما بيَّنَّا في الأنفَالِ، فعلى هذا تكون هذه الآية مثبتةً لحكم الفيء، والتي في الأنفَالِ مثبتة لحكم الغنيمة فلا يتوجه النسخ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ﴾ يعني: الفيءَ ﴿دُولَةًۢ﴾: وهو اسمٌ للشيء يتداوله القوْمُ. **والمعنى:** لئلَّا يتداوله الأغنياءُ بينهم فيغلبوا الفقراءَ عليه.

---

(١) في الأصل: العالَمين، والمثبت من سائر النسخ.

قال الزَّجَّاج: الدُّولة: اسمُ الشيء يتداول. والدَّولة، بالفتح: الفعل والانتقال من حالٍ إلى حالٍ(١).

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ مِنَ الفيء ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ﴾ عن أخذه فانتهوا، وهذا نزَل في أمر الفيء، وهو عامٌّ في كلِّ ما أمر به، ونهى عنه.

قال الزَّجَّاج: ثم بَيَّن مَنِ المساكين الذين لهم الحقُّ؛ فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾(٢). قال المفسرون: يعني بهم المهاجرين.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: رزقًا يأتيهم ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ رِضى ربِّهم حين خرجوا إلى دار الهجرة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم.

ثم مدح الأنصار حين طابتْ أنفسُهُم عن الفيء؛ فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ يعني: دار الهجرة، وهي المدينة ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: والذين تبوؤوا الدَّار من قبلهم؛ أي: من قبل المهاجرين، والإيمان عطْف على «الدار» في الظَّاهر، لا في المعنى؛ لأنَّ «الإيمان» ليس بمكانٍ يتبوأ، وإنما تقديره: وآثروا الإيمان، وإسلام المهاجرين قبل الأنصار، وسكنى الأنصار المدينة قبل المهاجرين. وقيل: الكلام على ظاهره.

والمعنى: تبوؤوا الدار والإيمان قبل الهجرة.

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٤٦.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٤٥.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك أنهم شاركوهم في منازلهم، وأموالهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾؛ أي: حسدًا وغيظًا مما أوتي المهاجرون.

وفيما أُوتوه قوْلَانِ:

أحدهما: مالُ الفيء، قاله الحسن.

وقد ذكرنا آنفًا أنَّ النبي ﷺ قسَّم أموالَ بني النضير بين المهاجرين، ولم يُعط من الأنصار غير ثلاثة نفرٍ.

والثَّاني: الفضل والتقدُّم، ذكرَه الماوردي[١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: الأنصارَ، يؤثرون المهاجرين على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؛ أي فقرٌ وحاجةٌ، فبيَّن الله عز وجل أنَّ إيثارهم لم يكن عن غنى.

وفي سبب نزولِ هذا الكلام قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّ رجلًا أتى رسول الله ﷺ، وقد أصابه الجهد، فقال: يا رسول الله! إني جائع فأطعمني. فبعث رسول الله ﷺ إلى أزواجه: **"هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ"**؟ فكلُّهن قلنَ: والذي بعثَكَ بالحقِّ ما عندنا إلا الماء. فقال: ما عند رسول الله ﷺ ما يطعمُك هذه الليلة.

ثم قال: **"مَنْ يُضيفُ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؛ رحمهُ[٢] اللهُ"**؟ فقام رجُلٌ فقال: أنا يا رسول الله! فأتى بِه منزلَه، فقال لأهلِه: هذا ضيفُ رسول الله ﷺ،

---

(١) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٥٠٥.

(٢) في (ر): يرحمه.

فأكْرِميه ولا تدَّخري عنه شيئًا. فقالت: ما عندنا إلَّا قوتُ الصِّبية. فقال: قومي فعلِّليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئًا، ثم أصْبحي [٧٧٦/ ب] سِراجك، فإذا أخذ الضَّيفُ ليأكلَ، فقُومي كأنَّك تُصلحين السِّراج، فأطفئيه، وتعاليْ نمضغ ألسنتنا لأجل ضيف رسول الله ﷺ حتى يشبع، ففعلت ذلك، فظنَّ الضيف أنهما يأكلان معه، فشبع هو، وباتا طاويين، فلمَّا أصبحا غدوا إلى رسول الله ﷺ، فلما نظر إليهما تبسَّم، ثُمَّ قال: "ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ، أَو عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا"؛ فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾... الآيةَ.

خرَّجَه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة[١].

وفي بعض الألفاظ عن أبي هريرة: أنَّ الضيف كان من أهل الصُّفَّة، والمضيف كان من الأنصار، وأنَّ النبي ﷺ قال: «لَقَدْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا أَهْلُ السَّمَاءِ»[٢].

والثَّاني: أنَّ رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ أُهديَ له رأسُ شاةٍ، فقال: إنَّ أخي فلانًا وعيالَه أحوج إلى هذا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى واحد حتى تناولها سبعة أهل أبيات، حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر[٣].

---

(١) "صحيح البخاري" (٣٧٩٨)، و"صحيح مسلم" (٢٠٥٤)، وأخرجه البغوي في "تفسيره" ٥/ ٥٨- ٥٩ من طريق البخاري.

(٢) هذه الرواية أخرجها الواحدي في "أسباب النزول" ص٤١٩.

(٣) أخرجه الْحَاكِم في "مستدركه" ٢/ ٥٧٠، وصححهُ، وَالبيهقيُّ فِي "شعب الإِيمان" ٥/ ١٤١ (٣٢٠٤)، والواحدي في "أسباب النزول" ص٤٢٠، وقوام السنة في "الترغيب=



وروي نحو هذه القصة عن أنس بن مالك قال: أهدي لبعْض الصَّحابة رأسُ شاة مشوي، وكان مجهودًا، فوجه به إلى جارٍ له فتناوله تسعة أنفس، ثم عاد إلى الأول، فنزلت هذه الآية[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ وقرأ ابن السميفع، وأبو رجاء: «ومن يوقَّ» بتشديد القاف[٢].

قال المفسرون: هو أن لا يأخذَ شيئًا مما نهاه الله عنه ولا يمنع شيئًا أمره الله بأدائه.

والمعنى: أنَّ الأنصار ممن وقي شح نفسه حين طابت أنفسهم بترك الفيء للمهاجرين.

فَصْلٌ

وقدِ اخْتلف العلماءُ في الشحِّ والبُخل هل بينهما فرْقٌ أمْ لَا؟

فقال ابْنُ جرير: الشُّحُّ في كلام العرب: هو منْعُ الفضْلِ مِنَ المالِ[٣].

وقال أبو سُليمان الخَطَّابيُّ: الشُّحُّ أبْلغُ في المنع من البخل، وإنَّما الشُّح بمنزلة الجنْسِ، والبخلُ بمنزلة النوْعِ، وأكثرُ ما يُقال في البخل:

=والترهيب" ٢/ ٢٦٦ (١٥٥٦)، وزاد السيوطي في "الدر المأثور" ٨/ ١٠٧، عزوه لابن مردويه.

(١) ذكرها الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٧٩.

(٢) هي قراءة شاذة قرأ بها أيضًا: محمد بن النضر القارئ كما في "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٥، ونسبها لأبي حيوة: ابنُ عطية في "المحرر الوجيز" ٥/ ٢٨٨ .

(٣) "تفسير الطبري" ٢٣/ ٢٨٥.

إنَّما هو في أفرادِ الأمور وخواصِّ الأشياء، والشُّحُّ عامٌّ فهو كالوصف اللَّازم للإنسان من قبل الطبع والجِبلَّة.

وحكى الخطَّابي عن بعْضِهم أنَّه قال: البخْلُ: أن يضنَّ بمالِه، والشُّحّ: أن يبْخلَ بماله ومعروفه[١].

وقد روى أبو الشَّعثاء أنَّ رجلًا أتى ابنَ مسعُودٍ، فقال: إنِّي أخاف أن أكون قد هلكْتُ. قال: وما ذاك؟ قال: أسمع اللهَ يقُول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ وأنا رجلٌ شحِيحٌ لا يكادُ يخْرجُ من يدي شيءٌ، فقَال: ليس ذلك بالشحِّ الذي ذكرَهُ الله في القرآن، الشُّحُ: أنْ تأْكُلَ مالَ أخيك ظلمًا، إنما ذلك البُخل، وبئس الشيْءُ البخْلُ![٢].

وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ، أنَّه[٣] قالَ: «بَرِئَ مِنَ الشُّحِّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ، وَقَرَى الضَّيْفَ، وَأَعْطَى فِي النَّائِبَةِ»[٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: التابعين إلى يوم القيامة.

قال الزَّجَّاج: والمعْنَى: ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول ولهؤلاء المسلمين، وللذين يجيئونَ مِن بعدِهم إلى يوم القيامة مَا أقاموا على محبَّةِ

(١) "معالم السنن" للخطابي ٢/ ٨٣- ٨٤.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٨٥- ٢٨٦، والخطابي في "بيان إعجاز القرآن" ص٣٠- ٣١، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٨٠.

(٣) ليست في (ر).

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٨٦، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٨١، والبيهقي في "شعب الإيمان" ١٣/ ٢٨٩ (١٠٣٤٨)، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ١٠٩- ١١٠ عزوه لابن مردويه.

أصحابِ رسول الله ﷺ، ودليل هذا قوْلُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾؛ أي: الذين جاؤوا في حال قوْلهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ فمن ترحَّم على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن في قلبه غِلٌّ لهم، فله حظٌّ من فيءِ المسلمين، ومن شتَمَهم ولم يترحَّمْ عليهم، وكان في قلبه غلٌّ لهم، فما جعل اللهُ له حقًّا في شيءٍ من فيء المسلمين بنصِّ الكتاب[١]. [٧٧٧/أ]

وكذلك روي عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنَّه قال: من تنقَّص أصحَابَ رسُولِ الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غِلٌّ فليس له حقٌّ في فيءِ المسلمين، ثُمَّ تلَا هذه الآيات[٢].

وروى الشَّعبيُّ عنْ بعضِ أشْياخِهِ، قالَ: فُضِّلتِ اليهود والنَّصارى على الرَّافضة بخصْلَةٍ، سُئلَتِ اليهودُ مَن خيرُ أهل ملَّتِكم؟ فقالَتْ: أصحاب موسى. وسُئِلتِ النَّصارى مَن خيرُ أهلِ ملَّتِكم؟ فقالُوا: حواري عيسى. وسُئلَتِ الرَّافضة مَن شرُّ أهل ملَّتِكُم، فقالوا: أصحاب محمدٍ، أُمروا بالاسْتغفار لهم فسبُّوهم[٣].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٤٦- ١٤٧.

(٢) أخرجه عن مالك مسندًا: أبو القاسم الجوهري في "مسند الموطأ" (٨٥، ٨٤).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨/ ١٤٦١- ١٤٦٢)، والسنة للخلال (١/ ٤٩٦ - ٤٩٨)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (١/ ٢٣- ٢٦) عن ابن شاهين في كتاب: "اللطيف من السنة" وخشيش بن أصرم في كتابه، ومن طريقه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه "الأصول". وقال: فهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضًا، وبعضها يزيد على بعض، لكن عبد الرحمن بن مالك ضعيف، وذم الشعبي لهم - الرافضة - ثابت من طرق أخرى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١١ - ١٧].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني: عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾ في الدين؛ لأنهم كفارٌ مثلهم[1]، وهم اليهود ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾؛ أي: في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ فكذّبهم الله تعالى في ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

ثم ذكر أنهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر بالآية التي تلي هذه، فكان الأمر على ما ذكره الله تعالى؛ لأنّهم أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقوتلوا فلم ينصروهم.

ومعنى ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾: لئن قدر وجود نصرهم؛ لأنَّ الله نفى نصرهم فلا يجوز وجوده. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يعني: بني النضير.

(١) أشار ناسخ الأصل في الحاشية إلى نسخة فيها: ملتهم.

قَوْلُه تعَالى: ﴿لَأَنتُمْ﴾ يعني: المؤمنين ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم﴾ وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم المنافقون، قاله مقاتل[١].

والثاني: أنَّهم بنو النضير، قاله الفرَّاء[٢].

قَوْلُه تعَالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولَانِ:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون.

والثَّاني: اليهود والمنافقون، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والمعنى: أنهم لا يبرزون لحربكم إنَّما يقاتلون متحصنين ﴿فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان: «من وراء جِدار» بألِفٍ.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «جُدُر» بضمِّ الجيم والدَّال[٣].

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٨١.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٤٦.

(٣) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٢، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٣، و"التيسير في علم القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ص١٧٠.

وقرأ أبو بكر الصديقُ، وابْنُ أبي عبلة: "جَدَر" بفتح الجيم والدَّال جميعًا[١].

وقرأ عمر بن الخطاب، ومعاوية، وعاصمٌ الجحدري: "جَدْر" بفتح الجيم وسكون الدَّال[٢].

وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، [وعكرمة][٣]، والحسن، وابن سيرين، وابن يعمر: "جُدْر" بضم الجيم وإسكان الدَّال[٤].

﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞ﴾ وفيه قوْلان:

أحدهما: عداوةُ بعضِهِم لبعضٍ شديدةٌ.

والثَّاني: أنَّ بأسَهم بينهم فيما وراءَ الحصون شديدٌ، وإذا خرجُوا إليكم فهم أجبَنُ خلْقِ اللهِ.

---

(١) هي قراءة شاذة، ينظر: "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" ص٦٤٧، و"رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" للحافظ عبد الرزاق الرسعني ص٨١.

(٢) هي قراءة شاذة أيضا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٥ ونسبها لابن كثير في رواية، و"رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" للحافظ عبد الرازق الرسعني ص٨١، و"إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" للدمياطي ص٥٣٨.

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) هي قراءة شاذة أيضًا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٥، و"رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" للحافظ عبد الرزاق الرسعني ص٨١، و"إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" للدمياطي ص٥٣٨.

قَوْلُه تعَالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ **فيهم قولان:**

أحدهما: أَنَّهمُ اليهود والمنافقون، قاله مُقاتِلٌ[١].

والثَّاني: بنو النَّضير، قاله الفرَّاء[٢].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ قال الزَّجَّاج: أي: وهم مختلفون لا تستوي قلوبُهم، ولا يتعاونون بنيَّاتٍ مجتمعة؛ لأنَّ الله تعالى ناصرُ حزبه وخاذلُ أعدائِه[٣].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني ذلك الاختلاف بأنهم قوم لا يعقلون ﴿مَا فِيهِ﴾ الحظ لهم، ثم ضرب لليهود مثلًا؛ فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗا﴾.

[٧٧٧/ ب] **وفيهم ثلاثة أقوال:**

أحدها: أَنَّهم بنو قينقاع، قاله ابن عبَّاسٍ.

وكان بنو قينقاع يهودًا، وكانوا وَادَعُوا[٤] رسولَ الله ثم غدروا به[٥] فحاصرهم[٦]، ثم نزلوا على حكمه، أنَّ له أموالهم ولهم النساء والذرية.

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٨١.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٤٦.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٤٨.

(٤) أشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: واعدوا.

(٥) ليست في (ر).

(٦) في (ر): فحصروهم.

والمعنى: مثل بني النضير فيما فعل بهم كبني قينقاع فيما فعل بهم.

والثَّاني: أنهم كفار قريش يوم بدر، قاله مجاهد[١].

والمعنى: مثل هؤلاء اليهود كمثل المشركين الذين كانوا من قبلهم قريبًا، وذلك لقرب غزوة[٢] بني النَّضير من غزاة بدر.

والثالث: أنهم بنو قريظة.

فالمعنى: مثل بني النضير كبني قريظة ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ بأن قتلت مقاتلتهم، وسبيت ذراريهم، وهؤلاء أجلوا عن ديارهم، فذاقوا وبال أمرهم.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلًا، فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾.

والمعنى: مثل المنافقين في غُرورهم بني النضير وقولهم: {لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولئن قوتلتم لننصرنكم}.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه مثل ضربه الله تعالى للكافر في طاعة الشيطان، وهو عامٌّ في جميع الناس، قاله مجاهد[٣].

---

(١) "تفسير مجاهد" ص٦٥٣، وأخرجه عنه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٩٣، وزاد السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ١١٥ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) في (ر): غزاة.

(٣) "تفسير مجاهد" ص٦٥٣، وأخرجه عنه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٩٧، وعبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١١٩.



والثَّاني: أنَّه مثَلٌ ضرَبَه اللهُ تعَالى لشخْصٍ مُعيَّنٍ، وعلى هذا جمهور المفسرين.

وهذا شرحُ قصَّتِهِ:

ذكر أهْلُ التفسير أنَّ عابدًا من بني إسرائيل كان يُقال له: بَرْصِيصَا، تعبَّدَ في صوْمعَةٍ له أربعين سنةً لا يقدر عليه الشَّيطانُ، فجمع إبْلِيسُ يومًا مردَةَ الشَّياطينِ، فقَال: ألا أحَدٌ منْكُم يكفِيني بَرْصِيصَا؟

فقال الأَبْيض: وهو صاحب الأنبياء أنا أكفيكه.

فانطلق على صفة الرُّهبان، وأتى صومعتَه، فناداه فلم يجبْه وكان لا ينْفتِلُ عن صلاتِه، إلَّا في كل عشرة أيَّامٍ، ولا يفطر إلَّا في كلِّ عشرة أيَّام، فلمَّا رأى أنَّه لا يجيبُه أقبلَ على العبادة في أصْل صومعته، فلمَّا انْفَتل بَرْصِيصَا، اطَّلع فرَآه مُنْتصبًا يُصلِّي على هيئةٍ حسنةٍ، فناداه ما حاجتُك؟

فقَالَ: إنِّي أحببت أن أكون معك، أقتبس من عمَلِك، وأتأدَّبُ بأدَبِك، ونجتمع على العبادة.

فقال برصيصا: إني لفي شغُلٍ عنك. ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يُصلِّي، فلم يقبل إليه بَرْصِيصا أربعين يومًا، ثُمَّ انفتل فرآه يصلي، فلمَّا رأى شدةَ اجتهادِه، قال: ما حاجتك؟

فأعاد عليه القولَ: فأذن له فصعِدَ إليه، فأقام معه حوْلًا لا يفطر إلا كُلَّ أربعين يومًا، ولا ينفتل من صلاته إلا في كلِّ أربعين يومًا، وربما زاد على ذلك، فلما رأى بَرْصِيصا اجتهادَه أعجبه شأنُه وتقاصرت إليه نفسُه، فلما حال الحول؛ قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق عنك، فإن لي صاحبًا

غـيرك ظننـت أنَّـك أشـدُّ اجتهـادًا ممـا أرى، وكان يبلغنـا عنـك غير الـذي أرى. فاشـتدَّ ذلـك عـلى برصيصـا، وكـره مفارقتَـه، فلـما ودَّعـه قـال لـه الأبيـض: إن عنـدي دعـوات أعلمكهـا يشـفي الله بهـا السـقيم، ويعـافي بهـا المبتـلى.

فقـال برْصِيصَـا: إني أكـره هـذه المنزلـة؛ لأنَّ لي في نفـسي شـغلًا، فأخـاف أن يعلـم النَّـاس بهـذا، فيشـغلوني عـن العبـادة. فلـم يـزل بـه حتـى علمـه إيَّاها.

ثـم انطلـق إلى إبليـس فقـال: قـد والله أهلكـت الرجـلَ، فانطلـق الأبيض، فتعـرض لرجـل فخنقـه، ثـم جـاءه في صـورة رجـل متطبِّـب، فقَـال لأهلـه: إنَّ [٧٧٨/ أ] بصاحبكـم جنونًـا فأعالجـه؟! قالـوا: نعـم. فقـال لهـم: إني لا أقـوى عـلى جنِّيـه، ولكـن سأرشـدكم إلى مَـن يدعـو لـه فيعـافى. فقالـوا لـه: دلنـا.

قـال: انطلقـوا إلى برصيصـا [العابـدِ][(١)] فـإنَّ عنـده اسـمَ الله الأعظـم. فانطلقـوا إليـه فسـألوه[(٢)] فدعـا بتلـك الكلـمات، فذهـب عنهـم الشـيطان، وكان الأبيـض يفعـل بالنَّاس ذلـك، ثـم يرشـدهم إلى بَرْصِيصـا، فيعافـون، (إلى أنِ)[(٣)] انْطلَـق إلى جاريـةٍ مـن بنـاتِ ملـوكِ بنـي إسرائيـل، لهـا ثلاثـةُ إخـوة، فخنقهـا، ثُـم جـاء إليهـم في صـورة متطبِّـب، فقـال أعالجهـا؟ قالـوا: نعـم. فقـال: إنَّ الـذي عـرض لهـا مـاردٌ لا يطـاق، ولكـن سأرشـدكم إلى رجـل تدعونهـا عنـده، فـإذا جـاء شـيطانها دعـا لهـا. قالـوا: ومـن هـو؟

---

(١) من (ر).

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ر): فلما طال ذلك عليه.

قـال: بَرْصِيصـا. قالـوا: فكيـف لنـا أن يقبلهـا منَّـا وهـو أعظـم شـأنًا مـن ذلـك؟ قـال: إن قبلهـا، وإلا فضعوهـا في صومعتـه، وقولـوا لـه: هـي أمانـة عنـدك. فانطلقـوا إليـه فأبـى عليهـم، فوضعوهـا عنـده.

وفي بعـض الروايـات أنَّـه قـال: ضعوهـا في ذلـك الغـار، وهـو غـار إلى جنْـبِ صوْمعتـهِ، فوضعوهـا، فجـاء الشـيطانُ فقـال لـه: انـزل إليهـا فامسـحها بيـدك تعـافى، وتنـصرف إلى أهلهـا. فنـزل، فلـما دنـا إلى بـاب الغـار دخـل الشَّـيطان فيهـا، فـإذا هـي تركـض، فسـقطت عنهـا ثيابهـا، فنظـر العابـد إلى شيءٍ لم يـر مثلـه حسـنًا وجمـالًا، فلـم يتمالـك أنْ وقَـع عليهـا، وضُرب عـلى أذنـه، فجعـل يختلـف إليهـا إلى أنْ حمِلَـتْ.

فقـال لـه الشـيطان: ويحـك يـا بَرْصِيصـا قـدِ افْتُضحـت، فهـل لـك أن تقتـل هـذه وتتـوب؟ فـإن سـألوك عنهـا قلـت: جـاء شـيطانها، فذهـب بهـا. فلـم يـزل بـهِ حتـى قتلهـا، ودفنهـا، ثـم رجـع إلى صومعتـه، فأقبـل عـلى صلاتـه إذ جـاء إخوتهـا يسـألون عنهـا، فقالـوا: يـا برصيصـا مـا فعلـت أختنـا؟ قـال: جـاء شـيطانها فذهـب بهـا، ولم أطقـه. فصدقـوه، وانصرفـوا.

وفي بعـض الروايـات أنَّـه قـال: دعـوت لهـا، فعافاهـا الله، ورجعـت إليكـم. فتفرقـوا ينظـرون لهـا أثـرًا، فلـما أمسـوا جـاء الشـيطان إلى كبيرهـم في منامـه، فقـال: ويحـك! إن بَرْصِيصـا فعـل بأختـك كـذا وكـذا، وإنـه [دفنهـا][1] في موضـع كـذا مـن جبـل كـذا. فقـال: هـذا حلـم، وبرصيصـا خـير مـن ذلـك. فتتابـع عليـه ثـلاث ليـال، وهـو لا يكـترث، فانطلـق إلى الأوْسـط كذلـك، ثـم

---

(١) في الأصل: قتلها، والمثبت من سائر النسخ.

إلى الأصغر مثل ذلك.

فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا. فقال الأوسط: وأنا والله. فقال الأكبر: وأنا والله. فأتوا بَرْصِيصا، فسألوه عنها: فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكأنكم اتهمتموني. قالوا: لا والله. واستحيوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان، فقال: ويحكم إنها لمدفونةٌ في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب. فانطلقوا، فحفروا عنها، فرأوها، فقالوا: يا عدوَّ الله لمَ قتلتها؟ اهبط. فهدموا صومعتَه، ثم أوْثقوه، وجعلوا في عنقه حبلًا، ثم قادوه إلى الملك فأقرَّ على نفسه، وذلك أنَّ الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر، فاعترف. فأمر الملك بقتله وصلْبِه، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات، ويحك ما اتقيت الله في أمانةٍ خنت أهلها، أما استحييت من [٧٧٨/ ب] الله؟ ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباهك بين الناس؟ فإن مت على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحد من نظرائك.

قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلةٍ حتى أنجيك، وآخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك. قال: ما هي؟ قال: تسجد لي. فسجد له، فقال: هذا الذي أردتُ منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾؛ ثم قتل. فضرب الله هذا المثل لليهود حين غرَّهم المنافقون، ثم أسلموهم(١).

---

(١) القصة بتمامها أخرجها: الثعلبيُّ في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٨٤- ٢٨٦، وذكرها البغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٦٣- ٦٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ ونصب ابـن كثـير، ونافـع، وأبـو عمـرو يـاء: "إني" وأسـكنها الباقـون[1]. وقـد بيَّنَّـا المعنـى في الأنفـال [آيـة:٤٨] ﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ﴾ يعنـي: الشـيطانَ وذلـك الكافـر.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[الحشر: ١٨ – ٢٠].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾؛ أي: لينظـر أحدكـم أيَّ شيء قـدم؟ أعمـلًا صالحًـا يُنجيـه؟ أم سـيئًا يُوبقـه؟ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: تركُـوا أمْـره ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: أنسـاهم حظـوظَ أنفسـهم، فلـم يعملـوا بالطَّاعـة، ولم يقدمـوا خـيرًا.

قال ابن عباس: يريد قريظة، والنضير، وبني قينقاع[2].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ

---

(١) كلتـا القراءتـين سـبعية متواتـرة، ينظـر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٣٢، و"معاني القـراءات" للأزهـري ٢/ ٢٣٦، و"الحجـة للقـراء السـبعة" لأبي عـلي الفـارسي ٦/ ٢٨٤، و"العنـوان في القـراءات السـبع" لأبي طاهـر السرقسـطي ص١٨٨، و"الإقنـاع في القـراءات السـبع" لأبي جعفـر الغرناطـي ص٣٨٣.

(٢) ذكرهـا الواحـدي في "البسـيط" ٢١/ ٣٩١ و"الوسـيط" ٤/ ٢٧٨، والحافـظ عبـد الـرازق الرسـعني في "رمـوز الكنـوز في تفسـير الكتـاب العزيـز" ص٩١.

ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢١ - ٢٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ أخبر الله [بهذا][(١)] عن تعْظِيمِ شأن القرآن، وأنَّه لو جعل في جبل على قساوته وصلابته تمييزًا، كما جعل في بني آدم ثم أنزل عليه القرآن، لتشقق خشيةً من الله[(٢)]، وخوفًا أن لا يؤديَ حقَّ الله في تعظيم القرآن.

و"الخاشع": المتطاطئ الخاضع. و"المتصدع": المتشقق.

وهذا توبيخ لمن لا يحترم القرآن، ولا يؤثر في قلبه مع الفهم والعقل، ويدلُّك على هذا المثل قوْلُه تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ ثم أخبر بعظمته وربوبيته؛ فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قالَ الزجاج: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ ردّ على قوله تعالى: في أوّل السورة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(٣)].

فأمَّا هذه الأسماء، فقد سبق ذكْرُ "الله"، و"الرحمن"، و"الرحيم" في الفاتحة، وذكرنا معنى "عالم الغيب والشهادة" في الأنعام [آية:٧٣]، و"الملك" في سورة المؤمنين [آية:١١٦].

---

(١) من (ر).

(٢) في (ر): لتشقق من خشية الله.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٥٠.



فأمّا ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: فقرأ أبو الأشهب، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ: بفتح القاف[(١)].

قال أبو سليمان الخطابي: "القدوس": الطَّاهر مِنَ العُيوب، المنزه عن الأنداد والأولاد. "والقدس": الطهارة، ومنه سمي بيت المقدس. ومعناه: المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب، وقيل للجنة: حظيرة القدس؛ لطهارتها من آفات الدنيا.

والقدس: السطل الذي يتطهر فيه، ولم يأت من الأسماء على فعول بضم الفاء إلا "قدوس" و"سبوح"، وقد يقال أيضا: قَدُّوس، وسَبُّوح بالفتح فيهما، وهو القياس في الأسماء؛ كقولهم سفود، وكلوب[(٢)].

فأمّا ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: فقال ابن قتيبة: سمى نفسه سلامًا؛ لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء[(٣)].

وقال الخطابي: معناه: ذو السلام، والسلامُ في صفة الله سبحانه هو الَّذي سلم من كُلِّ عيب، وبرئ من كلِّ آفة ونقص يلحق المخلوقين، قال: وقد قيل: هو الذي سلم الخلق من ظلمه[(٤)].

---

(١) هي قراءة شاذة، وقرأ بها أيضًا: أبو السمال. ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٥، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهُذَلي ص٦٤٧، وأبو الدينار الأعرابي. ينظر: "إعراب القرآن" للنحاس ٤/ ٢٦٧، و"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني ٢/ ٣١٧.

(٢) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص٤١.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٦.

(٤) " أعلام الحديث" ١/ ٥٤٩، "شأن الدعاء" ص٤١ كلاهما لأبي سليمان الخطابي.

فأمَّا ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنَّه الذي أمن الناس ظلمه، وأمن مَن آمن به عذابه، قاله ابن عباس، ومقاتل(١).

والثَّاني: أنه المجير، قاله القرظي.

والثَّالث: الذي يصدق المؤمنين إذا وحَّدوه، قاله ابن زيد.

والرابع: أنَّه الذي وحَّد نفسه؛ لقوْلِه تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا [٧٧٩/أ] هُوَ﴾ [آل عمران:١٨] ذكره الزَّجَّاج(٢).

والخامس: أنَّه الذي يصدق عبادَه وعْده، قاله ابن قتيبة(٣).

والسَّادس: أنَّه يصدق ظنون عباده المؤمنين، ولا يخيب آمالهم؛ كقوْلِ النَّبي عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عن ربه عز وجل: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"(٤) حكاه الخطَّابي(٥).

---

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٨٧، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٦٦، وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٢٣.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٥٠.

(٣) "غريب الحديث" لابن قتيبة ص١٠.

(٤) الحديث أخرجه: البخاري في "صحيحه" (٧٤٠٥)، ومسلم في "صحيحه" (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٥) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص٤٥.

فأمّا ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ ففيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والكسائي[(١)].

قال الخطَّابي: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [المائدة:٤٨]، فالله الشَّاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل[(٢)].

والثاني: أنَّه الأمين، قاله الضحاك.

قال الخطابي: وأصله مؤيمن، فقلبت الهمزة هاءً؛ لأنَّ الهاء أخفُّ عليهم من الهمزة. ولم يأت مفيعل في غير التصغير، إلا في ثلاثة أحرف "مسيطر" و"مبيطر" و"مهيمن"[(٣)]. وقد ذكرنا في سورة الطور [آية:٣٧] عن أبي عبيدة أنها خمسة أحرف[(٤)].

والثالث: المصدق فيما أخبر، قاله ابن زيد.

والرابع: أنه الرَّقيب على الشيء، والحافظ له، قاله الخليل.

قالَ الخطابي: وقال بعض أهل اللغة: الهيمنة: القيام على الشيء، والرعاية له، وأنشد [من الطويل]:

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٠٤ عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأخرجه ابن أبي حَاتِم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٢/ ١٢٣ عن ابن عباس.

(٢) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص٤٦.

(٣) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص٤٦.

(٤) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٦ وفيه: مهيمن ومبيقر ومبيطر ومسيطر، هذه الأربعة الأحرف صفات، لها أفعال، ووجدنا من الأسماء ما لا ندرى لعلها مصغَّرة: مديبر اسم واد، ومجيمر ومبيقر.

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِ مُهَيْمِنُهُ التَّالِيهِ فِي الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ

يريد القائم على الناس بعده بالرعاية لهم(١)، وقد زدنا هذا شرحًا في المائدة [آية:٤٨] وبيَّنَّا معنى: العزيز في البقرة [آية:١٢٩].

فأمَّا ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ ففيه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه العظيم، قاله ابن عباس(٢).

والثاني: [أنَّه](٣) الذي يقهر الناسَ ويجبرهم على ما يريد، قاله القرظي والسُّدِّي.

وقال قتادة: جبر خلقه على ما شاء(٤).

وحكى الخطَّابي أنه الَّذي جبر الخلق على ما أراد من أمْرِه ونهيه، يقال: جبره السلطان وأجبره(٥).

---

(١) "شأن الدعاء" ص٤٦ - ٤٧، "غريب الحديث" ٢/ ٢٠١ كلاهما لأبي سليمان الخطابي.
والبيت من الطويل، ذكره دون نسبة: أبو بكر الأنباري في "الزاهر في معاني كلمات الناس" ٢/ ٢٠١، والأزهري في "تهذيب اللغة" ٦/ ١٧٧ عن الأنباري، فلعله المقصود في كلام الخطابي.

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٨٧، والواحدي في "البسيط" ٢١/ ٣٦٩، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٦٧.

(٣) من (ر).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٠١ (٣١٩٦)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٠٤.

(٥) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص٤٨.



والثَّالث: أنه الذي جبر مفاقر الخلق، وكفاهم أسباب المعاش والرزق.

والرابع: أنه العالي فوق خلقه من قولهم: تجبر النبات؛ إذا طال وعلا، ذكر القولين الخطَّابيُّ.

فأمّا ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه الذي تكبر عن كلِّ سوء، قاله قتادة.

والثاني: أنه الذي تكبر عن ظلم عباده، قاله الزجاج(١).

والثَّالث: أنه ذو الكبرياء وهو الملك، قاله ابن الأنباري(٢).

والرابع: أنه المتعالي عن صفات الخلق.

والخامس: أنه الذي يتكبر على عتاةِ خلْقِه، إذا نازعوه العظمةَ فقصَمَهُم، ذكرهما الخطابي.

قال: والتاء في المتكبر تاء التفرد والتخصص(٣)؛ لأنَّ التعاطي، والتكلّف، والكبر، لا يليق بأحدٍ من المخلوقين، وإنما سمةُ العبدِ الخضوعُ والتَّذلّلُ(٤). وقيل: إنَّ المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر الذي هو مذمومٌ في الخلق.

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٥١.

(٢) "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي بكر الأنباري ١/ ٨٢.

(٣) في الأصل: التخصيص، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص٤٨.

وأمَّا ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾، فقال الخطَّابي: هو المتبدئ للخلق، المخترع لهم على غير مثالٍ سبق، فأمَّا في نعوت الآدميين فمعنى الخلق: التقدير؛ كقول زهير [من الكامل]:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

يقول: إذا قدرت شيئًا قطعته، وغيرك يقدر ما لا يقطعه؛ أي: يتمنى ما لا يبلغه[1].

و﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾: الخالق، يقال: برأ الله الخلق، يبرؤهم.

و﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها. ومعنى التصوير: التخطيط، والتشكيل.

وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميفع: ﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوَّرَ﴾ بفتح الواو والراء جميعًا، يعني: آدم عليه السلام[2]، وما بعد هذا قد تقدَّم بيانه إلى آخر السُّورة.

---

(١) "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي ص٤٩- ٥٠. والبيت من الكامل، نسبه لزهير: سيبويهِ في "الكتاب" ٤/ ٤٨٥، وأبو عبيد في "غريب الحديث" ٢/ ٥٧، ٤/ ٢١٦ وأبو بكر الأنباري في "الزاهر في معاني كلمات الناس" ١/ ٨٨، و"الأضداد" ص١٥٩، وأبو علي القالي في "المقصور والممدود" ص٣١٠. وهو في "ديوانه" شرحه وقدم له الأستاذ: علي حسن فاعور ص٥٦. وفي "الكتاب": (وَأَراكَ) بدل (ولأنت).

(٢) هي قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٥، ونسبها لليماني، ونسبها الزمخشري في "الكشاف" ٤/ ٥١٠ لحاطب بن أبي بلتعة، و"رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" للحافظ عبد الرازق الرسعني ص٩٤ عنهم جميعًا.

سُورةُ الممتحَنةِ

وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعِهِم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: ١ - ٣].

[٧٧٩/ ب] **قوْلُه تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

ذكر أهل التفسير أنَّها: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أنَّ سارَّة مولاة أبي عمرو ابن صيفي بن هاشم، أتتْ رسول الله ﷺ، من مكَّة إلى المدينة، ورسول الله ﷺ يتجهَّز لفتْح مكَّة، فقال لها: **"أَمُسْلِمَةً جِئْتِ"**؟ قالت: لَا.

قال: فَمَا جَاءَ بِكِ؟ قالَتْ: أنتمُ الأهل، والعشيرة، والموالي، وقد احتجتُ حاجةً شديدةً، فقَدِمْت إليكم لتعطوني. قال لها رسول الله ﷺ: **"فَأَيْنَ أَنْتِ مِنْ شَبَابِ أَهْلِ مَكَّةَ"**؟ ـ وكانت مُغَنِّية ـ فقالت: ما طُلب منِّي شيءٌ بعد وقعة بدر.

فحثَّ رسول الله ﷺ بني عبد المطلب (وبني المطلب)[1] فكسوها، وحملوها، وأعطوها، فأتاها حاطب بن [أبي][2] بلتعة، فكتب معها كتابًا إلى أهل مكَّة، وأعطاها عشرة دنانير على أنْ تُوصلَ الكتاب إلى أهل مكَّة، وكتب في الكتاب: من حاطب إلى أهل مكَّة، إنَّ رسول الله ﷺ يُريدكم، فخذوا حِذْركم.

فخرجت [به][3] سارةُ، ونزل جبريل، فأخبر رسول الله ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ عليًّا، وعمارًا، والزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مرثد، وقال: "**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا**[4] **ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَخُذُوهُ مِنْهَا وَخَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنْ لَمْ تَدْفَعْهُ إِلَيْكُمْ فَاضْرِبُوا عُنُقَهَا**"، فخرجوا حتَّى أدركوها، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، ففتَّشوا متاعها فلم يجدوا شيئًا فهموا بالرجوع.

فقال علي: والله ما كُذِبْنا ولا كَذَبنا، وسلَّ سيفه، وقال: أخرجي الكتاب، وإلَّا ضربت عنقك. فلما رأت الجدَّ أخرجته من ذؤابتها فخلوا سبيلها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب، فأتاه فقال له: "**هَلْ تَعْرِفُ الْكِتَابَ**"؟ قال: نعم.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) من (ر).

(٤) في (ر): فيها.

قال: "فَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ"؟ فقال: يا رسول الله! والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريبًا فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يدًا، وقد علمت أنَّ الله تعالى ينزل بهم بأسه، وكتابي لا يغني عنهم شيئًا، فصدقه رسول الله ﷺ، وَعَذَرَهُ[1]، ونزلَتْ هذه السورة تنهى حاطبًا عما فعل، وتنهى المؤمنين أن يفعلوا كفعله، فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله! دعني[2] أضرب عنقَ هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: "**ومَا يُدريكَ يا عُمَرُ! لَعلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أهْلِ بدْرٍ، فقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فقَدْ غفَرْتُ لَكُمْ**".

وقد أخرج هذا الحديث في "الصحيحين" مختصرًا، وفيه ذكر عليّ، والزّبير، وأبي مرثد فقط.

قوْلُه تَعَالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ وفيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّ الباء زائدة، والمعنى: تلقون إليهم المودَّة، ومثله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، هذا قول الفراء[3]، وأبي عبيدة[4]،

---

(١) أخرجه بأخصر من هذه الرواية: البخاري في "صحيحه" (٣٠٠٧)، ومسلم في "صحيحه" (٢٤٩٤) وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: ادعني، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن (٣/ ١٤٧).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٧).

وابـن قتيبـة[١]، والجمهـور.

والثَّـاني: تلقـون إليهـم أخبـار النبـيِّ ﷺ وسره[٢] بالمـودة التـي بينكـم [٧٨٠/أ] وبينـه، قالَـه الزَّجَّـاج[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ الـواو للحـال، والمعنـى[٤]: وحالهـم أنَّهـم كفـروا بـما جاءكـم مـن الحـقِّ، وهـو القـرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ مـن مكَّـة ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: تفعلـوا[٥] ذلـك لإيمانكـم بـالله ربِّكـم ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ هـذا شرطٌ جوابُـه متقـدّم، وفي الـكلام تقديـمٌ وتأخِـيرٌ.

قـالَ الزَّجَّـاج: **معنـى الآيـة**: إن كنتـم خرجتـم جهـادًا في سـبيلي وابتغـاء مرضـاتي؛ فـلَا تتخـذوا عـدوِّي وعدوَّكـم أوليـاء[٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ البـاءُ في "المـودة" حكمُهـا حكـمُ الأولى. قـال المفسرون: **والمعنـى**: تـسرون إليهـم النصيحـة.

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ مِـنَ المـودَّة للكفَّـار ﴿وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾؛ أي: أظْهرتُـم بألْسِـنتِكُم.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٤٦١).

(٢) في (ر): وسيره.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٥٥).

(٤) ليست في (ر).

(٥) في الأصل: تفعلون، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ١٥٦/٥.



وقال ابنُ قُتيبةَ: المعْنَى: كيف تستسرون بمودتكم لهم منِّي، وأنا أعلم بما تُضْمِرون وما تُظْهِرُون؟[١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ يعني: الإسرارَ والإلقاءَ إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: أخطأ طريقَ الهدى، ثم أخبر بعداوة الكفار، فقَال تعَالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾؛ أي: يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ لا موالين ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ﴾ أيديهم بالضَّرب والقَتْل ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ وهو الشتْمُ ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فترجعون إلى دينهم.

والمعنى: أنَّه لا ينفعكم التقربُ إليهم، بنقل أخبار رسول الله ﷺ.

قوْلُه تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾؛ أي: قراباتكم، والمعنى: ذوو أرحامكم، أراد: لن ينفعكم الذين عصيتم اللهَ لأجلهم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: "يُفْصَل" برفع الياء وتسكين الفاء ونصب الصاد.

وقرأ ابن عامر: "يُفصَّل بينكم" برفْع الياء والتَّشديد، وفتح الصَّاد، وافقه حمزة، والكسائي، وخلفٌ إلَّا أنَّهم كسروا الصَّادَ.

وقرأ عاصم، غير المفضل، ويعقوب: بفتح الياء وسكون الفاء، وكسر الصاد، وتخفيفها[٢].

---

(١) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص٢١١.

(٢) القراءات جميعها سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٥، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٥.

وقرأ أُبيُّ بن كعب، وابن عباس، وأبو العالية: "نُفَصِّل" بنون مرفوعةٍ وفتح الفاء مكسورة الصَّاد مشددة[١].

وقرأ أبو رزين، وعكرمة، والضَّحَّاك: "نَفْصِل" بنون مفتوحة ساكنةِ الفاء مكسورة الصَّاد خفيفة[٢]؛ أي: نفصل بين المؤمن والكافر وإن كان ولده.

قال القاضي أبو يعلى: في هذه القصة دلالةٌ على أنَّ الخوف على المال والولد لا يبيح التقيةَ في إظهار الكفر، كما يبيح في الخوف على النفس، ويبين ذلك أنَّ الله تعالى فرض الهجرةَ، ولم يعذرهم في التخلف لأجل أموالهم وأولادهم، وإنما ظنَّ حاطِبٌ أن ذلك يجوز له ليدفع به عن ولده، كما يجوز له أن يدفع عن نفسه بمثل ذلك عند التقية، وإنما قال عمر: دعْني أضرب عُنقَ هذا المنافق[٣]؛ لأنَّه ظنَّ أنَّه فعَلَ ذلك عن غير تأويل.

(١) هي قراءة شاذة، قرأ بها أيضا: طلحة بن مصرف. كما في "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٦.

(٢) هي قراءة شاذة، قرأ بها أيضا: أبو حيوة. كما في "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٦.

(٣) قول عمر ﷺ جزء من حديث علي رضي الله عنه السابق إخراجه في "صحيح البخاري" (٣٠٠٧)، و"صحيح مسلم" (٢٤٩٤).

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) ۞ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٤ - ٩].

قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ وقرأ عاصم: "أُسوة" بضمِّ الألف[١]، وهما لغتان؛ أي: اقتداء حسن به وبمن معه.

وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّهُمُ الأنبياء.

والثَّاني: المؤمنون إذ قالوا لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ ﴾.

قال الفرَّاء: يقول: أفلا تأسيت يا حاطبُ بإبراهيم وقومه فتبرأت مِنْ أهلِك كما تبرَّؤوا من قومِهم[٢]؟.

(١) هي قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٧، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٦.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٤٩.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾.

قال المفَسِّرون: **والمعنى**: تأسُّوا بإبراهيم، إلا في استغفار إبراهيمَ لأبيه فلا تأسّوا به في ذلك، فإنَّه كان عن موعدةٍ وعدها إيَّاه. [٧٨٠/ ب]

﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾؛ أي: ما أدفع عنك عذابَ الله إنْ أشركت به، وكان من دعاء إبراهيم وأصحابه ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾... إلى قوله تعالى: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وقال الفرَّاءُ: قُولوا أنتم: ربَّنا عليك توكلْنا[١].

وقد بيَّنَّا معْنى قوله تعالى: ﴿لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في يُونُس.

ثم أعاد الكلام في ذكر الأسوة، فقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ﴾؛ أي: في إبراهيم ومن معه، وذلك أنهم كانوا يبغضون من خالف الله.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ﴾ وبيان أنَّ هذه الأسوة، لمن يخاف الله، ويخشى عقاب الآخرة.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾؛ أي: يعرض عن الإيمان ويوال الكفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادوا أقرباءهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم﴾؛ أي: من كفَّار مكة ﴿مَّوَدَّةٗ﴾ ففعل ذلك بأن أسلم كثيرٌ منهم يوم الفتح، وتزوج رسول الله ﷺ أمَّ حبيبةَ بنت أبي سفيان، فانْكسر أبو سفيان عن كثير مما كان عليه حتى هداه الله تعالى للإسلام ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٞ﴾

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٠.

على جعل المودة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بعدما أسلموا.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ على خمْسةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلت[١] في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أنَّ أمها قتيلة بنت عبد العزى، قدمت عليها المدينة بهدايا، فلم تقبل منْهَا[٢] هداياها، ولم تُدْخلْهَا منزلها، فسألت لها عائشة رسولَ الله ﷺ فنزلت هذه الآية، فأمرَهَا رسول الله ﷺ أن تُدخلَها منزلها، وتقبل هديَّتَها، وتُكرمها، وتُحسن[٣] إليها، قاله عبد الله بن الزبير[٤].

والثَّاني: أنها نزلَتْ في خزاعة وبني مدلج وكانوا صَالحُوا رسولَ الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدًا، قاله ابن عباس[٥].

ورُوي عن الحسن البصري أنَّها نزلت في خزاعة، وبني الحارث بن عبد مناف، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فداموا على الوفاء به[٦].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) ليست في (ر).

(٣) في الأصل: وتحن، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" ٣/ ٢٠٩ (١٧٤٤)، وأحمد في "مسنده" ٢٦/ ٣٧ (١٦١١١)، وعمر بن شبة في "تاريخ المدينة" ٢/ ٤٩٦، ووابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ٨/ ٩٠، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٢٢.

(٥) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٩٤.

(٦) ذكره مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١١/ ٧٤٢٢، وابن عطية في "المحرر الوجيز" ٥/ ٢٩٦.

والثَّالث: أنَّها[١] نزلَت في قوم[٢] من بني هاشم منهم العباس، قاله عطيَّةُ العَوفيُّ.

والرَّابع: أنَّها عامَّةٌ في جميع الكفَّار، وهي منْسوخةٌ بقوْلِه تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قاله قتادة.

والخامس: أنَّها [نزلَتْ][٣] في النِّساءِ والصِّبيان، حكاه الزَّجَّاجُ[٤].

قال المفسِّرون: وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وجواز برهم وإن كانت الموالاة منقطعة [منهم][٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾؛ أي: من مكَّة ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: تعاملوهم بالعدل فيما بينكم وبينهم.

قوْلُه تعالى: ﴿وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾؛ أي: عاونوا على ذلك ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾، **والمعنى**: إنما ينهاكم عن أن تولوا هؤلاء؛ لأنَّ مكاتبتهم بإظهار ما أسرّه رسول الله ﷺ موالاة.

وذكَرَ بعْضُ المفَسِّرين أنَّ معنى الآية والتي قبلها منسوخ بآية السيف.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) في الأصل: جماعة، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) من (ر)، و(س).

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٥٨.

(٥) من (ر).



قال ابن جرير: لا وجه لادعاء النسخ؛ لأنَّ بِرَّ المؤمنين للمحاربين سواء كانوا قرابة أو غير قرابة، غير محرم إذا لم يكن في ذلك تقوية لهم على الحرب بكراع أو سلاح، أو دلالة لهم على عورة أهل الإسلام(١). [٧٨١/أ]

ويدلُّ على ذلك حديث أسماء وأمها الذي سبق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الممتحنة: ١٠ - ١١].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾.

قال ابن عباس: إنَّ مشركي مكَّة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحديبية على أنَّ مَن أتاه من أهل مكة ردَّه إليهم، ومَن أتى أهْلَ مكة من أصحابه، فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب، وختموه، فجاءت سُبيعة بنتُ الحارث الأسلميةُ بعد الفراغ من الكتاب والنبي بالحديبية، فأقبل زوجُها وكان كافرًا، فقال: يا محمَّدُ! ارْدُد عليَّ امرأتي فإنَّك قد شرطت لنا أن تردَّ علينا مَن أتاك مِنَّا، وهذه طينة الكتاب لم تجفَّ بعْدُ، فنزلت هذه الآية(٢).

(١) "تفسير الطبري" ٢٣/ ٣٢٣.

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٩٤، والواحدي في "أسباب النزول" ص٤٢٤.

وذكـر جماعـةٌ مـن العلـماء منهـم محمـد بـن سـعد -كاتـب الواقـدي-: أنَّ هـذه الآيـةَ نزلـت في أمِّ كلثـوم بنـت عقبـة بـن أبي معيـط، وهـي أول مَـن هاجـر مـن النسـاء إلى المدينـة بعـد هجـرة رسـول الله ﷺ، فقدمـت المدينـةَ في هدنـة الحديبيـة، فخـرَج في أثرهـا أخواهـا الوليـد وعـمارة ابنـا عقبـة، فقـالَا: يـا محمَّـدُ! أوْفِ لنـا بشرطنـا.

وقالـت أم كلثـوم: يـا رسـول الله! أنـا امـرأة، وحـالُ النِّسـاء إلى الضعـف مـا قـد علمـت، فـتردني إلى الكفـار يَفْتِنُـوني عـن دينـي، ولا صـبر لي؟! فنقـض الله عـز وجـل العهـدَ في النسـاء وأنـزل فيهـن المحنـة، وحكـم فيهـنَّ[١] بحكـمٍ رضـوه كلُّهـم.

ونـزل[٢] في أم كلثـوم: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾ فامتحنهـا رسـولُ الله ﷺ، وامتحـن النسـاءَ بعدهـا يقـول: "**وَاللهِ مَـا أَخْرَجَكُـنَّ إِلَّا حُـبُّ اللهِ وَرَسُـولِهِ، وَمَـا خَرَجْتُـنَّ لِـزَوْجٍ وَلَا مَـالٍ**"؟ فـإذا قلْـنَ ذلـك تركـن، فلـم يـرددن إلى أهليهـن[٣].

وقـد اختلَـفَ العُلـماء في المـرأة التـي كانـت سـببًا لنـزول هـذه الآيـةِ عـلى ثلاثـة أقْـوَالٍ:

أحدها: أنَّها سُبيعة، وقد ذكرْنَاه عن ابن عباس.

والثَّـاني: أم كلثـوم بنـت عقبـة بـن أبي معيـط، وقـد ذكرنـاه عـن جماعـةٍ مـن أهـل العلـم وهـو المشـهور.

---

(١) في الأصل: فيه، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) في الأصل: ونزلت، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) "الطبقات الكبرى" لابن سعد ٨/ ١٨٣ - ١٨٤.

والثَّالث: أميمة بنْتُ بشر، من بني عمرو بن عوف، ذكره أبو نعيم الأصبهاني[١].

قال الماورديُّ: وقد اختلَفَ أهْلُ العلم هل دخَل ردُّ النِّساء في عقد الهدنة لفْظًا أو عمومًا؟

فقالَت طائِفةٌ: قد كان شرطُ ردِّهِن في عقْدِ[٢] الهدنة لفظًا صريحًا؛ فنسخ الله تعالى ردَّهن من العقد، ومنعَ منه، وأبقاها في الرِّجال على ما كان.

وقالت طائفة (من العلماء)[٣]: لم يشرط رَدهنَّ في العقد صريحًا، وإنَّما أطلق العقد، وكان ظاهر العموم اشتماله مع الرجال، فبيَّن الله عز وجل خروجهن عن عمُومِه، وفرق بينهُنَّ وبين الرجال لأمْرَيْنِ:

أحدهما: أنَّهنَّ ذواتُ فروجٍ فحرمن[٤] عليهم.

والثاني: أنَّهن أرَقُّ قلوبًا، وأسْرع تقلبًا منهم.

فأمَّا المقيمة على شركها: فمردودةٌ عليهم[٥].

وقال القاضي أبو يعلى: وإنَّما لم تُردَّ[٦] النِّساء عليهم؛ لأنَّ النسخ جائزٌ بعد التمكين من الفعل، وإن لم يقع الفعل.

---

(١) "معرفة الصحابة" لأبي نعيم الأصبهاني ٦/ ٣٢٦٥.

(٢) في (ر): لفظ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ر): تحرمن.

(٥) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٥٢١.

(٦) في (ر): يرد.

قال المفسرون: والمراد بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ رسول الله ﷺ؛ لأنَّه هو الذي تولَّى امتحانهنَّ، ويراد به سائر المؤمنين عند غيبته ﷺ. [٧٨١/ ب]

قال ابْنُ زيْدٍ: وإنما أُمر[١] بامتحانهن؛ لأنَّ المرأة كانت إذا غضبت على زوجها بمكَّة، قالت: لألحقن بمحمَّدٍ[٢].

وفيما كان يمتحنهن به ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه كان يمتحنهن بـ "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله"، رواه العوفي عن ابن عباس[٣].

والثَّاني: أنه كان يستحلف المرأة بالله: ما خرجت من بغض زوجٍ، ولا رغبةٍ عن أرضٍ إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلا حبًّا لله ولرسوله، وروي عن ابن عباس أيضًا[٤].

---

(١) في (ر): أُمرنا.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٢٦- ٣٢٧.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٢٨، وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٣٤.

(٤) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده" كما في "بغية الباحث" للهيثمي ٢/ ٧٣٠ (٧٢٢)، والبزار في "البحر الزخار" كما في "كشف الأستار" للهيثمي ٣/ ٧٥ (٢٢٧٢)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٢٥، قال السيوطي في "الدر المنثور" ٨/ ١٣٤: أخرج ابن أبي أسامة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند حسن عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. فذكره.



والثَّالث: أنَّه كان يمتحنهن بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ فمن أقرت بهذا الشرط؛ قال: قد بايعتك. هذا قول عائشة[١].

قوْلُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾؛ أي: إنَّ هذا الامتحان لكم، والله أعلم بهنَّ، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ وذلك يعلم من إقرارهنَّ[٢]، فحينئذٍ لا يحلُّ ردُّهن ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾؛ لأنَّ الله تعالى لم يُبحْ مؤمنةً لمشركٍ، ﴿وَءَاتُوهُم﴾ يعني: أزواجهن الكفَّار.

﴿مَّآ أَنفَقُواْ﴾ يعني: المهرَ، قال مُقاتلٌ: هذا إذا تزوَّجها مُسلمٌ، فإن لم يتزوجها أحَدٌ فليس لزوجها الكافر شيءٌ[٣].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: وهيَ المهورُ.

فَصْلٌ

عندنا إذا هاجرت الحرَّةُ بعد دخول زوجِها بها، وقعتِ الفُرقة على انقضاء عدتها.

فإن أسلم الزَّوج قبل انقضاء عدتها فهي امرأته، وهذا قوْلُ الأوزاعي، والليث، ومالك، والشَّافعي. وقال أبو حنيفة: تقع الفُرقة باخْتلافِ الدَّارين[٤].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٧١٣)، ومسلم في "صحيحه" (١٨٦٦).

(٢) في (ر): بإقرارهن.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٠٣، وذكره الواحدي في "البسيط" ٢١/ ٤١٩.

(٤) ينظر: "المبسوط" للسرخسي ٥/ ٥١، و"بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع" للكاساني ٢/ ٣٢٨.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: "تُمْسِكوا" بضم التَّاء والتخفيف.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب: "تُمَسِّكوا" بضم التاء وبالتشديد(١).

وقرأ ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وابن يعمر، وأبو حيوة: "تَمَسَّكوا" بفتح التاء والميم والسين مشددة(٢).

"والكوافرَ": جمع كافرة، **والمعنى**: إنَّ الله تعالى نهى المؤمنين عن المقام على نكاح الكوافر، وأمرهم بفِرَاقِهنَّ.

وقالَ الزَّجَّاج: **المعنى**: أنها إذا كفرت، فقد زالتِ العصمةُ بينها وبين المؤمن؛ أي: قد انْبَتَّ عقدُ النكاح. وأصل العصمة: الحبل، وكل ما أمسك شيئًا فقد عصمه(٣).

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾؛ أي: إن لحقت امرأةٌ منكم بأهل العهد من الكفار مرتدةً، فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا لم يدفعوها إليكم.

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٤، و"الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه ص٣٤٤، و"معاني القراءات" للأزهري ١/ ٤٢٨، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٦.

(٢) هي قراءة شاذة، قرأ بها أيضا: معاذ عن أبي عمرو، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٦.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٥٩.

﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ يعني: المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم مؤمنات إذا تزوجن منكم فليسأل أزواجهن الكفار من تزوجهن منكم[1] "ما أنفقوا" وهو المهر، **والمعنى**: عليكم أن تغرموا لهم الصداق كما يغرمون لكم.

قال أهل السير: وكانت أم كلثوم حين هاجرت عاتقًا لم يكن لها زوجٌ، فيبعث إليها قدر مهرها، فلما هاجرت تزوجت زيد بن حارثة.

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني: ما ذكر في هذه الآية.

فَصْلٌ

وذكر بعْضُهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ أنَّه نسَخ ذلك في حرائر أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥]، وهذا تخصيصٌ لا نسْخٌ.

[٧٨٢/أ] **قوْلُه تعَالى**: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاج: أي: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم[2].

وقرأ ابن مسعود، والزُّهري، والنَّخعي: "فعَقَبتم" بغير ألف وبفتح العين والقاف وبتخفيفها[3].

(١) ليست في (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٦٠.

(٣) هي قراءة شاذة، ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٦، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٦، و"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"=

وقرأ ابن عباس، وعائشة، (والحسن)[١]، وحميد، والأعمش: مثل ذلك، إلا أنَّ القاف مشددة[٢].

قال الزَّجَّاج: المعنى: في التشديد والتخفيف واحدٌ، فكانت العقبى لكم بأن غلبتم[٣].

وقرأ أبي بن كعب وعكرمة، ومجاهد: "فأعقبتم" بهمزة ساكنة العين، مفتوحة القاف خفيفة[٤].

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو عمران الجوني: "فعَقِبتم" بفتح العين وكسر القاف وتخفيفها من غير ألف[٥].

﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾؛ أي: أعطوا الأزواج من رأس الغنيمة ما أنفقوا من المهر.

=لابن جني ٢/ ٣١٩.

(١) ليست في (ر).

(٢) هي قراءة شاذة أيضًا، ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٦، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٦، و"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني ٢/ ٣١٩.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٦٠.

(٤) هي قراءة شاذة أيضا، ينظر: "معاني القرآن" للنحاس ٤/ ٢٧٤، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٦، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٦، و"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني ٢/ ٣٢٠.

(٥) هي قراءة شاذة أيضا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٦ ونسبها لمسروق.

وذكر بعْضُ المفَسِّرين أنَّ هذه الآية نزلت في عياض بن غنم، كانت زوجتُه مسلمةً وهي أم الحكم بنت أبي سفيان، فارتدَّت فلحقت بمكَّة، فأمر اللهُ المسلمين أن يعطوا زوجَها من الغنيمة بقدر ما سَاق إليها من المهر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١] إلى رأس الخمس.

فَصْلٌ

قالَ القَاضِي أبو يعلى: وهذه الأحكام في أداء المهر، وأخذه مِنَ الكفَّار، وتعويض الزوج من الغنيمة، أو من صداقٍ قد وجَب ردُّه على أهل الحرب، منسوخةٌ عند جماعة من أهل العلم. وقد نصَّ أحمد على هذا.

قلت: وكذا قال مقاتل: كلُّ هؤلاء الآيات نسختها آيةُ السَّيف(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾.

قال المفسرون: لما فتح رسول الله ﷺ مكَّةَ جاءته النِّساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية، وشرط في مبايعتِهِنَّ الشرائِطَ المذكورةَ في الآية فبايعهن، وهو على الصفا.

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٥/ ١٧٦.

فلـمَّا قـال: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾، قالـت هنـد: أَوَتـزْنِي الحُـرَّة؟ فقـال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾. فقالـت: ربيناهـم صغـارًا فقتلتموهـم كبـارًا، فأنتـم وهـم أعلـم[١].

وقـد صـحَّ في الحديـث أنَّ النبـي ﷺ لم يصَافِـحْ في البيعـة امـرأةً، وإنَّـما بايعهــن بالــكلام[٢]، وقــد ســمينا مــن أحصينــا مــن المبايعــات في كتــاب "التلقيـح" عـلى حـروف المعجـم، وهـنَّ أربعمائـة وسـبع وخمسـون امـرأة[٣]، والله الموفــق.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ قـال المفسرون: هـو الـوأدُ الَّـذي كانـتِ الجاهليـةُ تفعلـه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ فيهِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدها: لا يلحقن بأزواجهنَّ غير أولادهم، قاله ابن عباس[٤]، والجمهور.

وذلـك أنَّ المـرأة كانـت تلتقـط المولـود، فتقـول لِزوْجِهـا: هـذا ولَـدِي منْـكَ، فذلـك البهتـان المفـترى. وإنـما قـال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾؛ لأنَّ الولـد إذا وضعتـه الأم يسـقط[٥] بـين يديهـا ورجليهـا، وقيـل: معنـى ﴿يَفْتَرِينَهُۥ

---

(١) أخرجـه الطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٣٤١- ٣٤٢، وابـن مردويـه كـما في "الـدر المنثـور" للسـيوطي ٨/ ١٤٠ مـن حديـث ابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٧١٣)، ومسلم (١٨٦٦) من حديث عائشة.

(٣) "تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير" ص٢٣٤ وما بعدها.

(٤) أخرجـه الطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٣٤٠، وعبـد بـن حميـد وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم وابـن مردويـه كما في "الـدر المنثـور" للسـيوطي ٨/ ١٤١.

(٥) في (ر): سقط.

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾: يأخذنه لقيطًا ﴿وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ ما ولدنه من زنًا.

والثَّاني: أنَّه[١] السِّحر.

والثَّالث: المشي بالنميمة والسَّعي في الفساد، ذكرهما الماوردي[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه النوح، قاله ابن عباس[٣]. ورُوي مرْفوعًا عنِ النَّبي ﷺ[٤].

[٧٨٢/ ب] والثَّاني: أنه لا يدعين ويلًا، ولا يخدشن وجهًا، ولا ينشرن شعرًا، ولا يشققن ثوبًا، قاله زيد بن أسلم.

والثَّالث: أنَّه[٥] جميع ما يأمرهن به رسولُ الله ﷺ من شرائعِ الإسْلام وآدابه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ طاعة الولاة إنما تلْزم في المباح دُون المحْظُور.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ المعْنَى: إذا بايعنك على هذه الشرائط فبايعهن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) "النكت والعيون" للماوردي ٥/ ٥٢٥.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٤١.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٧/ ٤٩٠ (١٢٢٢٧)، وأحمد في "مسنده" ٤٤/ ٣١٠ (٢٦٧٢٠)، وابن ماجه في "سننه" (١٥٧٩)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٢٤٤ من حديث أم سلمة. وأخرجه أحمد في "مسنده" ١١/ ٤٣٧ (٦٨٥٠) من حديث أميمة بنت رقيقة.

(٥) ليست في (ر).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: وهم اليهود، وذلك أنَّ ناسًا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهودَ أخبارَ المسلمين، يتقرَّبون إليهم بذلك ليصيبوا من ثمارِهم وطعامِهم، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ وذلك أنَّ اليهود بتكذيبهم محمَّدًا، وهم يعرفون صدقه، قد يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة خيرٌ، **والمعنى:** قد يئسوا من ثواب الآخرة، هذا قول الجمهور، وهو الصَّحيح.

وقال قتادة: قد يئسُوا أن يبعثوا(١).

﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ **فيهِ قولانِ:**

أحدُهما: كما يئس الكفار مِن بعْثِ مَنْ في القبور، قالَه ابن عباس(٢).

والثَّاني: كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة؛ لأنَّهم أيْقَنُوا بالعذاب، قاله مجاهِدٌ(٣).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٢٨٩، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٤٧.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي (ط. هجر) ١٤/ ٤٣٧، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٢٩٩.

(٣) "تفسير مجاهد" ص٦٥٧، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٤٨.



سُورة الصَّفِّ

ويُقال لها: سُورة الحَوارِيينَ.

وفيها قولانِ:

أحدهما: أنَّها[1] مدنيَّةٌ قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور.

والثَّاني: مكيَّةٌ قاله ابن يسار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ١ - ٤].

قوْلُه تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببِ نُزولها خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: ما روى أبو سلمة عن عبد الله بن سلام، قال: قعدنا نفرًا مِن أصْحاب رسول الله ﷺ، فقُلْنا: لو نعلم أيَّ الأعمالِ أحبّ إلى الله عز وجل عملناه، فأنزل الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾... إلى آخر السورة[2].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" ٣٩/ ٢٠٥ (٢٣٧٨٨)، والدارمي في "سننه" ٣/ ١٥٤٥، والترمذي في "سننه" (٣٣٠٩) عنه به، والسيوطي في "الدر المنثور" ١٤/ ٤٤٠ من طريق الدارمي، والطبراني في "المعجم الكبير" ١٣/ ١٦٩- ١٧٠ (٤٠٦، ٤٠٧)، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٠٣، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٩/ ٢٦٩، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٢٩٠ (١١٨٨). وصححه ابن حبان في "صحيحه" ١٠/ ٤٥٤ (٤٥٩٤).

والثَّاني: أنَّ الرَّجل كان يجيء إلى النَّبيِّ ﷺ، فيقول: فعلت كذا وكذا. وما فعل فنزلت: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس[١]، وكذلك قال الضَّحَّاك: كان الرجل يقول: قاتلت، ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وصبرت، ولم يصبر، فنزلت هذه الآية[٢].

والثَّالث: أنَّ ناسًا مِنَ المؤمنين[٣] كانوا يقولون قبل أنْ يفرض الجهاد: لوددنا أنَّ الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه، فلما نزل الجهاد، كرهه ناس من المؤمنين، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٤].

والرَّابع: أنَّ صهيبًا قتل رجلًا يوم بدر، فجاء رجلٌ فادَّعى أنَّه قتله وأخذ السلب[٥]، فقال صهيب: أنا قتلته يا رسول الله! فأمره أن يدفع سلبه إلى صهيب، ونزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب، عن صهيب[٦].

والخامس: أنَّ المنافقين كانوا يقولون للنبي وأصحابه: لو قد خرجتم خرجنا معكم، ونصرناكم. فلمَّا خرج النبي ﷺ نكَصُوا عنه، فنزلت هذه

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "لباب النقول" للسيوطي ص١٩٥.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٥٥.

(٣) في (ر): المسلمين.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٥٤، وعبد بن حميد وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٤٦.

(٥) في (ر): سلبه.

(٦) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٠٢.



الآيـة، قالـه ابن زيـد(١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ قـالَ الزَّجَّـاج: "مقتًـا": منصـوب عـلى التمييـز، والمعنـى: كـبر قولكـم مـا لا تفعلـون مقتًـا عنـد الله.

ثـم أَعْلَـم عـز وجـل مـا الـذي يحبـه، فقـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾؛ أي: بنيـان لاصـق بعضـه ببعـض، فأعلـم أنَّـه يحـب مـن يثبـت في الجهـاد، ويلـزم مكانـه كثبـوت البنيـان المرصـوص. [٧٨٣/أ]

ويجـوز أن يكـون عنـى أن يسـتوي ثباتهـم في حـرب عدوهـم حتـى يكونـوا في اجتـماع الكلمـة كالبنيـان المرصـوص(٢).

وللمُفسِّرين في المراد بـ "المرصوص" قوْلَانِ:

أحدهمـا: أنَّـه الملتصـق بعضـه ببعـض، فـلا يـرى فيـه خلـل لإحكامـه، قالـه الأكثـرون.

والثَّاني: أنَّه المبني بالرَّصاص، وإلى نحو هذا ذهَبَ الفَرَّاءُ(٣).

وكان أبـو بحريـة يقـول: كانـوا يكرهـون القتـال عـلى الخيـل، ويسـتحبون القتـال عـلى الأرض لهـذه الآية(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٥٥.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٦٣- ١٦٤.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٣.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٥٨.

اسم أبي بحرية: عبد الله بن قيس التراغمي، يروي عن معاذ، وكأنه أشار بذلك إلى أن الفرسان لا يصطفون في الغالب إنما يصطف الرجالة.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٥ – ٩].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾ المعنى: اذكر لمن يؤذيك من المنافقين ما صنعت بالذين آذوا موسى، وقد ذكرنا ما آذوا به موسى في الأحزاب [آية:٦٩].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ ﴾؛ أي: مالوا عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾؛ أي: أمالها عن الحق جزاء لما ارتكبوه، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: "من بعديَ اسْمُه" بفتح الياء.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: "من

بعدي اسمه" بإسكان الياء[١].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم اليهود، قالَه مُقاتِلٌ[٢].

والثَّاني: النَّصارى حين قالوا: عيسى ابن الله، قاله أبو سليمان الدمشقي.

وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: "وهو يَدَّعِي إلى الإسلام" بفتح الياء، والدال، وتشديدها، وبكسر العين[٣]، وما بعد هذا في براءة [آية: ٣٢]... إلى قوله تعالى: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾.

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم وخلف: "متمُّ نورِه" مضاف.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: "مُتِمٌّ" رفع منون[٤].

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٨، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٨.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣١٦.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٦، و"المحتسب" لابن جني ٢/ ٣٢١.

(٤) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٨، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٩.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[الصف: ١٠ - ١٤].

قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية حين قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به أبدًا، فدلهم الله على ذلك، وجعله بمنزلة التجارة لمكان ربحهم فيه.

قوله تعالى: ﴿تُنجِيكُم﴾ قرأ ابن عامر: "تنجّيكم" بالتّشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف(١).

ثم بيّن التجارةَ؛ فقال تعالى: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾

قالَ الزَّجَّاج: وقوله: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ جواب قوله: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ﴾؛ لأنَّ معناه معنى الأمر.

والمعنى: آمنوا بالله وجاهدوا، يغفر لكم؛ أي: إن فعلتم ذلك يغفر لكم، وقد غلط بعض النحويين، فقال: هذا جواب: "هل" وهذا غلط بيِّنٌ؛ لأنَّه

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٨، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٨٩- ٢٩٠.

ليس إذا دلهم على ما ينفعهم غفر لهم، إنما يغفر لهم إذا عملوا بذلك[١].

ومن قرأ: "يغفر لكم" بإدغام الراء في اللام، فغير جائز عند سيبويه[٢]، والخليل؛ لأنَّه لا تدغم الراء في اللام في قولهم.

وقد رويت عن أبي عمرو بن العلاء -وهو إمام عظيم[٣]- ولا أحسبه قرأها إلا وقد سمعها من العرب.

وقد زعم سيبويه، والخليل وجميع البصريين، ما خلا أبا عمرو، أنَّ اللام تدغم في الراء، وأن الراء لا تدغم في اللام، وحجَّتُهم أنَّ الراء حرفٌ مكرر قوي، فإذا أدغمت في اللام ذهب التكرير منها. وما بعد هذا قد [٧٨٣/ب] سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾.

قالَ الفرَّاء: والمعنى: ولكم في العاجل مع ثواب الآخرة أخرى تحبونها، ثم فسَّرها فقال تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[٤].

وفِيهِ قوْلَان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله ابن عباس[٥].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٦٦.

(٢) "الكتاب" لسيبويه ٤/ ٤٤٨.

(٣) قراءة سبعية، لكنها عن أبي عمرو وحده، ينظر: "الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه ص٨٠.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٤.

(٥) لم أجده عن ابن عباس، وهو قول الكلبي، ينظر: "الوسيط" للواحدي ٤/ ٢٩٣، "معالم التنزيل" للبغوي ٨/ ١١٠.

والثاني: فتح فارس والروم، قاله عطاء(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، ثم حضَّهم على نصر دينه بقوْلِه تعالى: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: "كونوا أنصارًا لله" منونة.

وقرأ عاصم وابن عامر، وحمزة، والكسائي: "أنصار الله" مضافٌ(٢)، **ومعنى الآية**: دوموا على ما أنتم عليه، وانصروا دين الله، مثل نصرة الحواريين لَّما قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وحرك نافعٌ ياءَ: "من أنصاريَ إلى الله"(٣). وقد سبق تفسير هذا الكلام.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ فأيدنا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ وهم مخالفو عيسى، كذلك قال ابن عباس، ومجاهد، والجمهور.

وقال مقاتل: تمَّ الكلام عند قوْلِه تعالى: ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾(٤).

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمحمَّدٍ ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ بمحمَّدٍ على الأديان.

---

(١) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٢٩٣، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٨٠.

(٢) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٦٩، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٩٠.

(٣) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٥، و"معاني القراءات" للأزهري ١/ ٢٥٧، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٩٠.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣١٨.

وقال إبراهيم النَّخعي: أصبح من آمن بعيسى ظاهرين بتصديق محمَّدٍ ﷺ أنَّ عيسى كلمةُ الله وروحُه بتعليم الحجَّة[١].

قال ابن قتيبة: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾؛ أي: غالبين عليهم بمحمَّدٍ؛ من قولك: ظهرت على فلان؛ إذا علوته، وظهرت على السطح؛ إذا صرت فوقه[٢].

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٥٠.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٦٤.

سورة الجمعة

وهِيَ مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعهم، وقد سبق شرْحُ فاتحتها.

وقرأ أبو الدَّرداء، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والنخعي، والوليد عن يعقوب: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بالرفع فيهن(١).

فإن قيل: فما الفائدة في إعادته ذكر التسبيح في هذه السورة؟

فالجواب: أنَّ ذلك لاستفتاح السُّور بتعظيم الله عز وجل، كما تُستَفتح بـ "بسم الله الرحمن الرحيم" وإذا جل المعنى في تعظيم الله عزَّ وجلَّ، حسُن الاستفتاح به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ١ - ٤].

قوْلُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعني: العرب، وكانوا لا يكتبون، وقد شرحنا هذا المعنى في البقرة [آية:٧٨].

﴿رَسُولًا﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿مِّنْهُمْ﴾؛ أي: من جِنسهم ونسَبِهم.

---

(١) قراءة شاذة، قرأ بها أيضا أبو وائل شقيق بن سلمة، ينظر: "إيضاح الوقف والابتداء" لأبي بكر الأنباري ٢/ ٩٣٥، و"القطع والائتناف" للنحاس ص٧٣٧، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٦.

فإنْ قِيل: فما وجه الامتنان في أنه بعث نبيًّا أميًّا؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: لموافقة ما تقدَّمت بشارةُ الأنبياء به[١].

والثَّاني: لمشاكلة حاله لأحوالهم، فيكون أقرب إلى موافقتهم[٢].

والثَّالث: لئلَّا يظنَّ به أنه يعلم كتب من قبله. وما بعد هذا في سورة البقرة [آية: ١٢٩]... إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: وما كانوا قبل بعثته إلا في ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن، وهو الشِّرك.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدهما: وبعث محمدًا في آخرين منهم؛ أي: من الأميين.

والثَّاني: ويعلم آخرين منهم، ويزكيهم.

وفي المراد بالآخرين أربعة أقوال:

أحدها: أنهم العجم، قاله ابن عمر، وسعيد بن جبير[٣]، وهي رواية ليث عن مجاهد[٤].

---

(١) في (ر): ما تقدمت البشارة به في كتب الأنبياء.

(٢) في (ر): لموافقتهم.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٠٦، ومكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٤٥٨، والسمعاني في "تفسيره" ٥/ ٤٣١، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٨١.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٧٤.

فعلى هذا إنما قال: "منهم"؛ لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم؛ إذ المسلمونَ يد واحدة، وملة واحدة.

والثَّاني: أنهم التابعون، قاله عكرمة، ومقاتل(١).

والثَّالث: جميع مَن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله ابن زيد، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد(٢).

والرَّابع: أنَّهمُ الأطفال، حكاه الماورديُّ(٣).

قوْلُه تعالى: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾؛ أي: لم يلحقوا بهم.

قوْلُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ يعْنِي: الإسلامَ والهدى ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ [٧٨٤/ أ] الْعَظِيمِ﴾ بإرْسال محمد ﷺ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٥ – ٨].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣١١ (٣٢٢٣)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٥٣ عن عكرمة، وفي "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٢٥: الباقين من هذه الأمة ممن بقي منهم.

(٢) أخرجه عنهما الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٧٥.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٧.

ثُــمَّ ضرب لليهــود الذيــن تركــوا العمــلَ بالتــوراة مثــلًا؛ فقــال تعــالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾؛ أي: كُلِّفــوا العمــل بــما فيهــا ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾؛ أي: لم يعملــوا بموجبِهــا، ولم يــؤدُّوا حقَّهــا ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ وهي جمــع ســفر. والسِّفْر: الكتــاب، فشــبَّههم بالحـمار لا يعقل مــا يحمــل، إذ لم ينتفعوا بــما في التّــوراة، وهــي دالَّــة عــلى الإيــمان بمحمَّــدٍ ﷺ، وهــذا المثــل يلحــق مَــن لم يعمــلْ بالقــرآن ولم يفهــمْ معانيــه.

﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ﴾ ذمَّ مثلَهــم، والمــراد ذمُّهــم، واليهــود كذبــوا بالقــرآن وبالتــوراة حــين لم يؤمنــوا بمحمَّــدٍ. ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أنفســهم بتكذيــب الأنبيــاء.

قولــه تعــالى: ﴿ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ ﴾ وذلــك أنَّ اليهــود، قالــوا: نحــن ولــد إسرائيــل الله، ابــن ذبيــح الله، ابــن خليــل الله، ونحــن أولى بــالله عــزّ وجــلّ مــن ســائر النَّــاس، وإنــما تكــون النبــوة فينــا. فقــال الله عــزّ وجــلّ لنبيّــه عليــه الصــلاة والســلام: قُــلْ لهــم: {إن كنتــم أَوْلِيــاءَ للهِ مِــنْ دُونِ النَّــاسِ فَتَمَنَّــوُا الْمَــوْتَ}؛ لأنَّ الآخــرة خــير لأوليــاء الله مــن الدنيــا.

وقــد بيَّنــا هــذا ومــا بعــده في البقــرة [آيــة:٩٤]... إلى قولــه عــزّ وجــلّ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ ﴾، وذلــك أنّ اليهــود علمــوا أنهم قد أفســدوا عــلى أنفســهم أمــر الآخــرة بتكذيبهــم محمَّــدًا، وكانــوا يكرهــون المــوت، فقيــل لهــم: لا بــدَّ مــن نزولــه بكــم بقوْلــه تعــالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾.

قــالَ الفــرَّاء: العــرب تُدخــل الفــاءَ في كلِّ خبر كان اســمه مما يوصــل: مِثل:

"مـن" و"الـذي"، فمَـن أدخل الفـاء هاهُنـا ذهب "بالَّـذي" إلى تأويـل الجزاء.

وفي قـراءة عبـد الله: "إِنَّ المَـوْتَ الَّـذِي تَفِـرُّونَ مِنْـهُ مُلاقِيكُـم"(١)، وهـذا عـلى القيـاس؛ لأنَّـك تقـول: إنَّ أخـاك قائـم، ولا تقـول: فقائـم، ولـو قلـت: إنَّ ضاربـك فظـالم، لجـاز؛ لأنَّ تأويلـه: إن مـن يضربـك فظـالم(٢).

وقال الزَّجَّاج: إنما جاز دخولُ الفاء؛ لأنَّ في الكلام معنى الشرط والجزاء.

ويجـوز أن يكـون تمـام الـكلام عنـد قولـه تعـالى: ﴿تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ كأنَّـه قيـل: إن فررتـم مـن أي مـوتٍ كانَ مِـن قتْـلٍ أو غـيره: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾، وتكـون "فإنَّـه" اسـتئنافًا بعـد الخـبر الأول(٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعـة: ٩ - ١٠].

قوْلـه تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وهـذا هـو النـداء الـذي ينـادى بـه إذا جلـس الإمـام عـلى المنبر، ولم يكـن في عهـد رسـول الله نـداء سـواه، كان إذا جلـس عـلى المنـبر أذن بـلال عـلى بـاب المسـجد، وكذلـك كان عـلى عهـد أبي بكـر، وعمـر، فلـما كثـر النـاس عـلى عهـد عثـمان أمـر بالتأذيـن عـلى دار لـه بالسـوق، يقـال لهـا: "الـزوراء" وكان إذا جلـس أذن أيضًـا(٤).

---

(١) قراءة شاذة، ذكرها أيضًا الزمخشري في "الكشاف" ٤/ ٥٣٢.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٥- ١٥٦.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٧١.

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" ٣٤/ ٤٩٢ (١٥٧١٦)، والنسائي في "المجتبى" ٣/ ١٠٠- ١٠١،=



قوْلُه تعَالى: ﴿لِلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: لوقت الصلاة.

وفي "الجمعة" ثلاث لغات: ضم الجيم والميم، وهي قراءة الجمهور، وضم الجيم مع إسكان الميم، وبها قرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، وعكرمة، والزهري، وابن أبي ليلى، وابن أبي عبلة، والأعمش[١]، وبضم الجيم مع فتح الميم، وبها قرأ أبو مجلز، وأبو العالية، والنخعي، وعدي بن الفضل عن أبي عمرو[٢].

قال الزَّجَّاج: ومن قرأ بتسكين الميم، فهو تخفيف الجمعة لثقل الضمتين، وأمَّا فتح الميم، فمعناها: الذي يجمع الناس، كما تقول: رجل لعنة: يكثر لعنة الناس، وضحكة: يكثر الضَّحك[٣]. [٧٨٤/ ب]

وفي تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة ثلاثة أقوال:

أحدها: لأن فيه جمع آدم.

روى سلمان قال: قال لي رسول الله ﷺ: **"أَتَدْرِي مَا الْجُمُعَةُ"**؟ قلتُ:

=والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٠٨ من حديث السائب بن يزيد.

(١) قراءة شاذة، ينظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٦، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٧.

(٢) قراءة شاذة أيضًا، قال الفراء في "معاني القرآن" ٣/ ١٥٦: هي لغة لبني عقيل لو قرئ بها كان صوابًا. وقال الزجاج في "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ١٧١: ويجوز في اللغة الجمَعَة بفتح الميم ولا ينبغي أن يقرأ بها إلا أن تثبت بها روايةٌ عن إمام من القُرَّاء. وقال ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص١٥٧: ولم يقرأ بها أحد.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٧١.

لَا. قـال: "فِيـهِ جُمِـعَ أَبُـوكَ" يعنـي: تمـامَ خلقِـه في يـوم[١].

والثَّاني: لِاجْتِماع النَّاس فيه للصلاة.

والثَّالـث: لاجتـماع المخلوقـات فيـه؛ لأَنَّـه اليـوم الـذي منـه فـرغ مـن خلـق الأشـياء.

وفي أول من سماها بالجمعة قولان:

أحدهما: أَنَّـه كعـب بـن لـؤي سـماها بذلـك، وكان يقـال ليـوم الجمعـة: العروبـة. قالـه أبـو سـلمة[٢]. وقيـل: إنـما سـماها بذلـك لاجتـماع قريـش فيـه.

والثاني: أول من سماها بذلك الأنصار، قاله ابن سيرين[٣].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ **وفي هذا السعي ثلاثة أقوال:**

أحدهـا: أَنَّـه المـشي، قالـه ابـن عبـاس. وكان ابـن مسـعود يقرؤهـا: "فامضـوا"، ويقـول: لـو قرأتهـا: "فاسـعوا" لسـعيت حتـى يسـقط ردائـي[٤].

(١) أخرجـه عبـد الـرزاق في "مصنفـه" ٣/ ٢٥٦ (٥٥٦١) عـن الأعمـش مرسـلاً، وابـن خزيمـة في "صحيحـه" ٢/ ٨٣٨ (١٧٣٢)، وابـن حبـان في "صحيحـه" ٣/ ١١٨ (١٧٣٢)، والطـبراني في "المعجـم الكبـير" ٦/ ٢٣٧ (٦٠٩١، ٦٠٩٢)، الواحـدي في "الوسـيط" ٤/ ٢٩٦ (١١٩١) موصـولا.

(٢) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٠٩.

(٣) أخرجـه عبـد الـرزاق في "مصنفـه" ٣/ ١٥٩ (٥١٤٤)، وعَبـد بـن حُميـد، وَابـن المنـذر كما في "الـدر المنثـور" للسـيوطي ٨/ ١٥٩، والثعلبـي في "الكشـف والبيـان" ٩/ ٣٠٩.

(٤) قـراءة شـاذة، أخرجهـا عبـد الـرزاق في "مصنفـه" ٣/ ٢٠٧، (٥٣٤٨، ٥٣٤٩، ٥٣٥٠)، وفي "تفسـيره" ٣/ ٣٠٩- ٣١٠ (٣٢١٦، ٣٢١٧) والطـبري ٢٣/ ٣٨١- ٣٨٢، عـن ابـن مسـعود وعمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وأبي العاليـة. والبيهقـي في "السـنن الكـبرى" ٣/ ٢٢٧ عـن ابـن مسـعود.

وقال عطاء: هو الذهاب والمشي إلى الصلاة[١].

والثاني: أنَّ المراد بالسعي: العمل، قاله عكرمة، والقرظي، والضحاك[٢]، فيكون المعنى: فاعملوا على المضي إلى ذكر الله بالتفرغ له، والاشتغال بالطهارة ونحوها.

والثَّالث: أنه النية بالقلب، قاله الحسن[٣].

وقال ابن قتيبة: هو المبادرة بالنية والجد[٤].

وفي المراد "بذكر الله" قولان:

أحدهما: أنَّه الصلاة، قاله الأكثرون.

والثاني: موعظة الإمام، قاله سعيد بن المسيب[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾؛ أي: دعوا التِّجارةَ في ذلك الوقت.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" ٣/ ٢٠٧ (٥٣٤٧)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٦٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٤/ ١٧٥ (٥٥٩٩، ٥٦٠٢) عن عكرمة ومحمد بن كعب القرظي، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٨٣ عن عكرمة والضحاك، وابن انذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٦٢ عن محمد بن كعب القرظي.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٤/ ١٧٥ (٥٥٩٨)، وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٦٢.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٦٥.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٢/ ١٣٦ (٥٦٠١)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٨:، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣١١.

وعندنا: أنَّه لا يجوز البيع في وقت النداء، ويقع البيعُ باطلًا في حقِّ مَن يلزمه فرض الجمعة، وبه قال مالك خلافًا للأكثرين.

فَصْلٌ

تجب الجمعة على من سمع النداء من المصر، إذا كان المؤذن صيتًا، والريح سالكة. وقد حده مالك بفرسخ، ولم يحده الشافعي. وعن أحمد في التحديد نحوهما.

وتجب الجمعة على أهل القرى، وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على أهل الأمصار. ويجوز لأهل المصر أن يقيموا الجمعة في الصحراء القريبة من المصر خلافًا للشافعي.

ولا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين. وعن أحمد: أقله خمسون. وعنه: أقله ثلاثة. وقال أبو حنيفة: تنعقد بثلاثة والإمام، والعدد شرط في الجمعة، وقال أبو حنيفة في إحدى الروايتين: يصحُّ أن يخطب منفردًا.

وهل تجب الجمعة على العبيد؟ فيه عن أحمد روايتان.

وعندنا: تجب على الأعمى إذا وجد قائدًا، خلافًا لأبي حنيفة. ولا تنعقد الجمعة بالعبيد والمسافرين، خلافًا لأبي حنيفة.

وهل تجب الجمعة والعيدان من غير إذن سلطان؟ فيه عن أحمد روايتان.

وتجوز الجمعة في موضعين في البلد مع الحاجة. وقال مالك، والشافعي، وأبو يوسف: لا تجوز إلا في موضع واحد.

وتجوز إقامة الجمعة قبل الزوال خلافًا لأكثرهم، وإذا وقع العيد يوم الجمعة أجزأ حضوره عن يوم الجمعة، وبه قال الشعبي، والنخعي، خلافًا للأكثرين.

والمستحب لأهل الأعذار أن يصلوا الظهر في جماعة. وقال أبو حنيفة: يكره. ولا يجوز السفر يوم الجمعة بعد الزوال. وقال أبو حنيفة: يجوز. [٧٨٥/أ]

وهل يجوز السفر بعد طلوع الفجر؟ فيه عن أحمد روايتان. ونقل عن أحمد: أنه لا يجوز الخروج في الجمعة إلا للجهاد. وقال أبو حنيفة: يجوز لكل سفر. وقال الشافعي: لا يجوز أصلًا.

والخطبة شرط في الجمعة. وقال داود: هي مستحبة.

والطهارة لا تشترط في الخطبة، خلافًا للشافعي في أحد قوليه. والقيام ليس بشرط في الخطبة، خلافًا للشافعي. ولا تجب القعدة بين الخطبتين، خلافًا له أيضًا.

ومن شرْطِ الخطبة: التحميدُ، والصَّلاة على النبي ﷺ، وقراءة آية، والموعظة. وقال أبو حنيفة: يجوز أن يخطب بتسبيحة.

والخطبتان واجبتان، وأمَّا القراءة في الخطبة الثانية، فهي شرطٌ، خلافًا للشافعي.

والسنة للإمام إذا صعد المنبر، واستقبل الناس: أن يسلم، خلافًا لأبي حنيفة، ومالك.

وهل يحرم الكلام في حال سماع الخطبة؟ فيه عن أحمد روايتان. ويحرم على المستمع دون الخاطب، خلافًا للأكثرين. ولا يكره الكلام قبل الابتداء بالخطبة، وبعد الفراغ منها، خلافًا لأبي حنيفة.

ويستحب له أن يصلي تحية المسجد والإمام يخطب، خلافًا لأبي حنيفة، ومالك.

وهل يجوز أن يخطب واحد، ويصلي آخر، فيه عن أحمد روايتان.

قوْلُه تعَالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كان لكم علم بالأصلح ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ﴾؛ أي: فرغتم منها ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا أمر إباحة ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد المنع منها بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، وقال الحسن، وسعيد بن جبير: هو طلب العلم(١).

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾.

سَبَبُ نُزولها: أنَّ رسول الله ﷺ كان يخطب يومَ الجمعة، إذ أقبلت عيرٌ قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلًا، فنزلت هذه الآية.

---

(١) ذكره الزمخشري في "الكشاف" ٤/ ٥٣٦.

أخرجه البخاري ومسلم في "الصحيحين" من حديث جابر بن عبد الله[١]، قاله الحسن.

وذلك أنهم أصابهم جوعٌ، وغلاء سعر، فلما سمعوا بها خرجوا إليها، فقال النبي ﷺ: "لَوِ اتَّبَعَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمُ الْتَهَبَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَارًا"[٢].

قال المفسرون: كان الذي قدم بالتِّجارة دحيةُ بن خليفةَ الكلبي.

قال مقاتل: وذلك قبل أن يسلم[٣]. قالوا: قدم بها من الشام، وضرب لها طبل يؤذن الناس بقدومها. وهذه كانت عادتهم إذا قدمت عيرٌ. قال جابر بن عبد الله: كانت التجارة طعامًا[٤].

قال أبو مالك: كانت زيتًا[٥].

والمراد باللهو: ضرب الطبل. و﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ بمعنى: تفرقوا عنك، فذهبوا إليها. والضمير للتجارة.

وإنما خصت برد الضمير إليها، لأنها كانت أهم إليهم، هذا قول الفراء[٦]، والمبرد.

---

(١) "صحيح البخاري" (٢٠٥٨)، و"صحيح مسلم" (٨٦٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣١١ (٣٢٢١)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٨٧.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٢٨، وأخرجه أبو داود في "مراسيله" (٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩٣٦).

(٥) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٨٦.

(٦) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٧.

وقال الزَّجَّاج: **المعنى**: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها[١]، أو لهوًا انفضوا إليه، فحذف خبر أحدهما؛ لأن الخبر الثَّاني يدلُّ على الخبر المحذوف.

وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: "انفضوا إليهما" على التثنية. وعن ابن مسعود، وابن أبي عبلة: "انفضوا إليه" على ضمير مذكر[٢].

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ وهذا القيام كان في الخطبة ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من ثواب الصلاة والثبوت[٣] مع رسول الله ﷺ ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ [٧٨٥/ ب] لأنَّه يرزق من يؤمن به ويعبده، ومن يكفر به ويجحده، فهو يُعطي من سأل، ويبتدئ من لا يسأل، وغيره إنما يرزق من يرجو منفعته، أو يُقبل على خدمته.

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٧٢.

(٢) كلتا القراءتين شاذة، ذكرهما: الحافظ عبد الرازق الرسعني في "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" ص١٧٠، وابن عادل الدمشقي في "اللباب في علوم الكتاب" ١٩/ ٩٧، والآلوسي في "روح المعاني" ٢٨/ ١٠٥.

(٣) في (ر): الثبات.



سورة المنافقون

وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعهم.

وذكَر أهْلُ التَّفسير أنَّها نزلت في عبد الله بن أُبَيٍّ ونُظرائِه.

وكان السَّببُ أنَّ عبد الله خرج مع النَّبي ﷺ في خلْقٍ كثير مِنَ المنافقين إلى المريسيع، وهو ماءٌ لبني المصطلق طلبًا للغنيمة، لا للرَّغبة في الجهاد؛ لأنَّ السَّفر كَان قريبًا[1].

فلـمَّا قضى رسول الله ﷺ غزْوه، أقبَلَ رجلٌ من جهينة، يُقال له: سِنان، وهو حليفٌ لعبد الله بن أُبي، ورجلٌ من بني غِفار يُقال له: جهجاه بن سعيد، وهو أجيرٌ لعمرَ بْنِ الخطَّاب لاسْتِقاء الماء، فدار بينهما كلامٌ، فرفع الغِفاري يده فلَطَم الجهني، فأدْمَاه، فنادى الجهني: يا آل الخزرج، فأقبلوا، ونادى الغفاري: يا آل قريش، فأقبلوا، فأصلح الأمْرَ قوْمٌ من المهاجرين.

فبلَغ الخبر عبد الله بن أُبَيٍّ فقال -وعنده جماعةٌ من المنافقين-: واللهِ مَا مثلُكم ومثَلُ هؤُلاء الرَّهط مِن قُريش إلا مَثَل مَا قالَ الأوَّلُ: سَمِّنْ كلبكَ يأكُلْكَ، ولكن هذا فعلكم بأنفسكم، آوَيْتُمُوهم في منازلكم، وأنفقتم عليهم أمْوالكم، فقووا وضعفتم. وايْم الله: لو أمسكتم أيديكم لتفرقت عن هذا جموعُه، ولئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذلَّ، وكان في القوم زيد بن أرقم، وهو غلامٌ يومئذٍ لا يُؤبَه له، فقال لعبد الله: أنت واللهِ الذَّليلُ القليلُ. فقَال: إنما كنْت ألعب.

---

(١) في (ر): لأن السفر قريب.

فأقبل زيْدٌ بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال عُمرُ: دعْنِي أضرب عنقَه. فقال: "**إِذَنْ تَرْعَدُ لَهُ أُنُفٌ كَثِيرَةٌ**". قال: فإن كرهت أن يقتله رجلٌ من المهاجرين، فمُرْ سعْدَ بن عبادة، أو محمد بن مسلمة، أو عباد بن بشر فليقتله. فقال: "**إِذَنْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**".

فأرْسَل رسولُ الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبَيٍّ، فأتاه، فقال: «**أَنْتَ صَاحِبُ هَذَا الْكَلَامِ**»؟ فقال: والذي أنزل عليك، ما قلت شيئًا من هذا، وإن زيدًا لكذاب. فقال مَن حضر: لا يُصدَّقُ عليه كلام غلامٍ، عسى أن يكون قد وهم. فعذَره رسولُ الله ﷺ، وفشَتِ الملامة في[1] الأنصار لزيدٍ، فكذَّبُوه، وقال له عمُّه: ما أردْتَ إلا أن كذَّبك رسولُ الله ﷺ [والمسلمون][2]، ومقتوك فاستحيا زيدٌ، وجلس في بيته.

وبلغ عبدَ الله بنَ عبد الله بنِ أُبَيٍّ ما كان من أمر أبيه، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: بلغني أنَّك تريد قَتْلَ عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ؛ لِما بلغَك عنه. فإنْ كنت فاعلًا فمُرني به[3]، فأنَا أحمل إليك رأسه، فإني أخشى أن يقتلَه غيري، فلا تَدَعني نفسي حتى أقتل قاتلَه، فأدخل النَّار، فقال رسول الله ﷺ: «**بَلْ نُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا**»، وأنزل الله سورة الْمُنَافِقِينَ في تصديق زيدٍ، وتكذيبِ عبد الله، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى زيْدٍ فقرأها عليه، [٧٨٦/ أ] فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ**».

---

(١) في (ر): من.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ر).

ولما أراد عبد الله بن أُبَيٍّ أن يدخل المدينةَ جاء ابنُه، فقال: ما وراءَكَ؟ قال: ما لَكَ ويلَكَ؟ قال: والله لا تدخلها أبدًا إلا بإذن رسول الله ﷺ لتعلم(١) اليوم من الأعزُّ، ومن الأذلّ. فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه(٢)، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ أن خلِّ عنه حتى يدخل، فلما نزلت السورة وبانَ كذِبُه قيل له: يا أبا حُبابٍ: إنه قد نزلت فيك آياتٌ شِداد فاذهَبْ إلى رسول الله ليستغفِرَ لك. فلوّى رأسه(٣)، فذلك قوْلُه تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾، وقيل: الَّذي قال له هذا عبادة بن الصامت(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ١ - ٤].

قوْلُه تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يعني: عبدَ الله بْنَ أُبي وأصحابَه.

---

(١) في (ر): ليعلم.

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ر): فلوّى به رأسه.

(٤) القصة بتمامها مع اختلاف في بعض ألفاظها ذكرها البغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٩٩- ١٠٠ عن ابن إسحاق.

﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ وهاهنا تمَّ الخبر عنهم، ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وإنما جعلهم كاذبين؛ لأنهم أضمروا غير ما أظهروا.

قال الفرَّاء: إنَّما كذَّب ضميرهم[١].

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد ذكرناه في المجادلة: [آية: ١٦].

قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدلُّ على أنَّ قول القائل: "أشهد" يمين؛ لأنهم قالوا: "نشهد" فجعله يمينًا بقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾[٢]، وقد قال أحمد، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة: أشهد، وأقسم، وأعزم، وأحلف، كلُّها أيمان.

وقال الشافعي: "أقسم" ليس بيمين، وإنما قوله: "أقسم بالله" يمين إذا أراد اليمين.

قوْلُه تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: ذلك الكذب ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في السِّرِّ ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمانَ والقرآن ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أنَّ لهم أجسامًا ومناظر.

قال ابن عباس: كان عبد الله بن أُبي جسيمًا فصيحًا، ذلق اللِّسان، فإذا قال سمع النَّبيُّ ﷺ قوْلَه[٣]. وقال غيره: **المعنى**: تُصغي إلى قولهم،

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٨.

(٢) "المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين" للقاضي أبي يعلى الفراء ٣/ ٥٠ .

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٢٠، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٩٨، والزمخشري في "الكشاف" ٤/ ٥٤٠.



فتحسب أنه حقٌّ.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ قرأ ابنُ كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: "خُشُبٌ" بضم الخاء، والشين جميعًا، وهو جمع خشبة؛ مثل: ثمرة، وثمر.

وقرأ الكسائي: "خُشْبٌ" بضمِّ الخاء، وتسكين الشين؛ مثل: بَدَنة، وبُدْن، وأَكَمة، وأُكْم. وعن ابن كثير، وأبي عمرو، مثله[(١)].

وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة، وابن سيرين: "خَشَب" بفتح الخاء، والشين جميعًا[(٢)].

وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو عمران: "خَشْبٌ" بفتح الخاء، وتسكين الشين[(٣)]، فوصفهم الله بحسن الصورة، وإبانة المنطق، ثم أعْلَم أنهم في ترك التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب. والمسندة: الممالة إلى الجدار.

والمراد: أنها ليست بأشجار تثمر وتنمي، بل خشب مسندة إلى حائط.

ثم عابهم بالجبن، فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: لا يسمعون صوتًا إلا ظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرُّعب أن يكشف الله أسرارهم، وهذه مبالغةٌ في الجبن. وأنشدوا في هذا المعنى [من الطويل]:

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٧١، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٩١.

(٢) قراءة شاذة، قرأ بها أيضا: ابن المسيب وسعيد بن جبير كما في "المحرر الوجيز" لابن عطية ٥/ ٣١٢.

(٣) قراءة شاذة أيضًا، ولم أقف على من ذكرها غير ابن الجوزي.

وَلَــوْ أَنَّهَــا عُصْفُــورَةٌ لَحَسِــبْتُهَا مُسَــوَّمَةً تَدْعُــو عُبَيْــدًا وَأَزْنَــمَا[١]

أي: لـو طـارت عصفـورةٌ لحسـبتها مـن جُبْنـك خيـلًا تدعـو هاتـين [٧٨٦/ ب] القبيلتـين.

قوْلُــه تعَــالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾؛ أي: لا تأمنهــم عــلى سرك؛ لأنَّهــم عيــون لأعدائــك مِــنَ الكُفَّــار ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ مفــسر في بَــرَاءة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقــون: ٥ - ٨].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ قـد بيَّنَّـا سـببه في نـزول السـورة.

---

(١) البيـت مـن الطويـل، وهـو دون نسـبة في: "الحيـوان" للجاحـظ ٥/ ١٣١، ٦/ ٥٤٨، و"جمهـرة اللغـة" لابـن دريـد ٢/ ٨٢٨، و"المذكـر والمؤنـث" لأبي بكـر الأنبـاري ١/ ١٠٠، و"غريـب القـرآن" ص٤٦٨، و"تأويـل مشـكل القـرآن" ص١٤ لابـن قتيبـة. وفي "الحماسـة الصغـرى" لأبي تمـام ص٢٣٠ أن قائلـه: العـوام، أحـد بنـي شـيبان بـن ثعلبـة. ومنسـوب في "أمـالي اليزيـدي" ص٦٦ لمغيرة بـن طـارق بـن ديسـق اليربوعـي، ونسـبه ابـن عبـد ربـه في "العقـد الفريـد" ٦/ ٥٤ للعوام.

وقال العيني في "المقاصد النحوية" ٤/ ١٩٦٦: قائله هو العوام بن شوذب.



﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ وقرأ نافع، والمفضل عن عاصم، ويعقوب: "لَوَوا" بالتَّخفيف[١]. واختار أبو عبيدة التَّشديد[٢]. وقال: لأنهم فعلوا ذلك مرَّة بعْد مرَّةٍ[٣].

قال مجاهد: لما قيل لعبد الله بن أُبَيٍّ: تعالَ يستغفر لك رسول الله لوى رؤوسهم[٤]، قال: ماذا قلت؟[٥].

وقال مقاتل: عطفوا رؤوسهم رغبةً عن الاستغفار[٦]. وقال الفرَّاء: حرَّكُوها استهزاءً بالنَّبي وبدعائه[٧].

قوْلُه تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾؛ أي: يُعرضون عن الاستغفار. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: متكبرون عن ذلك.

ثم ذكر أنَّ استغفاره لهم لا ينفعهم بقوْلِه تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ

---

(١) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٧١، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٩٢، "الإقناع في القراءات السبع" لأبي جعفر الغرناطي ص٣٨٤.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٩).

(٣) لم أقف عليه في كتب أبي عبيدة معمر بن المثنى أو غيره.

(٤) في سائر النسخ: رأسه.

(٥) "تفسير مجاهد" ص٦٦١، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٣٩٩، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٧٤.

(٦) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٣٨.

(٧) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٥٩.

﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو جعفر: "آسْتَغْفَرْتَ" بالمد[١].

قوْلُه تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قد بيَّنا أنَّه قول ابن أُبَيٍّ. و﴿يَنفَضُّوا۟﴾ بمعنى: يتفرقوا.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال المفسِّرون: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرض: النبات.

والمعْنَى: أنَّه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين، لا أولئك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: لا يعْلَمون أنَّ الله رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ من هذه الغزوة.

وقد تقدَّم ذكْرُها وهذا قول ابن أُبَيٍّ ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ يعني: نفسه، وعنى بـ﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ رسول الله ﷺ.

وقرأ الحسن: "لنُخرِجَنَّ" بالنون مضمومة وكسر الراء[٢]. "الأعزَّ" بنصب الزَّاي على الحال، المعنى: لنخرجنه ذليلًا على أي حال ذلٍّ. والكل نصبوا "الأذلَّ"، فرد الله عز وجل عليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ وهي: المنعة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بإعزاز الله ونصره إياهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

---

(١) إحدى القراءات العشر، ينظر: "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص٣٩٨، و"الكنز في القراءات العشر" لأبي محمد الواسطي ٢/ ٦٨٤.

(٢) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٧ وزاد نسبتها لابن أبي عبلة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٩ - ١١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾؛ أي: لا تشغلكم.

وفي المراد بذكر الله هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: طاعة الله في الجهاد، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: الصَّلاة المكتوبة، قاله عطاء، ومقاتل[١].

والثالث: الفرائض من الصلاة، وغيرها، قاله الضحاك[٢].

والرابع: أنه على إطلاقه.

قال الزَّجَّاج: حضَّهم بهذا على إدامة الذكر[٣].

قوْلُه تعَالَى: و﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ **في هذه النفقة ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنَّه زكاة الأموال، قاله ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) "تفسير مقاتل" ٤/ ٣٤١، وأخرجه الفريابي عن عطاء كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٦/ ٢٠٧.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤١٠ بلفظ: الصلوات الخمس. وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٠، وذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ١٨ بلفظ المصنف.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٧٧.

والثَّاني: أنَّها النفقة في الحقوق الواجبة بالمال؛ كالزكاة والحج، ونحو ذلك، وهذا المعنى مرويٌّ عنِ الضَّحَّاكِ.

والثَّالث: أنها[1] صدقة التطوع، ذكَرَه الماوردي[2].

فعلى هذا يكون الأمر ندبًا، وعلى ما قبله يكون أمر وجوب.

قوْلُه تعَالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قالَ الزَّجَّاج: أي: من قبل أن يعاين ما يعلم منه أنَّه ميت[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾؛ أي: هلَّا أخرتني ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يعني بذلك الاستزادة في أجله ليتصدق ويزكي، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ [٧٨٧/ أ] [قال أبو عبيدة][4]: "فأصدق" نصب؛ لأنَّ كُلَّ جواب بالفاء للاستفهام منصوب. تقول: من عندك فآتيك. هلَّا فعلت كذا فأفعلَ كذا، ثم تبعتها ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ بغير واو.

وقال أبو عمْرٍو: إنَّما هي، وأكون، فذهبت الواو من الخطِّ. كما يكتب أبو جاد أبجد هجاء[5]. وهكذا يقرؤها أبو عمرو "وأكونَ" بالواو، ونصب النون. والباقون يقرؤون "وأكُنْ" بغير واو[6].

---

(١) في (ر): أنَّه.

(٢) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ١٩.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٧٧.

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٩.

(٦) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٣، و"معاني القراءات"=

قالَ الزَّجَّاج: مَن قرَأ: "وأكون" فهو على لفظ: "فأصدق"، ومن جزم "أكن" فهو على موضع "فأصدق"؛ لأنَّ المعنى: إن أخرتني أصدق وأكن[١].

وروى أبو صالح عن ابن عباس: "فأصدق"؛ أي: أزكي مالي ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: أحج مع المؤمنين[٢].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: "يعملون" بالياء والباقون بالتاء، والمعنى: بما تعملون من التكذيب بالصدقة. قال مقاتل: يعني: المنافقين[٣].

ورَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: ما من أحد يموت، وقد كان له مال لم يزكّه، وأَطاقَ الحج فلم يحج، إلا سأل الله الرجعة عند الموت، فقالوا له: إنما يسأل الرجعة الكفار. فقال: أنا أتلو عليكم به قرآنًا. ثم قرأ هذه الآية[٤].

=للأزهري ٣/ ٧١، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٩٣، "الحجة للقراء السبع" لابن خالويه ص٣٤٦.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٧٨.

(٢) أخرجه ابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٠.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٤٢.

(٤) أخرجه الفاكهي في "أخبار مكة" ١/ ٣٧٢ (٧٨١)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤١١.

سُورة التّغابن

وفيها قوْلَانِ:

أحدهمـا: أنّهـا مدنيّـة، قالَـه الجمْهُـور، منْهُـم ابْـنُ عبَّـاسٍ، والحسَـن، ومُجاهِـد، وعكرمـة، وقتـادة.

والثّاني: أنّها مكيّة، قالَه الضَّحَّاكُ.

وقـالَ عطـاءُ بْـنُ يسـارٍ: هـي مكيّـة إلّا ثـلَاث آيـات منهـا نزلْـنَ بالمدينـةِ قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ ﴾ واللتـان بعدهـا(١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ [التغابـن: ١ - ٦].

وقـد سـبق تفْسِـيرُ فاتحتهـا إلى قوْلِـه تعـالى: ﴿ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ ﴾ وفيـهِ قـوْلَانِ:

---

(١) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٠٢.

أحدهما: أنَّ الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافرًا، رَواه الوالبيُّ عن ابن عباس(١).

والأحاديث تعضد هذ القول؛ كقوله عليه الصَّلاة والسلام: "خُلِقَ فِرْعَوْنُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ كَافِرًا، وَخُلِقَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ مُؤْمِنًا"(٢)، وقوْلِه: "فَيُؤْمَرُ المَلَكُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ"(٣).

والثَّاني: أنَّ تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، ثم وصَفَهم فقَال تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾.

واخْتلف أرباب هذا القول فيه على أربعة أقوال:

أحدها: فمنكم كافر [يؤمن](٤)، ومنكم مؤمن يكفر، قاله أبو

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٢/ ٣٨٢، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣/ ٤٣٧، وذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٤/ ٢٢٨، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٠٦، والسمعاني في "تفسيره" ٥/ ٤٤٨، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٠٢.

(٢) أخرجه الآجري في "الشريعة" ٢/ ٧٨٨ (٣٦٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" ١٠/ ٢٢٤ (١٠٥٤٣)، وابن بطة في "الإبانة الكبرى" ٤/ ٣٢- ٣٣ (١٤١٥، ١٤١٦)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" ٣/ ٦٣٣ (١٠١٩- ١٠٢١) من حديث ابن مسعود. قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٧/ ١٩٣: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٨٣١) بمجموع طرقه.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦٥٩٤)، ومسلم في "صحيحه" (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود.

(٤) من (ر)، و(س).

الجوزاء عن ابن عبَّاس(١).

والثَّاني: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العَاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة، قاله أبو سعيد الخدري(٢).

والثَّالث: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب، قاله عطاء بن أبي رباح(٣)، وعنى بذلك شأن الأنواء.

والرَّابع: فمنكم كافر بالله خلقه، ومؤمن بالله خلقه، حكاه الزَّجَّاج(٤).

والكفر بالخالق مذهب الدهرية، وأهل الطبائع، وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: خلقكم أحسن الحيوان كله(٥).

وقرأ الأعمش: "صِوَرَكم" بكسر الصَّاد(٦)، ويُقال في جمع صورة: صُوَر، وصِوَر، كما يُقال في جمع لحية: لِحَى، ولُحَى.

---

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٢٧.

(٢) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٠٣.

(٣) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٠٣، وابن عطية في "المحرر الوجيز" ٥/ ٢١٧- ٢١٨.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٧٩ وفيه: أي: مؤمن بأن الله خلقه وكافِر بأن الله خلقه.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٨٠.

(٦) قراءة شاذة، قرأ بها أيضا أبو رزين، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" ص١٥٨، و"الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهذلي ص٦٤٩، و"إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" للدمياطي ص٥٤٥.



وذكَر ابْنُ السَّائب أن معْنَى ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: أحكمها(١).

وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ روى المفضل عن عاصم "يسرون" و"يعلنون" بالياء فيهما(٢). [٧٨٧/ ب]

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ هذا خطابٌ لأهْل مكَّة خوَّفهم ما نزل بالكفَّارِ قبلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: جزاء أعمالهم، وهو ما أصابهم من العذاب في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذي أصْابهم ﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فينكرون ذلك، ويقولون: ﴿أَبَشَرٌ﴾؛ أي: ناس مثلنا، ﴿يَهْدُونَنَا﴾ والبشر: اسم جنس، معناه: الجمع، وإن كان لفظه واحدًا.

﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟﴾؛ أي: أعرضوا عن الإيمان ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن إيمانهم وعبادتهم.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

(١) ذكره دون نسبة لابن السائب: الماتريدي في "تأويلات أهل السنة" ١٠/ ٣٢، وأبو الليث السمرقندي في "بحر العلوم" ٣/ ٢٠٣، والماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٢١.

(٢) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٢/ ٧٦.

ٱلرَّسُولُۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ التغابن: [٧ - ١٨].

قوْلُه تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ كان ابن عمر يقول: "زعموا" كناية الكذب(١). وكان مجاهد يكره أن يقول الرجل: زعم فلان(٢).

قوْلُه تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ يعني: البعث ﴿وَٱلنُّورِ﴾ هو القرآن، وفيه بيان أمر البعث والحساب والجزاء.

قوْلُه تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ﴾ هو منْصوبٌ بقوْلِه تعالى: ﴿لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ﴾.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ﴾ وقرأ يعقوب: {يوم نجمعكم} بالنون، كيوم الجمع وهو يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأن الله تعالى يجمع فيه الجنّ والإنس، وأهل السموات، وأهل الأرض ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾: تفاعل من

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤١٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٣/ ٢١٢ (٢٦٣٠٩)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٣.

الغبن، وهو فوت[1] الحظِّ.

والمراد في تسميته يوم القيامة بيوم التغابن فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه ليس من كافر إلا وله منزل وأهل في الجنة، فيرث ذلك المؤمن، فيغبن حينئذٍ الكافر، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس[2].

والثَّاني: غبن أهل الجنة أهل النَّار، قاله مجاهد، والقُرظي[3].

والثَّالث: أنَّه يوم غبن المظلوم الظالم[4]؛ لأنَّ المظلوم كان في الدنيا مغبونًا، فصار في الآخرة غابنًا، ذكره الماوردي[5].

والرَّابع: أنَّه يوم يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمانَ[6]، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ذكره الثعلبي[7].

قال الزجَّاج: وإنما ذكر ذلك مثلًا للبيع والشراء؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾ [الصف: ١٠][8]،

---

(١) في الأصل: موت، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٣.

(٣) "تفسير مجاهد" ص٦٦٢، وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٩/ ٣٧٦ (٣٦٣٧٩)، والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٣.

(٤) في الأصل: للظالم، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٢٣.

(٦) في (ر): للإيمان.

(٧) "الكشف والبيان" للثعلبي ٩/ ٣٢٨.

(٨) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ١٨٠.

ومَـا بعد هـذا ظاهر إلى قولـه تعـالى: ﴿صَٰلِحًا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾.

قـرأ نافـع، وابـن عامـر، والمفضـل عـن عاصـم: "نكفـر" و"ندخلـه" بالنُّـون فيهـا. والباقـون: باليـاء[١].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: بعلمه وقضائه[٢].

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ فيه ستَّةُ أقْوَالٍ:

أحدهـا: يهـد قلبـه لليقـين، فيعلـم أنَّ مـا أصابـه لم يكـن ليخطئـه، ومـا أخطـأه لم يكـن ليصيبـه، رواه عـلي بـن أبي طلحـة عـن ابـن عبَّـاسٍ[٣].

وقـال علْقمَـةُ: هـو الرَّجـل تصيبـه المصيبـة، فيعلـم أنهـا مـن قبـل الله تعـالى، فيسـلم، ويـرضى[٤].

والثَّـاني: يهـد قلْبَـه للاسـترجاع، وهـو أن يقـول: إنـا لله، وإنـا إليـه راجعـون، قالَـه مُقاتِـلٌ[٥].

(١) كلتـا القراءتـين سـبعية متواتـرة، ينظـر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٣٨، "معـاني القـراءات" للأزهـري ٣/ ٧٣، و"الحجـة للقـراء السـبعة" لأبي عـلي الفـارسي ٦/ ٢٩٥، و"العنـوان في القـراءات السـبع" لأبي طاهـر السرقسـطي ص١٩١.

(٢) ذكره الواحدي في "البسيط" ٢١/ ٤٨٦، و"الوسيط" ٤/ ٣٠٧.

(٣) أخرجـه الطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٤٢١، وابـن المنـذر كـما في "الـدر المنثـور" للسـيوطي ٨/ ١٨٤.

(٤) أخرجـه الطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٤٢١، والثعلبـي في "الكشـف والبيـان" ٩/ ٣٢٩، والبيهقـي في "السـنن الكـبرى" ٤/ ١١٠، وهـو في "صحيـح البخـاري" كتـاب تفسـير القرآن، سـورة التغابـن معلقـا.

(٥) "تفسـير مقاتـل بـن سـليمان" ٤/ ٣٥٣، وأخرجـه عـن مقاتـل بـن حيـانَ: أبـو إسـحاق=

والثَّالث: أنَّه إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظُلم غفر، قاله ابن السائب[1]، وابن قتيبة[2].

والرَّابع: يهد قلبه؛ أي: يجعله مهتديًا، قالَه الزَّجَّاج[3].

والخامس: يهد وليه بالصبر والرضا، قاله أبو بكر الورَّاق[4].

والسَّادس: يهد قلبه لاتباع السنة إذا صحَّ إيمانه، قاله أبو عثمان الحيري[5].

وقرأ أبو بكر الصَّديق، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك: "يَهْدَ" بياء مفتوحة، ونصب الدال، "قَلْبُهُ" بالرفع[6].

قال الزَّجَّاج: هذا من هدأ يهدأ؛ إذا سكن. **فالمعنى**: إذا سلم لأمر الله سَكَنَ قلبُه[7]. [٧٨٨/أ]

وقرأ عثمان بن عفان، والضَّحَّاك، وطلحة بن مصرف، والأزرق عن حمزة: "نَهْد" بالنون[8].

=الجهضمي في "أحكام القرآن" (٣٨٨).

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٢٣.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٦٩.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٨١.

(٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٢٩.

(٥) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٢٩.

(٦) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٨، وفيه قراءة أبي بكر: يَهْدَأ قلبه. والقراءة المذكورة نسبها لهارون.

(٧) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٨١.

(٨) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٨، و"المحرر الوجيز"=

وقـرأ عـليٌّ بـن أبي طالـب، وأبـو عبـد الرحمـن: "يُهْـدَ" بضـمِّ اليـاء، وفتـح الـدَّال "قَلْبُـهُ" بالرفـع[١]. ومـا بعـد هـذا ظاهِـرٌ إلى قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾.

سـبَبُ نُزولهـا: أنَّ الرجـل كان يُسـلم، فـإذا أراد الهجـرةَ منعـه أهلُـه، وولـدُه، وقالـوا: نَنْشُـدُكَ الله أن تذهـب وتَـدَعَ أهلَـك وعشـيرتك وتصـير إلى المدينـة بـلا أهْـلٍ ولا مـالٍ. فمنهـم مـن يَـرِقُّ لهـم، ويقيـم فـلا يهاجـر، فنزلـت هـذه الآيـة.

فلـما هاجـر أولئـك، ورأوا النـاس قـد فَقِهُـوا[٢] في الديـن هَمُّـوا أن يعاقبـوا أهليهـم[٣] الذيـن منعوهـم، فأنـزل الله تعـالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾... إلى آخـر الآيـة، هـذا قـول ابـن عبَّـاسٍ[٤].

=لابن عطية ٥/ ٣١٩ وزاد نسبتها لسعيد بن جبير.

(١) قـراءة شـاذة، ينظـر: "مختـصر في شـواذ القـرآن" لابـن خالويـه ص١٥٨ ونسـبها لأبي جعفـر بـدل عـلي رضي الله عنـه، و"المحـرر الوجيـز" لابـن عطيـة ٥/ ٣١٩ ونسـبها للضحـاك.

(٢) في الأصل: مقتوا، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في (ر): أهلهم.

(٤) أخرجـه الترمـذي في "سـننه" (٣٣١٧)، وقـال: هـذا حديـث حسـن صحيـح. والطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٤٢٣، والطحـاوي في "شرح مشـكل الآثـار" ٦/ ١٤٠، والطـبراني في "المعجـم الكبـير" ١١/ ٢٧٥ (١١٧٢٠)، والحاكـم في "مسـتدركه" ٢/ ٥٧٧ وصححـه، وزاد السـيوطي في "الـدر المنثـور" ٨/ ١٨٤ عـزوه للفريـابي وعبـد بـن حميـد وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم وابـن مردويـه.

وقالَ الزَّجَّاج: لما أرادوا الهجرة قال لهم أزواجهم، وأولادهم: قد صبرنا لكم على مفارقة الدين فلا نصبر[١] لكم على مفارقتكم، ومفارقة الأموال، والمساكن، فأعْلَم الله عز وجل أنَّ من كان بهذه الصُّورةِ، فهو عدوٌّ، وإن كان ولدًا، أو كانت زوجة[٢].

وقال مجاهد: كان حب الرجل ولده وزوجته يحمله على قطيعة رحمه ومعصية ربه[٣].

وقال قتادة: كان من أزواجهم، وأولادهم من ينهاهم عن الإسلام، ويثبطهم عنه[٤]، فخرج في قوله تعالى: ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ **ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: بمنعه من الهجرة، وهذا على قول ابن عباس.

والثاني: بكونهم سببًا للمعاصي، وهذا على قول مجاهد.

والثَّالث: بنهيهم عن الإسلام، وهذا على قول قتادة.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال الفرَّاء: لا تطيعوهم في التخلف.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: بلاء وشغل عن الآخرة، فالمال والأولاد يوقعان في العظائم إلا لمن[٥] عصمه الله.

---

(١) في الأصل: يصبر، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٨١.

(٣) "تفسير مجاهد" ص٦٦٢، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٢٤.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣١٤ (٣٢٢٨)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٢٤.

(٥) في (ر): من.

وقال ابن قتيبة: أي: إغرام، يقال: فتن فلان بالمرأة، وشغف بها؛ أي: أغرم بها[١].

وقال أهل المعاني: إنما دخل "من" في قوله تعالى: "إن من أزواجكم"؛ لأنه ليس كل الأزواج، والأولاد أعداء، ولم يذكر "من" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ لأنها لا تخلو من الفتنة، واشتغال القلب بها.

وقد روى بريدة عن رسول الله ﷺ أنَّه كان يخطب، فجاء الحسن، والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان، ويعثران، فنزل من المنبر، وحملهما، فوضعهما بين يديه ثم قال: "صَدَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ، وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي، وَرَفَعْتُهُمَا"[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: ثواب جزيل، وهو الجنة. **والمعنى:** لا تعصوه بسبب الأولاد، ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾؛ أي: ما أطقتم ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما تؤمرون به ﴿وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾.

---

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٦٩.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" ٣٨/ ٩٩ (٢٢٩٩٥)، وأبو داود في "سننه" (١١٠٩)، والترمذي في "سننه" (٣٧٧٤) وقال: حسن غريب. والنسائي في "سننه" ٣/ ١٠٨، ١٩٢، وابن ماجه في "سننه" (٣٦٠٠). وصححه ابن خزيمة في "صحيحه" ٢/ ٣٥٥ (١٤٥٦)، ٣/ ١٥١ (١٨٠١)، وابن حبان في "صحيحه" ١٣/ ٤٠٢- ٤٠٣ (٦٠٣٨، ٦٠٣٩)، والألباني في "صحيح سنن أبي داود" (١٠١٦).

وفي هذه النفقة ثلاثة أقوال:

أحدها: الصدقة، قاله ابن عباس[١].

والثاني: نفقة المؤمن على نفسه، قاله الحسن[٢].

والثَّالث: النفقة في الجهاد، قاله الضَّحَّاك[٣].

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ حتى يعطي حقَّ الله في ماله، وقد تقدَّم بيانُ هذا في سورة الْحَشْرِ، وما بعده قد سبق بيانُه إلى آخر السورة.

---

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٢٦.

(٢) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٢٦.

(٣) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٢٦.

سُورة الطَّلاق

وتُسمَّى سورة النِّساء القصرى، وهي مدنية كلُّها بإجْماعِهِم. [٧٨٨/ ب]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾.

قالَ الزَّجَّاج: هذا خِطابٌ للنَّبي ﷺ، والمؤمنون داخلونَ معه فيه. ومعناه: إذا أردتم طلاقَ النساء؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦][١].

وفي سبب نزول هذه الآية قوْلَانِ:

أحدهما: أنها نزلت حين طلق رسولُ الله ﷺ حفصةَ، وقيل له: راجِعْها، فإنها صوَّامة [قوَّامة][٢]، وهي من إحدى زوجاتك في الجنَّة، قالَه أنس بن مالك[٣].

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٨٣.

(٢) من (ر)، و(س).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ٨/ ١٤٢، و"الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٨٩.

والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن عمر، وذلك أنَّه طلق امرأته حائضًا، فأمَرَه النَّبِيُّ ﷺ أن يراجعَها، ثم يمسكَها حتَّى تطْهُرَ، قاله السدي(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: لزمان عدتهن، وهو الطهر، وهذا للمدخول بها؛ لأنَّ غير المدخولِ بها لا عدة عليها.

والطَّلاق: على ضربين: سني، وبدعي.

فالسُّني: أن يطلقَها في طهر لم يجامعها فيه، فذلك هو الطَّلاق للعدة؛ لأنَّها تعتد بذلك الطهر من عدةٍ، وتقع في العدة عقيب الطلاق، فلا يطول عليها زمانُ العدة.

والطلاق البدعي: أن يقع في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، فهو واقعٌ، وصاحبه آثِمٌ، فإنْ جمع الطلاقَ الثلاث في طهر واحد، فالمنصور من مذهبنا أنَّه بدعة.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾؛ أي: زمان العدة.

وفي إحصائها فوائد منها: مراعاة زمان الرجعة، وأوان النفقة، والسكنى، وتوزيع الطلاق على الإقرار إذا أراد أن يطلق ثلاثًا، وليعلم أنها قد بانت، فيتزوج بأختها، وأربع سواها.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾؛ أي: فلا تعصوه فيما أمركم به ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ فيه دليلٌ على وجوب السُّكْنى، ونسب البيوت إليهن، لسكناهن قبل الطَّلاق فيهن، ولا يجوز لها أن تخرج في

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٣٢، والواحدي في "البسيط" ٢١/ ٤٩٣.

عدتها إلا لضرورة ظاهرةٍ، فإنْ خرجت أثمت ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ﴾.

وفيهَا أَرْبعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أنَّ المعنى: إلا أن يخرجن قبل انقضاء المدة، فخروجهن هو الفاحشة المبينة، وهذا قول عبد الله بن عمر، والسُّدي، وابن السَّائب[1].

والثَّاني: أنَّ الفاحشة: الزِّنا، رواه مجاهد عن ابن عباس[2]، وبه قال مجاهد[3]، والشعبي[4]، وعكرمة[5]، والضحاك[6].

فعلى هذا يكون المعنى: إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحدِّ عليهن.

والثَّالث: الفاحشة: أن تَبْذُوَ على أهلها[7]، فيحِل[8] لهم إخراجها،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" ٦/ ٣٢٢ (١١٠١٩)، وابن وهب في التفسير من "جامعه" ١/ ١٤٢ (٣٣٢)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٣٧، ٤٤٠ من طريقه، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٧/ ٤٣١ عن ابن عمر. وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٣٧، ٤٤٠ عن السدي، وذكره الواحدي في "البسيط" ٢١/ ٥٠٢، و"الوسيط" ٤/ ٣١٢ عن ابن السائب الكلبي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" ٣/ ٩٠٤ (٥٠٣٨)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٩٣.

(٣) "تفسير مجاهد" ص٦٦٣، وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٩٣، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٣٨.

(٤) أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٩٣.

(٥) أخرجه ابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٩٤.

(٦) ينظر "تفسير ابن أبي حاتم" ٣/ ٩٠٤، و"تفسير ابن كثير" ٢/ ٢٤١.

(٧) في (س): أهله.

(٨) في الأصل: فيجعل، والمثبت من سائر النسخ.

رواه محمد بن إبراهيم عن ابن عباس(١).

والرَّابع: أنها إصابة حدٍّ، فتخرج لإقامة الحدِّ عليها، قاله سعيد بن المسيب(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ يعني: ما ذكر من الأحكام ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ التي بيَّنها. وأمر بها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾؛ أي: أثم فيما بينه وبين الله تعالى.

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾؛ أي: يوقع في قلب الزوج المحبةَ لرجعتها بعد الطَّلقة و الطَّلقتين.

وهذا يدلُّ على أنَّ المستحب في الطلاق تفريقه، وأن لا يجمعَ الثَّلاث.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: قاربن انقضاءَ العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وهذا مبين في البقرة [آية: ٢٣١].

﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال المفسِّرون: أشهدوا على الطلاق، أو المراجعة.

---

(١) أخرجه الشافعي في "مسنده بترتيب السندي" ٢/ ١٨٥ (٦٥٥)، وإسحاق بن راهويه في "مسنده" ٥/ ٢٢٩ (٢٣٧٥)، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٧/ ٧٠٨، وفي "معرفة السنن والآثار" ١١/ ٢١٠، ٢٨٨ (١٥٣٠٠، ١٥٥٣٥).

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٩٣.

واختلَف العلماء: هلِ الإشهادُ على المراجعة واجبٌ، أم مستحبٌّ؟ وفيه عن أحمد روايتان، وعن الشافعي قوْلَانِ، ثم قال للشهداء: ﴿وَأَقِيمُوا۟ [٧٨٩/ أ] ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾؛ أي: اشهدوا بالحق، وأدُّوها على الصِّحَّة، طلبًا لمرضاة الله، وقيامًا بوصيته، وما بعده قد سبق بيانُه إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ فذكر أكثرُ المفسرين أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر العدوُّ ابنًا له، فذكر ذلك للنبي ﷺ، وشكا إليه الفاقةَ، فقال: "اتَّقِ اللهَ، وَاصْبِرْ، وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ". ففعل الرجل ذلك، فغفل العدوُّ عن ابنه، فساق غنمَهم، وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية(١).

وفي معناها للمفسِّرين خمسة أقوال:

أحدها: ومن يتق الله يُنجِّه مِن كُلِّ كرْبٍ في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس(٢).

والثاني: بأن مخرجه: علمه بأن ما أصابه من عطاء أو منع، من قبل الله، وهو معنى قول ابن مسعود(٣).

---

(١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٣٦، والخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" ١٠/ ١١٨ (٢٩٧٧) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٩٥- ١٩٦.

(٣) أخرج ابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ١٩٥.



والثَّالث: ومن يتق الله، فيُطلِّقُ للسنة، ويُراجع للسنة، يجعل له مخرجًا، قاله السُّدِّي(١).

والرَّابع: ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة، يجعل له مخرجًا من النَّار إلى الجنة، قاله ابنُ السَّائب(٢).

والخامس: يجعل له مخرجًا من الحرام إلى الحلال، قاله الزَّجَّاج(٣).

والصَّحيح: أنَّ هذا عامٌّ، فإنَّ الله تعالى يجعل للتقي مخرجًا من كلِّ ما يضيق على مَن لا يتقي في كلِّ شدة(٤).

قال(٥) الربيع بن خثيم: يجعل له مخرجًا من كل ما ضاق(٦) على النَّاس(٧).

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾؛ أي: من حيث لا يأمل، ولا يرجو.

قال الزَّجَّاج: ويجوز أن يكون: إذا اتقى الله في طلاقه، وجرى في ذلك على السُّنة، رزقه الله أهلًا بدل أهله(٨).

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٤٦.

(٢) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٣١، والواحدي في "البسيط" ٢١/ ٥٠٦.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٨٤.

(٤) في (ر): من كل ما يضيق عليه. ومن لا يتقي، يقع في كل شدة.

(٥) في الأصل: قاله، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) في (ر): يضيق.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٢٣ (٣٢٤٩)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٩/ ٤٨١ (٣٢٤٩)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٤٦.

(٨) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٨٤.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ أي: من وثق به فيما نابه، كفاه الله ما أهمه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ وروى حفصٌ، والمفضل عن عاصم: "بالغُ أمرِه" مضاف[١]. والمعنى: يقضي ما يريد.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾؛ أي: أجلًا ومنتهًى ينتهي إليه قدر [الله][٢] ذلك كله، فلا يقدم ولا يؤخر.

قال مقاتل: قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء قدرًا، فقدر متى يكون هذا الغني فقيرًا، أو هذا الفقير غنيًا[٣].

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٤ - ٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ في سببِ نُزولها قوْلَانِ:

أحدهما: أنها لما نزلت عدة المطلقة، والمتوفى عنها زوجها في البقرة [آية: ٢٢٧- ٢٣٢] قال أُبيُّ بن كعب: يا رسول الله! إنَّ نساءً من أهل المدينة يقلن: قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء. قال: "وَمَا هُوَ"؟ قال:

(١) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٣٩، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٧٥، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٠٠.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٦٤.



الصغار والكبار، وذوات الحمل، فنزلت هذه الآية، قاله عمرو بن سالم(١).

والثاني: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾... الآيةَ [البقرة: ٢٢٨]، قال خلَّاد بن النعمان الأنصاري: يا رسول الله! فما عدة التي لا تحيض، وعدة التي لم تحض، وعدة الحبلى؟ فنزلت هذه الآية قاله مُقاتل(٢).

ومعنى الآية ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾؛ أي: شككتم فلم تدروا ما عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ كذلك.

فَصْلٌ

قال القاضي أبو يعلى: والمراد بالارتياب هاهنا: ارتياب المخاطبين في مقدار عدة الآيسة والصغيرة كم هو؟ وليس المراد به ارتياب المعتدات في اليأس من المحيض، أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزول الآية، ولأنَّه لو أريد ذلك لَتَوَجَّه(٣) الخطاب إليهن فقيل: إن ارتبتن، أو ارتبن؛ لأن الحيض إنَّما يعلم من جهتهن. [٧٨٩/ ب]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٩/ ٣١٢ (١٧٣٨٧)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٥١، وابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ٨/ ١٤٩، والحاكم في "مستدركه" ٢/ ٥٧٩، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٧/ ٦٩٠، والواحدي في "أسباب النزول" ص٤٣٧.

(٢) لم أقف عليه في "تفسير مقاتل بن سليمان" ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٣٩، والواحدي في "أسباب النزول" ٤٣٦، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١١٠.

(٣) في (ر): لو أريد بذلك النساء لتوجه.

وقد اختلف في المرأة إذا تأخر حيضها لا لعارض كم تجلس؟ فمذهب أصحابنا أنها تجلس غالب مدة الحمل، وهو تسعة أشهر، ثم ثلاثة.

والعدة: هي الثلاثة التي بعد التسعة، فإن حاضت قبل السنة ولو[1] بيوم، استأنفت ثلاث حيض، وإن تمت السنة من غير حيض، حلت، وبه قال مالك.

وقال أبو حنيفة، والشافعي في الجديد: تمكث أبدًا حتى يعلم براءة رحمها قطعًا، وهي أن تصير في حد لا يحيض مثلها، فتعتد بعد ذلك ثلاثة أشهر.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ يعني: عدتهن ثلاثة أشهر أيضًا؛ لأنَّه كلام لا يستقل بنفسه، فلا بدَّ له من ضمير، وضميره مَا تقدم ذكره مظهرًا، وهو العدة بالشهور. وهذا على قول أصحابنا محمولٌ على من لم يأت عليها زمان الحيض: أنها تعتد ثلاثة أشهر. فأما من أتى عليها زمان الحيض، ولم تحض، فإنها تعتد سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ عامٌّ في المطلقات، والمتوفَّى عنهن أزواجُهن، وهذا قول عمر، وابن عمر، وابن مسعود[2]، وأبي مسعود البدري، وأبي هريرة، وفقهاء الأمصار.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٥٤، وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٠٣.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: تعتد آخر الأجلين[١]. ويدلُّ على قولنا عمومُ الآية، وقولُ ابن مسعود: من شاء لاعنته، ما نزلت: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها[٢]. وقول أم سلمة: إن سُبيعة وضعت بعد وفاة زوجها بأيَّام، فأمرها رسول الله ﷺ أن تتزوج[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾؛ أي: فيما أمر به ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة، وهذا قول الأكثرين.

وقال الضحاك: ومن يتق الله في طلاق السنة، يجعل الله له من أمره يسرًا في الرجعة[٤].

قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: ما ذكر من الأحكام ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بطاعته ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾؛ أي: يمح عنه خطاياه ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤٩٠٩)، ومسلم في "صحيحه" (١٤٨٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٦/ ٤٧١ (١١٧١٤)، وابن وهب في التفسير من "جامعه" ١/ ١٢٢ (٢٨٢)، وأبو داود في "سننه" (٢٣٠٧)، وابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" ٨/ ١٥١، والنسائي في "السنن الكبرى" ٦/ ٣٠٤ (٥٦٨٦)، و"الصغرى" ٦/ ١٩٧، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٥٣، والطبراني في "المعجم الكبير" ٩/ ٣٢٩ (٩٦٤١، ٩٦٤١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٤٨٥) بمعناه، وأخرجه إسحاق بن راهويه في "مسنده" ٤/ ١٥١ (١٩٢٨)، والدارمي في "سننه" ٣/ ١٤٦٦ (٢٣٢٦)، والنسائي في "المجتبى" ٦/ ١٩٣، والطبراني في "المعجم الكبير" ٢٣/ ٢٧٠ (٥٧٤) بلفظه.

(٤) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٣١، ٣٣، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٠٩، .

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٦ – ٧].

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾؛ أي: حيث سكنتم، و"من" صلة قوله: ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الواو.

وقرأ أبو هريرة، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، وروح عن يعقوب بكسر الواو[1].

وقرأ ابن يعمر، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة: بفتح الواو[2].

قال ابن قتيبة: أي: بقدر وسعكم. والوجد: المقدرة، والغنى، يقال: افتقر فلان بعد وجد[3].

قال الفراء: يقول: على ما يجد، فإن كان مُوسَّعًا عليه، وسَّع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان مُقتَّرًا عليه، فعلى قدر ذلك[4].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ بالتضييق عليهن في المسكن، والنفقة، وأنتم تجدون سعةً.

---

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٨.

(٢) قراءة شاذة أيضا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٨.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧١.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للفراء ٣/ ١٦٣.



قال القاضي أبو يعلى: المراد بهذا: المطلقة الرجعية دون المبتوتة، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢] فدلَّ على ذلك أنَّه أراد الرجعيَّة.

وقد اختلف الفقهاء في المبتوتة: هل لها سكنى، ونفقة في مدة العدة، أم لا؟ فالمشهور عند أصحابنا: أنه لا سكنى لها ولا نفقة، وهو قول ابن أبي ليلى.

وقال أبو حنيفة: لها السكنى، والنفقة. وقال مالك والشَّافعي: لها السكنى، دون النفقة. وقد رواه الكوسج عن أحمد. [٧٩٠/أ]

ويدلُّ على الأول حديث فاطمة بنت قيس أنَّ النبي ﷺ قال لها: "**إِنَّمَا النَّفَقَةُ لِلْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا مَا كَانَتْ لَهُ عَلَيْهَا الرَّجْعَةُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهَا، فَلَا نَفَقَةَ وَلَا سُكْنَى**"(١). ومن حيث المعنى: إنَّ النفقة إنما تجب لأجل التمكين من الاستمتاع، بدليل أن الناشز لا نفقة لها.

واختلفوا في الحامل، والمتوفَّى عنها زوجها: فقال ابن مسعود، وابن عمر، وأبو العالية، والشعبي، وشريح، وإبراهيم: نفقتها من جميع المال(٢)،

(١) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" ٧/ ٢٣ (١٢٠٢٦)، والحميدي في "مسنه" ١/ ١٥٥ (٣٦٧)، وأحمد في "مسنده" ٤٥/ ٥٣ (٢٧١٠٠)، والنسائي في "المجتبى" ٦/ ١٤٤، والطبراني في "المعجم الكبير" ٢٤/ ٣٧٨ (٩٣٥)، و"المعجم الأوسط" ٧/ ١٤٤ (٧١٠٩). وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١٧١١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٠/ ١٤٣- ١٤٤ (١٩٣٢١) عن ابن مسعود، و(١٩٣٢٢) عن ابن عمر، (١٩٣٢٥، ١٩٣٢٦) عن شريح، و(١٩٣٢٤، ١٩٣٢٧) عن إبراهيم، و(١٩٣٢٣) عن الشعبي.

وبه قال مالك، وابن أبي ليلى، والثوري.

وقال ابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعطاء: نفقتها في مال نفسها[١]، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه. وعن أحمد كالقولين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: أجرة الرضاع. وفي هذا دلالةٌ على أنَّ الأمَّ إذا رضيت أن ترضعه بأجرة مثله، لم يكن للأب أن يسترضع غيرها.

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: لا تشتط المرأة على الزوج فيما تطلبه من أجرة الرضاع، ولا يقصر الزوج عن المقدار المستحق وإن تعاسرتم في الأجرة ولم يتراض الوالدان على شيء، ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر؛ أي: فليسترضع الوالد غير والدة الصبي.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾: أمر أهل التوسعة أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادَهن على قدْر سعتِهم.

وقرأ ابن السميفع: "لِيُنفَقْ" بفتح القاف[٢]. ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾؛ أي: ضيق عليه من المطلقين.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٠/ ١٤٢- ١٤٣ (١٩٣١٢، ١٩٣١٣، ١٩٣١٤، ١٩٣١٦، ١٩٣١٧).

(٢) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٩.



وقرأ أُبيٌّ بن كعب، وحميد: "قُدِّرَ" بضم القاف، وتشديد الدال[١].

وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: "قَدَّر" بفتح القاف وتشديد الدال "رزقَه" بنصب القاف[٢].

﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ على قدر ما أعطاه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾؛ أي: على قدر ما أعطاها من المال ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾؛ أي: بعد ضيق وشدة، غنى وسعة، وكان الغالب عليهم حنيئذ الفقر، فأعلمهم أنه سيفتح عليهم بعد ذلك.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ٨ - ١١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَكَأَيِّن﴾؛ أي: وكم ﴿مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾؛ أي: عن أمر رسله. **والمعنى:** عتا أهلها.

قال ابن زيد: عتت؛ أي: كفرت، وتركت أمرَ ربِّها، فلم تقبله.

وفي باقي الآية قولان:

أحدهما: أنَّ فيها تقديمًا، وتأخيرًا. **والمعنى:** عذبناها عذابًا نكرًا في

(١) قراءة شاذة أيضًا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٩.

(٢) قراءة شاذة أيضا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٩.

الدنيا بالجوع، والسيف، والبلايا، وحاسبناها حسابًا شديدًا في الآخرة، قاله ابن عباس(١)، والفراء في آخرين(٢).

والثَّاني: أنها على نظمها، **والمعنى**: حاسبناها بعملها في الدنيا، فجازيناها بالعذاب على مقدار عملها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾ فجعل المجازاةَ بالعذاب محاسبةً.

والحساب الشديد: الذي لا عفو فيه، والنكر: المنكر.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾؛ أي: جزاء ذنبها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ في الدنيا، والآخرة. وقال ابن قتيبة: الخسر: الهلكة(٣).

قوْلُه تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾؛ أي: قرآنا ﴿رَّسُولًا﴾؛ أي: وبعثه رسولًا، قاله مقاتل(٤). وإلى نحوه ذهب السدي.

وقال ابن السائب: الرسول هاهنا: جبريل(٥). فعلى هذا: يكون [٧٩٠/ ب] الذكر والرسول جميعًا منزلين.

وقال ثعلب: الرسول: هو الذكر. وقال غيره: معنى الذكر هاهنا: الشرف. وما بعده قد تقدم... إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ يعني: الجنةَ التي لا ينقطع نعيمها.

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٦٦ بنحوه.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٦٤.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧١.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٦٧.

(٥) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٣٦.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾؛ أي: وخلق من الأرض بعددهن. وجاء في الحديث: أنَّ كثافة كلِّ سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأخرى كذلك، وكثافة كل أرض خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض الأخرى كذلك[1].

وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: في كل أرض آدم مثل آدمكم، ونوح مثل نوحكم، وإبراهيم كإبراهيم[2]، وعيسى كعيسى.

فهذا الحديث تارة يرفع إلى ابن عباس[3]، وتارة يوقف على أبي الضحى، وليس له معنى إلا ما حكى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت أن معناه: إن في كل أرض خلقًا من خلق الله لهم سادة، يقوم كبيرهم ومتقدمهم في الخلق مقام آدم فينا، وتقوم ذريته في السن والقدم كمقام

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" ٣/ ٢٩٢- ٢٩٣ (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، وأبو يعلى ١٢/ ٧٥ (٦٧١٣)، والحاكم في "مستدركه" ٢/ ٣٤٤ من حديث العباس بن عبد المطلب مرفوعا. ليس فيه: وكثافة كل أرض خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض الأخرى كذلك.
وأخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" ٤/ ٣٥ (٢٦٦٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا تامًّا.
وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٦٩- ٤٧٠ عن ابن مسعود موقوفا.

(٢) في (ر): مثل إبراهيمكم.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٦٩، والحاكم في "مستدركه" ٢/ ٤٩٣ وقال: صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. والبيهقي في "الأسماء والصفات" ١/ ٥٤٩، وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ٨/ ٢١١. قال البيهقي: إسناده صحيح ولكنه شاذ لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعًا.

نوح. وعلى هذا المثال سائرهم.

وقال كعب: ساكن الأرض الثانية الريح[(١)] العقيم، وفي الثالثة: حجارة جهنم، والرابعة: كبريت جهنم، والخامسة: حيات جهنم، والسادسة: عقارب جهنم، والسابعة: فيها إبليس[(٢)].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ في الأمر قولان:

أحدهما: أنَّه[(٣)] قضاء الله عزَّ وجلَّ وقدره، قاله الأكثرون.

قال قتادة: في كلِّ أرض من أرضه وسماء من سمائه خلقٌ من خلقه، وأمرٌ من أمره، وقضاءٌ من قضائه[(٤)].

والثاني: أنَّه الوحي، قاله مقاتل[(٥)].

قوْلُه تعَالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ أعلمكم هذا[(٦)] لتعلموا قدرته على كلِّ شيءٍ وعلمه بكل شيء.

---

(١) في (ر): البحر.

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده" كما في "بغية الباحث" للهيثمي ٢/ ٨٤٥ (٨٩٦).

(٣) ليست في (ر).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣١٨ (٣٢٤٠)، والطبري في "تفسيره" ٣/ ٤٧٠، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢١٠.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٦٧.

(٦) في (ر): بهذا.



سورة التحريم

وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجْمَاعِهِم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ١ - ٥].

قوْلُه تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنَّ حفصة ذهبت إلى أبيها تتحدث عنده، فأرسل النَّبي ﷺ إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشةَ، فرجعت حفصة، فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة.

فلما دخلت حفصة قالت: قد رأيت مَن كان عندك. والله لقد سؤتني، فقال النبي ﷺ **"وَاللهِ لأُرْضِيَنَّكِ، وَإِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكِ سِرًّا فَاحْفَظِيهِ"**، قالت: وما هو؟ قال: **"إِنِّي أُشْهِدُكِ أَنَّ سُرِّيَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ رِضًا لَكِ"**،

وكانت عائشة وحفصة متظاهرتين على نساء النبي ﷺ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فقالت لها: أبشري؛ إنَّ النبي ﷺ قد حرم عليه فتاتَه، فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس(١).

وقد رُوي عن عمر نحو هذا المعنى، وقال فيه: فقالت حفصة: كيف تحرمها عليك، وهي جاريتك؟ فحلف لها أن لا يقربها، فقال لها: "لَا تَذْكُرِيهِ لِأَحَدٍ"، فذكرته لعائشة، فآلى أن لا يدخل على نسائه شهرًا، فنزلت هذه الآية(٢).

وقال الضحاك: قال [لها](٣): "لَا تَذْكُرِي لِعَائِشَةَ مَا رَأَيْتِ" فذكرته، فغضبت عائشة، ولم تزل بنبيِّ الله حتى حلف أن لا يقربَها، فنزلت هذه الآية(٤)، وإلى هذا المعنى: ذهب سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومسروق، ومقاتل، والأكثرون. [٧٩١/أ]

والثاني: ما روى عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل، وكان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نسائه، فدخل على حفصة بنت عمر، واحتبس عندها، فسألت عن ذلك، فقيل: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت منه(٥) رسولَ الله ﷺ،

---

(١) أخرجه ابن سعد وابن مردويه كما في "الدر المنثور" ٨/ ٢١٤- ٢١٥.

(٢) أخرجه الدارقطنيُّ في "سننه" ٥/ ٧٥، والواحدي في "أسباب النزول" ص٤٣٨.

(٣) من (ر).

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٧٧.

(٥) ليست في (ر).



فقلت: أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة: إنه سيدنو منك إذا دخل عليك، فقولي له: يا رسول الله! أكلت مغافير. فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل. فقولي: جرَسَتْ نحلهُ العُرْفُط. وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك.

فلمّا دنا من سودةَ قالت له ذلك ولّما دخل عليَّ قلت له مثل ذلك، فلما دار إلى صفيَّة قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت [له][1]: يا رسول الله! أسقيك منه؟ قال: "لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ". قالت: تقول سودة: سبحان الله! والله لقد حرمْناه. قلت لها: اسكتي. أخرجه البخاري ومسلم في "الصحيحين"[2].

وفي رواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس: أنَّ التي شرب عندها العسل سودة، فقالت له عائشة: إني لأجد منك ريحًا. ثم دخل على حفصة، فقالت: إني أجد منك ريحًا. فقال: إني أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه. فنزلت هذه الآية[3].

وفي حديث عبيد بن عمير عن عائشة أنَّ التي شرب عندها العسل زينبُ بنت جحش، فتواطأت حفصة وعائشة أن تقولا له ذلك القول[4].

---

(١) من (ر).

(٢) "صحيح البخاري" (٥٢٦٨)، "صحيح مسلم" (١٤٧٤).

(٣) أخرجه الطبراني في "الكبير" ١١/ ١١٧ (١١٢٢٦) موصولاً، والواحدي في "أسباب النزول" ص ٤٤٠ عن ابن أبي مليكة مرسلًا.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤٩١٢)، ومسلم في "صحيحه" (١٤٧٤).

قال أبو عبيد: المغافير: شيء شبيه بالصمغ فيه حلاوة، وخرج الناس يتمغفرون؛ إذا خرجوا يجتنونه. ويقال: المغاثير بالثاء، مثل جدث، وجدف[١].

وقال الزجاج: المغافير: صمغ متغير الرائحة[٢].

فخرج في المراد بالذي أحل الله له قولان:

أحدهما: أنه جاريته.

والثاني: العسل.

قوله تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾؛ أي: تطلب رضاهن بتحريم ذلك.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفر الله لك التحريم.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال مقاتل: قد بيَّن الله لكم[٣].

﴿تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾؛ أي: كفارةَ أيمانكم، وذلك البيان في المائدة [آية: ٨٩].

قال المفسرون: وأصل "تَحِلَّة" تَحْلِلَة على وزن تَفْعِلَة، فأدغمت، **والمعنى:** قد بيَّن الله [لكم][٤] تحليل أيمانكم بالكفَّارة، فأمره الله أن يكفّر يمينه، فأعتق رقبة.

---

(١) "غريب الحديث" لأبي عبيد ٢/ ٢٥٦.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩١.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٧٦.

(٤) من (ر).

واختلفوا هل حرم ماريةَ على نفسه بيمين، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: حرمها من غير ذكر يمين، فكان التحريم موجبًا لكفارة اليمين، قاله ابن عباس(١).

والثاني: أنه حلف يمينًا حرمها بها، قاله الحسن، [والشعبي](٢)، وقتادة(٣).

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾؛ أي: وليكم وناصركم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ يعني: حفصة من غير خلاف علمناه.

وفي هذا السر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قال لها: "**إِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكِ سِرًّا فَاحْفَظِيهِ، سُرِّيَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ**". رواه العوفي عن ابن عباس(٤)، وبه قال عطاء، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابنه، والسدي.

[٧٩١/ب] والثاني: أنه قال لها: "**أَبُوكِ، وَأَبُو عَائِشَةَ، وَالِيَا النَّاسِ مِنْ بَعْدِي، فَإِيَّاكِ أَنْ تُخْبِرِي أَحَدًا**"، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٧٨.

(٢) من (ر)، و(س).

(٣) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٣٩.

(٤) أخرجه ابن سعد وابن مردويه كما في "الدر المنثور" ٨/ ٢١٤- ٢١٥.

(٥) أخرجه ابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢١٩، وابن عدي "الكامل في معرفة الضعفاء" ٤/ ٥٠٨، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣١٩ (١٢١٣)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٣٠/ ٢٢٢.

والثَّالث: أنَّه أسرَّ إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي، قاله ميمون بن مهران[١].

قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: أخبرت به عائشة ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: أطلع الله نبيَّه على قولِ[٢] حفصة لعائشة، فغضب رسول الله ﷺ غضبًا شديدًا؛ لأنَّه استكتم حفصة ذلك، ثم دعاها، فأخبرها ببعض ما قالت، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾.

وفي الذي عرَّفها إيَّاه قولان:

أحدهما: أنَّه حدَّثها ما حدثتها عائشة من شأن أبي بكر وعمر، وسكت عما أخبرت عائشة من تحريم مارية؛ لأنَّه لم يبال ما أظهرت من ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٣].

والثاني: أنَّ الذي عرف: تحريم مارية، والذي أعرض عنه: ذكر الخلافة؛ لئلا ينتشر، قاله الضحاك[٤]، وهذا اختيار الزَّجَّاج.

قال: ومعنى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ عرَّفَ حفصةَ بعضَه[٥]. وقرأ الكسائي،

(١) أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة" ١/ ٣٩٩ (٦١٠)، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٤٥، وابن الأعرابي في "معجمه" ٢/ ٧٣١ (١٤٨٢)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٣٠/ ٢٢٢- ٢٢٣.

(٢) في (ر): قولة.

(٣) أخرجه الدارقطني في "سننه" ٥/ ٢٧٠، وأبو نعيم في "فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم" (١٧٧).

(٤) أخرجه أبو نعيم في "فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم" (١٧٨).

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩١.

"عَـرَفَ" بالتَّخفيـف(١).

قـال الزَّجَّـاج: عـلى هـذه القـراءة قـد عـرف كل مـا أسره، غـير أنَّ المعنـى جـارٍ عـلى بعضـه؛ كقولـه تعـالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقـرة: ١٧٩]؛ أي: يعلمـه ويجـاز عليـه، وكذلـك: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلـة: ٧]؛ أي: يـر جـزاءه.

فقيـل: إنَّ النبـي ﷺ طلَّـق حفصـة تطليقـة، فـكان ذلـك جزاءهـا عنـده، فأمـره الله أن يراجعهـا(٢).

وقـال مقاتـل بـن حيـان: لم يطلقهـا، وإنـما هـمَّ بطلاقهـا، فقـال لـه جبريـل: لا تطلقهـا، فإنهـا صوامـة قوامـة(٣).

وقـال الحسـن: مـا اسـتقصى كريـم قـط، ثـم قـرأ: "عـرَّف بعضـه وأعـرض عـن بعـض"(٤).

وقـرأ ابـن مسـعود، وأُبَيُّ بـن كعـبٍ، وابـنُ السـميفع: "عُـرَّاف" برفـع العـين، وتشـديد الـراء وبألـف "بعضِـه" بالخفـض(٥).

---

(١) قـراءة سـبعية متواتـرة، ينظـر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٤٠، و"معـاني القـراءات" للأزهـري ٢/ ٧٦، و"الحجـة للقـراء السـبعة" لأبي عـلي الفـارسي ٦/ ٣٠١.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩٢ - ١٩٣.

(٣) وهـو أيضًـا في "تفسير مقاتـل بـن سـليمان" ٤/ ٣٧٧، وذكـره عـن مقاتـل بـن حيـان: البغـوي في "معـالم التنزيـل" ٥/ ١١٨.

(٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٤٦، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١١٨.

(٥) قـراءة شـاذة، ينظـر: "مختـصر في شـواذ القـرآن" لابـن خالويـه ص١٥٩، وفيـه: عَـرَّافَ بعضَـه. سـعيد بـن المسيب وعكرمـة.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾؛ أي: أخبر حفصة بإفشائها السرَّ.

﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾؛ أي: من أخبرك بأني أفشيت سرَّك؟

﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ثم خاطب عائشة وحفصة، فقال: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

قال ابن عباس: زاغت، وأثمت[١].

قال الزَّجَّاج: عدلت، وزاغت عن الحق[٢].

قال مجاهد: كنا نرى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ شيئًا هينًا حتى وجدناه في قراءة ابن مسعود: فقد زاغت قلوبكما[٣].

وإنما جعل القلبين جماعة؛ لأن كل اثنين فما فوقهما جماعة. وقد أشرنا إلى هذا في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النّساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١].

قال المفسرون: وذلك أنهما أحبَّا ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته.

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن ومجاهد والأعمش: "تَظَاهَرَا" بتخفيف الظاء[٤]؛ أي: تعاونا على النبي ﷺ بالإيذاء.

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٥٦٩.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩٣.

(٣) "تفسير مجاهد" ص٦٦٥، والقراءة شاذة، رويت أيضا عن علي والأعمش، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٩.

(٤) هي قراءة متواترة، قرأ بها أيضًا: عاصم وحمزة والكسائي، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص١٦٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٢/ ١٣١.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾؛ أي: وليُّه في العون، والنصرة ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وليه ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفي المراد بصالح المؤمنين ستة أقوال:

أحدها: أنهم أبو بكر وعمر قاله ابن مسعود، وعكرمة، والضحاك[١].

والثاني: أبو بكر، رواه مكحول عن أبي أمامة[٢].

والثالث: عمر بن الخطَّاب، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد[٣].

[٧٩٢/أ] **والرابع:** خيار المؤمنين، قاله الربيع بن أنس.

والخامس: أنهم الأنبياء، قاله قتادة، والعلاء بن زياد العدوي، وسفيان[٤].

---

(١) وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" ١٠/ ٢٠٥ (١٠٤٧٧)، وابن شاهين في "شرح مذاهب أهل السنة" (١٥٥)، وأبو نعيم الأصبهاني في "فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم" (١٠٣)، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٤٨، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٢٠ مرفوعا من حديث ابن مسعود.
وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على "فضائل الصحابة" لأبيه ١/ ١٢٨ (٩٨)، وابن المقرئ في "معجمه" (١١٧٢) عن عكرمة وسعيد بن جبير، وأحمد في "فضائل الصحابة" ١/ ١٦٧ (١٦١) عن الضحاك.

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" ٣/ ٧٨.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على "فضائل الصحابة" لأبيه ١/ ٢٤٦ (٣٠٥) عن مجاهد، وفي ١/ ٢٥٩، ٣٤١، ٤٣٠ (٣٣٣، ٤٩٠، ٦٨١)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٧/ ٦٠ (٣٢٦٥٩) عن سعيد بن جبير.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٢٣ (٣٢٥٠)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٢٤، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٨٧ عن قتادة.
وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي=

والسَّادس: أنه عليٌّ بن أبي طالب ﷺ، حكاه الماوردي[1]. قاله الفرَّاء[2].

﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ موحد في مذهب جمع[3]، كما تقول: لا يأتيني إلا سائس الحرب، فمن كان ذا سياسة للحرب، فقد أمر بالمجيء، ومثله قوْله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ﴾ [النّسَاء: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [الْمَعَارِجِ: ١٩] في كثير من القرآن يؤدي معنى الواحد عن الجميع[4].

قوْله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾؛ أي: ظُهراء[5]، وهذا مما لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجميع، ومثْله: ﴿يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غَافِرٍ: ٦٧]، وقد شرحناه هناك.

ثم خوَّف نساءه فقال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ وسبَبُ نُزولها: ما روى أنس عن عمر بن الخطَّاب قال: بلغني بعضُ ما آذى به رسولَ الله نساؤُه، فدخلت عليهن، فجعلت أستقرئهن واحدة واحدة، فقلت: والله

=٨/ ٢٢٤ عن العلاء بن زياد.

(١) "النكت والعيون" للماوردي" ٦/ ٤١، وأخرجه ابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٢٤، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٤٨ مرفوعا من حديث أسماء بنت عميس.

(٢) معاني الفراء (٣/ ١٦٧).

(٣) في (ر): جميع.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٦٧.

(٥) في (ر): ظهر.

لتنتهـن، أو ليبدلنـه الله أزواجًـا خـيرًا منكـن، فنزلـت هـذه الآيـة[١].

والمعنـى: واجـب مـن الله ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ رسـولُه ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾؛ أي: خاضعـات لله بالطّاعـة ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مصدقـات بتوحيـد الله ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾؛ أي: طائعـات ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ **فيـه قـولان**:

أحدهمـا: صائـمات، قالـه ابـن عبـاس[٢]، والجمهـور. وقـد شرحنـا هـذا المعنـى عنـد قولـه تعـالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التَّوْبَـة: ١١٢].

والثّـاني: مهاجـرات، قالـه زيـد بـن أسـلم، وابنـه[٣]. {والثيبـات} جمـع: ثَيِّـبٍ، وهـي المـرأة التـي قـد تزوجـت، ثـم ثابـت إلى بيـت أبويهـا، فعـادت كـما كانـت غـير ذات زوج.

"والأبكار": العذارى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريـم: ٦ - ٨].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤٤٨٣).

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٩٠.

(٣) أخرجه عنهما الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٩٠.

قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ وقاية النفس: بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، ووقاية الأهل: بأن يؤمروا بالطَّاعة، وينهوا عن المعصية.

وقال علي رضي الله عنه: علِّموهم وأدِّبوهم[١].

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ وقد ذكرناه في البقرة: [آية: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ وهم خزنتها ﴿غِلَاظٌ﴾ على أهل النار ﴿شِدَادٌ﴾ عليهم. وقيل: غلاظ القلوب شداد الأبدان.

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: خزنة النار تسعة عشر، ما بين منكبَيْ أحدهم مسيرة سنة، وقوته: أن يضرب بالمقمعة، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألفًا. فيهوون في قعر جهنم.

﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾؛ أي: لا يخالفونه[٢] فيما يأمر ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: لا يتجاوزون ما يؤمرون به[٣].

والثاني: يفعلونه في وقته لا يؤخرونه، ولا يقدمونه. ويقال لأهل النار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٢٤ (٣٢٥٤)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٩١، والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٢٥.

(٢) في (ر): يخالفون.

(٣) ليست في (ر).

قوله تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم، وخارجة عن نافع "نُصوحًا" بضم النون. والباقون بفتحها[1].

قالَ الزَّجَّاج: فمن فتح فعلى صفة التوبة، ومعناه: توبة بالغة في النصح، و"فَعُول" من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصف. تقول: رجل صبور، وشكور. ومن قرأ بالضم، فمعناه: ينصحون فيها نُصوحًا، يقال: نصحت له نُصحًا، ونَصاحة، ونُصوحًا[2].

[٧٩٢/ ب] وقال غيره: من ضم أراد: توبة نصح لأنفسكم.

وقال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح: أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدث نفسه أنه لا يعود[3].

وسئل الحسن البصري عن التوبة النصوح، فقال: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود[4].

وقال ابن مسعود: التوبة النصوح تكفر كلَّ سيئة، ثم قرأ هذه الآية[5].

---

(١) كلتا القراءتين سبعية، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٤١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٧٧، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٠٣.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩٤.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٢٤ (٣٢٥٦)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٩٣، وابن أبي زَمَنِين المالكي في "تفسيره" ٥/ ٧، وغيرهم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٢٧.

(٤) أخرج نحوه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٢٧.

(٥) أخرجه الحاكم في "مستدركه" ٢/ ٤٩٥ وصححه.

قوْلُه تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ قد بينَّا معنى "الخزي" في آل عِمْرانَ، وبينَّا معنى قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ في الْحَدِيد [آية: ١٢] ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ وذلك إذا رأى المؤمنون نورَ المنافقين يطفأ سألوا الله تعالى أن يتم[١] لهم نورهم، ويبلغهم به الجنة.

قال ابن عباس: ليس أحد من المسلمين إلا يُعطَى نورًا يوم القيامة. فأمَّا المنافق فيطفأ نوره، والمؤمن مشفق مما رأى من إطفاء نور المنافق، فهو يقول[٢]: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ٩ - ١٢].

قوْلُه تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ قد شرحناه في بَراءة.

---

(١) في (ر): يتمم.

(٢) في (ر): فهم يقولون.

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه" ٢/ ٤٩٥، والبيهقي في "البعث والنشور" كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٢٨.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾.

قال المفسرون منهم مقاتل: هذا المثل يتضمن تخويف عائشة وحفصة أنهما إن عصيا ربهما لم يُغْنِ رسول الله ﷺ عنهما شيئًا.

قال مقاتل: اسم امرأة نوح "والهة" وامرأة لوط "والغة"(١).

قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ يعني: نوحًا ولوطًا عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.

قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدين، كانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدلُّ على الأضياف، فإذا نزل بلُوطٍ ضيفٌ بالليل أوقدتِ النار، وإذا نزل بالنهار دخَّنت ليعلم قومه أنه قد نزل به ضيف(٢).

وقال السُّدِّي: كانت خيانتهما: كفرهما(٣).

وقال الضحاك: نميمتهما(٤). وقال ابن السائب: نفاقهما(٥).

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٨٠، وفيه عن عائشة مرفوعًا، وذكره عن مقاتل: الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٥١، والماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٤٧، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٢٣.

(٢) أخرجه عنه بنحوه: الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٤٩٨ دون قوله: ما بغت امرأة نبيٍّ قط. أما هذا القول فقد رواه: عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ١٩٥ (١٢٣٣) دون بقية الحديث، وهذه البقية في حديث بعده (١٢٣٤).

(٣) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٤٦.

(٤) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٤٦.

(٥) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٢٢، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٢٣.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: فلم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئًا.

وهذه الآية تقطع طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره.

ثم أخبر أن معصية الغير لا تضر المطيع، بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها.

وقال يحيى بن سلام: ضرب الله المثل الأول يحذر به عائشة وحفصة رضي الله عنهما(١).

ثم ضرب لهما هذا المثل يرغبهما في التمسك بالطاعة، وكانت آسية قد آمنت بموسى.

قال أبو هريرة: ضرب فرعون لامرأته أوتادًا في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة، فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأته قبل موتها(٢).

قولُه تعَالى: ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّ عمله: جِمَاعُهُ.

والثَّاني: أنه دينُه رويا عن ابن عباس(٣).

---

(١) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٤٧.

(٢) أخرجه أبو يعلى في "مسنده" ١١/ ٣١٦ (٦٤٣١)، والبيهقي كما في "الدر المنثور" ٨/ ٢٢٩ للسيوطي وصحح إسناده.

(٣) ذكره الواحدي في في "البسيط" ٤/ ٣٢٣، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٢٣.

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: أهلَ دين المشركين.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قد ذكرنا فيه قولين في سورة الأنبياء [آية:٩١]، فمن قال: هو فرج ثوبها، قال "الهاء" في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ يرجع إليه، وذلك أن جبريل مدَّ جيب درعها، فدخل فيه.

ومن قال: هو مخرج الولد، قال: "الهاء" كناية عن غير مذكور؛ لأنَّه إنما نفخ في درعها لا في فرجها.

[٧٩٣/أ] **قوْلُه تعَالى:** ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها قول جبريل ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩].

والثَّاني: أن الكلمات هي التي تضمنتها كتب الله المنزلة.

وقرأ أُبيُّ بن كعب، وأبو مجلز، وعاصم الجحدري: "بكلمة ربِّها" على التوحيد[١]، "وكتبه" قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "وكِتابِه" على التوحيد.

وقرأ أبو عمرو، وحفص عن عاصم، وخارجة عن نافع: "وكُتُبِه" جماعة[٢]، وهي التي أنزلت على الأنبياء.

ومن قرأ: "وكتابه" فهو اسم جنس على ما بينَّا في خاتمة البقرة [آية:٢٨٥] وقد بينَّا فيها القُنوت مشروحًا [البقرة:١١٦].

ومعنى الآية: وكانت من القوم[٣] القانتين، ولذلك لم يقل: من القانتات.

---

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٥٩.

(٢) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٤١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٧٨، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧١٥.

(٣) ليست في (ر).

سورة الملك

وهي مكيَّةٌ كلُّها(١) بإجْماعِهِمْ.

قالَ ابْنُ مسْعودٍ: هي المانِعة من عذاب القَبْر(٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١ - ١١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿تَبَٰرَكَ﴾ قد شرحناه في الأعراف [آية: ٥٤].

قوْلُه تعالى: ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعني: السُّلطانَ، يُعزُّ ويُذلُّ.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" ٩/ ٢٦٢ (١٠٤٧٩)، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٥٤، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٢٥ (١٢٢٠).

قَوْلُـه تعَـالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قـال الحسـن: خُلـق المـوْتُ المزيـلُ للحيـاة، والحيـاةُ الَّتـي [هـي][1] ضِـدُّ المـوْتِ. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [قـد][2] شرحْنَـاه في هـود [آ: ٧].

قـالَ الزَّجَّـاج: والمتعلّـق[3] بــ﴿أَيُّكُمْ﴾ مضمـرٌ، تقديـره: ليبلوكـم، فيعلم أيكـم أحسـن عمـلًا، وهـذا علـم وقـوع. وارْتفعـت "أي" بالابتـداء، ولا يعمـل فيهـا مـا قبلهـا؛ لأنهـا عـلى أصـل الاسـتفهام، ومثلـه: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ [الكهـف:١٢]، **والمعنـى**: خلـق الحيـاة ليختبركـم فيهـا، وخلـق المـوت ليبعثكـم ويجازيكـم[4].

وقـالَ غـيْرُه: الـلَّام في ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلـقٌ بخلْـقِ الحيَـاةِ دون خلْـقِ المـوْتِ؛ لأنَّ الابتـلاء[5] بالحيـاة.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾؛ أي: خلَقَهـنَّ مُطابَقـات؛ أي: بعْضُهـا فـوق بعـض ﴿مَّا تَرَىٰ﴾ يا ابْـنَ آدم ﴿فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ قرأ حمزة والكسـائي: "مـن تَفـوُّتٍ" بتشـديد الـواو من غير ألـف. وقـرأ الباقون بألِـفٍ[6].

---

(١) من (ر)، و(س).

(٢) من (ر)، و(س).

(٣) في (ر): والمعلق.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩٧.

(٥) في الأصل: الابتداء، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) كلتـا القراءتـين سـبعية متواتـرة، ينظـر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٤٤، و"معاني القـراءات" للأزهـري ٣/ ٧٩، و"الحجـة للقـراء السـبعة" لأبي عـلي الفـارسي ٦/ ٣٠٥، و"حجـة القـراءات" لابـن زنجلـة ص٧١٥.

قالَ الفرَّاء: وهما بمنزلَةٍ واحدةٍ؛ كما تقول: تعاهدتُ الشَّيءَ، وتعهدته.

والتفاوت: الاختلاف[١]. وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: التَّفاوتُ: الاضْطِراب والاختلاف، وأصله من الفوت، وهو أن يفوت شيء شيئًا، فيقع الخلَلُ، ولكنه متَّصل بعضه ببعض[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾؛ أي: كرِّر النَّظَرَ[٣]. ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ وقرَأ أبو عمْرٍو، وحمزة، والكسائي: "هَل ترى" بإدغام اللام في التَّاء[٤]؛ أي: هل ترَى فيها فروجًا وصدوعًا.

قوْلُه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾؛ أي: مرَّةً بعْد مرَّةً ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: مُبْعدًا؛ من قوْلك: خسأْتُ الكلْبَ؛ إذا باعدته[٥] ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾؛ أي: كليلٌ منْقطِعٌ عنْ أنْ يُلحق ما نظَر إليْه.

وقالَ الزَّجَّاج: قدْ أعْيا من قبل أن يرى في السَّماء خللًا[٦].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وقد شرحْناه في حم السجدة [آية: ١٢].

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٠.

(٢) "غريب القرآن" ص٤٧٤.

(٣) في (ر): البصر.

(٤) هي قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص١٢٠، و"جامع البيان في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني ٢/ ٦٤٥.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٤.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩٥.



﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾؛ أي: يُرجم بها مُسترقُو السَّمْعِ، وقد سبَقَ بيَانُ هذا المعنى[1].

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾؛ أي: في الآخرة ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ وهذا وما بعده قد سبق بيانُه إلى قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾؛ أي: صوْتًا مثْلَ صوت الحمار، وقد بيَّنَّا معْنى الشهيق في هود [آية:١٠٦].

﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾؛ أي: تغْلِي بهِم كغلْيِ المرْجَل. ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾؛ أي: تتقطع[2] مِن تغيُّظِها عليهم. ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾؛ أي: جماعةٌ منْهُم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ وهذا سؤالُ توبيخٍ. [٧٩٣/ب]

قوْلُه تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾؛ أي: قلْنا للرُّسل: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾؛ أي: [في][3] ذهابٍ عنِ الحقِّ بعِيد.

قالَ الزَّجَّاج: ثُمَّ اعْترفوا بجهْلِهم فقالُوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾؛ أي: سماعَ مَن يعِي ويُفكِّر ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقْلَ مَن يُميِّز وينْظُر ﴿مَا كُنَّا﴾ مِن أهْلِ النَّار ﴿فَسُحْقًا﴾؛ [أي: بُعدًا][4]، وهو منْصُوب على المصدر، المعنى: أسْحَقَهمُ اللهُ سحقًا، أي: باعَدَهم اللهُ من رحمته مباعدة، والسَّحيق: البَعِيد[5].

(١) في سورة الحجر، آية: ١٨.

(٢) في الأصل: تنقطع، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) من (ر).

(٤) ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٩٩.

وكذلك روى ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاس: "فسحقًا"؛ أي: بعدًا[١].
وقال سعيدُ بن جبير، وأبو صالح: السّحق: واد في جهنَّم يُقال له: سحق[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٢ - ١٥].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ قد شرحْناه في سورة الأنبياء [آية: ٤٩].

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لِذُنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: وهو الجنة، ثم عاد إلى خطاب الكفار، فقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: نزلَتْ في المشركين كانوا ينَالُون مِن رسول الله ﷺ، فيُخبره جبريل بما قالوا، فيقُول بعْضُهم: أسِرُّوا قوْلَكم حتَّى لا يسمَعَ إلُه مُحمَّدٍ[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؛ أي: ألَا يعلم ما في الصُّدور خالقها؟ "واللَّطِيف" مشْروحٌ في الأنعام [آية:١٠٣]، "والخبير" في البقرة [آية:٢٣٤].

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥١٠، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٣٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٨/ ٥١٧، ١٩/ ٤٠٦ (٣٥٣٢٥، ٣٦٤٩٧)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٣٦ عن سعيد بن جبير، ولم أقف عليه مسندًا عن أبي صالح، وذكره عنه الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٥٣.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٥٩، والواحدي في "أسباب النزول" ص٤٤٢، و"البسيط" ٢٢/ ٥١، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٢٦.



قوْلُـه تعَـالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾؛ أي: مذلَّلـةً سـهْلةً لم يجعلْهَـا ممتنعـةً بالحزونـة والغلـظ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ فيهِ ثلاثة أقْوالٍ:

أحدُها: طُرقاتها، روَاه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قال مجاهِدٌ[١].

والثَّـاني: جِبالهـا، رَواه ابـن أبي طلحـة عـن ابـن عبَّـاسٍ، وبـه قال قتـادة[٢]، واختـاره الزَّجَّاج.

قـالَ: لأنَّ المعنـى: سـهل لكـم السـلوك فيهـا، فـإذا أمكنكـم السـلوك في جبالهـا، فهـو أبلـغ في التَّذليـل[٣].

والثَّالـث: في جوانبهـا، قالَـه مُقاتِـلٌ، والفـرَّاءُ، وأبـو عبيـدة[٤]، واخْتـارَهُ ابْـنُ قتيبـة.

---

(١) في "تفسـير مجاهـد" ص٦٦٧: أطرافهـا وفجاجهـا. وهـو مـا أخرجـه الطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ١٢٨ عنـه وعـن ابـن عبـاس مـن طريـق العـوفي، والفريـابي وعبـد بـن حميـد وابـن المنـذر عـن مجاهـد كـما في "الـدر المنثـور" للسـيوطي ٨/ ٢٣٧.

(٢) أخرجـه الطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٥١٢، وابـن المنـذر كـما في "الـدر المنثـور" للسـيوطي ٨/ ٢٣٧ عـن ابـن عبـاس.

وأخرجـه عـن قتـادة: عبـد الـرزاق في "تفسـيره" ٣/ ٣٢٦ (٣٢٦٦)، وابـن أبي شـيبة في "مصنفـه" ٩/ ٨٤ (١٦٤١٤)، والطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٥١٢.

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ١٩٩.

(٤) "تفسـير مقاتـل بـن سـليمان" ٤/ ٣٩١، و"مجـاز القـرآن" لأبي عبيـدة ٢/ ٢٦٠، و"معـاني القـرآن" للفـراء ٣/ ١٧١.

قالَ: ومَنْكِبَا الرجل: جانبَاه(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾؛ أي: إليه تُبعثون من قبوركم.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ
أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ
﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾
[الملك: ١٦ - ١٩].

ثُمَّ خوَّف الكُفَّارَ؛ فقال: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ قرأ ابن كثير: "وإليه النشور وأمنتم". وقرأ نافع، وأبو عمرو: "النشور آمنتم" بهمزة ممدودة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: "أأمنتم" بهمزتين(٢).

﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال ابن عباس: أمنتم عذاب من في السماء، وهو الله عز وجل؟(٣)، "وتمور" بمعنى: تدور. قال مقاتل: **والمعنى:** تدور بكم إلى الأرض السّفلى(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهي الحجارة، كما أرسل على قوم لوط.

---

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٥.

(٢) القراءات الثلاث جميعها متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٤٤، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٠، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٠٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧١٦.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٩/ ٣٥٩، والبغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ١٧٨.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٣٩١.



﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾؛ أي: كيف كانت عاقبةُ إنذاري لكم في الدنيا إذا نزل بكم العذاب.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: إنكاري عليهم بالعذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾؛ أي: تصفُّ أجنحتها في الهواء، وتقبض أجنحتها بعد البسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ أن يقعن ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٠ - ٢٧].

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ هذا استفهام إنكار. ولفظ "الجند" موحد، فلذلك قال تعالى: ﴿هَٰذَا الَّذِي هُوَ﴾، والمعنى: لا جُنْدَ لكم ﴿يَنصُرُكُم﴾؛ أي: يمنعكم من عذاب الله تعالى إن أراده بكم.

﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ وذلك أنَّ الشيطان يغرهم، فيقول: إنَّ العذاب لا ينزل بكم.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ المطر وغيره ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ الله ذلك عنكم ﴿بَل

﴿لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ﴾ أي: تمادٍ[١] في كفرٍ ﴿وَنُفُورٍ﴾ عن الإيمان.

ثم ضرب مثلًا، فقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ قال ابنُ [٧٩٤/ أ] قتيبة: أي: لا يبصر يمينًا، ولا شمالًا، ولا من بين يديه، يقال: أكب فلان على وجهه بالألف، وكبَّه الله لوجهه، وأراد: الأعمى[٢].

قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن، والكافر. و"السوي": المعتدل؛ [أي][٣]: الذي يبصر الطريق.

وقال قتادة: هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبًّا على وجهه، والمؤمن يمشي سويًّا[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم لا يشكرون، قالَه مقاتل[٥].

والثَّاني: أنهم[٦] يشكرون قليلًا، قاله أبو عبيد[٧].

---

(١) في الأصل: تمادوا، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٥.

(٣) من (ر).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٢٧ (٣٢٦٨)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥١٦، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٣٩.

(٥) ذكره الواحدي في "البسيط" ٢٢/ ٦١، و"الوسيط" ٤/ ٣٣٠، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٢٧.

(٦) ليست في (ر).

(٧) هو كلام أبي عبيدة في "مجاز القرآن" ٢/ ٢٦٢، ولم أقف عليه لأبي عبيد.



قَوْلُه تعالى: ﴿ذَرَأَكُمْ﴾؛ أي: خلقكم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون بالوعد: العذابَ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾؛ أي: رأَوُا العذابَ قريبًا منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال الزَّجَّاج: أي: تبيّن فيها السّوء[١]. وقال غيره: قبحت بالسواد.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدهما: أنَّ "تدعون" بالتشديد، بمعنى تدعون بالتخفيف، وهو "تفتعلون" من الدعاء، يقال: دعوت، وادّعيت؛ كما يقال: خَبَرْتُ وَاخْتَبَرْتُ، ومثْلُه: يَدَّكرون، ويَذْكرُون، هذا قول الفراء[٢]، وابن قتيبة[٣].

والثَّاني: أنَّ المعنى: هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأكاذيب، تدعون أنَّكم إذا متم لا تبعثون؟ وهذا اختيار الزجاج[٤].

وقرأ أبو رزين، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والضَّحَّاك، وابن أبي عبلة، ويعقوب: "تَدْعون" بتخفيف الدَّال، وسكونها، بمعنى تَفْعَلون من الدعاء[٥].

وقال قتادة: كانوا يدعون بالعذاب[٦].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٠١.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧١.

(٣) غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٥.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٠١.

(٥) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٠.

(٦) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥١٩.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ
٢٨ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ
مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك: ٢٨ - ٣٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ ﴾ بعذابه ﴿وَمَن مَّعِيَ ﴾ من المؤمنين.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: "معيَ" بفتح الياء.

وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي: "معي" بالإسكان[١].

﴿أَوْ رَحِمَنَا ﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾؛ أي يمنعهم ويؤمنهم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

ومعنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف الرجاء: فمن يجيركم مع كفركم من العذاب؟ أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ الذي نعبد ﴿فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ وقرأ الكسائي: "فسيعلمون" بالياء عند معاينة العذاب مَن الضال نحن أم أنتم[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ قد بيَّنَّاه في الكهف [آية:٤١] ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾؛ أي: بماء ظاهر تراه العيون، وتناله الأرْشية.

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٤٥، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٢، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٠٨.

(٢) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٤٤، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨١، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧١٦.



سُورة نون(١)

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهِمْ.

إلا ما حُكي عنِ ابن عبَّاسٍ وقتادة أنَّ فيها مِنَ المدني قوْله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[القلم: ١ - ٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿نٓ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص: ﴿نٓ ۚ وَالْقَلَمِ﴾ النُّون في آخر الهجاء من نون ظاهرة عند الواو(٢)، وهذا اختيار الفرَّاء(٣).

وروى أبو بكر عن عاصم أنَّه كان لا يبين النون من {نون} وبها

(١) في (ر): القلم.

(٢) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٤٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٠٩، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧١٧.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٢.

قَـرَأَ الكسـائي، وخلـف، ويعقـوب(١)، وهـو اختيـار الزجـاج(٢).

وقـرأ ابـن عبـاس، وأبو رزيـن، وقتـادة، والأعمش: "نُـونِ والقلـم" بكسْرِ النُّـون(٣). وقـرأ الحسـن، وأبو عمـران، وأبو نهيـك: "نُ والقلـم" برفـع النُّون(٤).

وفي معنى نون سبعة أقوال:

أحدهـا: أنهـا الـدَّواة. روى أبـو هريـرة عـن رسـول الله ﷺ أنَّـه قـال: "**إِنَّ أَوَّلَ مَـا خَلَـقَ اللهُ الْقَلَـمَ، ثُـمَّ خَلَـقَ النُّـونَ، وَهِـيَ الـدَّوَاةُ**"(٥).

وهـذا قـوْلُ ابْـنِ عبَّـاسٍ في روايـة سـعيد بـن جبـير(٦)، وبـه قـال [٧٩٤/ ب] الحسـن وقتـادة(٧).

والثَّاني: أنَّه آخر حروف الرَّحمن، رواه عكرمة عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٨).

(١) قـراءة سـبعية متواتـرة، ينظـر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٤٦، و"معـاني القـراءات" للأزهـري ٣/ ٨٣، و"الحجـة للقـراء السـبعة" لأبي عـلي الفـارسي ٦/ ٣٠٩، و"حجـة القـراءات" لابـن زنجلـة ص٧١٧.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٠٣.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٠.

(٤) قراءة شاذة أيضًا، لم أقف على من ذكرها غير المصنف.

(٥) أخرجـه الفريـابي في "القـدر" (١٨)، والآجـري في "الشريعـة" ١/ ٥١٣، ٢/ ٧٦٦ (١٧٩، ٣٤٥)، وابـن بطـة في "الإبانـة" ٣/ ٣٣٥ (١٣٦٤).

(٦) أخرجه الطـبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٢٤، و أبـو بكـر أحمـد بـن مـروان الدينـوري المالكـي في "المجالسـة وجواهـر العلـم" ٤/ ٧٩ (١٢٥٠)، والواحـدي في "الوسـيط" ٤/ ٣٣٣ (١٢٢٥).

(٧) أخرجـه عنهـما: عبـد الـرزاق في "تفسـيره" ٣/ ٣٢٩ (٣٢٧٢)، والطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٥٢٥، وابـن المنـذر كـما في "الـدر المنثـور" للسـيوطي ٨/ ٢٤١.

(٨) أخرجه الطبري في "تفسيره" ١٥/ ١٠.

والثَّالث: أنَّه الحوت الَّذي على ظهر الأرض، وهذا المعنى في رواية أبي ظبيان [عن ابن عباس][(١)][(٢)]، وهو مذهب مجاهد، والسدي، وابن السائب، ومقاتل[(٣)].

والرابع: أنَّه لوح من نور، قاله معاوية بن قرة[(٤)].

والخامس: أنَّه افتتاح اسمه: "نصير" و"ناصر" قاله عطاء[(٥)].

والسَّادس: أنه قسم بنصرة الله للمؤمنين، قاله القرظي[(٦)].

والسَّابع: أنه نهر في الجنة، قاله جعفر الصَّادق[(٧)].

وفي القلم قولان:

أحدهما: أنَّه الذي كتب به في اللوح المحفوظ.

والثَّاني: أنَّه الذي يكتب به الناس. وإنما أقسم به؛ لأنَّ كُتبَهُ إنَّما تُكتب به. و﴿يَسْطُرُونَ﴾ بمعنى: يكتبون.

(١) ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٢١، ٥٢٤.

(٣) "تفسير مجاهد" ٣/ ٦٨٧، و"تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٠٣، وذكره عن السديِّ والكلبيِّ: الثعلبيُّ في "الكشف والبيان" ١٠/ ٥، والبغويُّ في "معالم التنزيل" ٥/ ١٢٩، والواحديُّ في "الوسيط" ٤/ ٣٢٣.

(٤) أخرجه: الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٢٥ عنه عن أبيه مرفوعًا، وهو ما ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٦٠.

(٥) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٦.

(٦) ذكره البغوي في "معالم التنزيل ٥/ ١٣٠.

(٧) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٧.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة.

وفي المراد[١] بما يكتبونه قولان:

أحدهما: أنه الذكر، قاله مجاهد، والسدي[٢].

والثاني: أعمال بني آدم، قاله مقاتل[٣].

والقول الثَّاني: أنهم جميع الكتبة، حكاه الثَّعلبي[٤].

﴿مَآأَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾؛ أي: ما أنت بإنعام ربِّك عليك بالإيمان والنبوة بمجنون.

قال الزَّجَّاج: هذا جواب قولهم: إنَّك لمجنون. وتأويله: فارقك الجنون بنعمة الله[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بصبرك على افترائهم عليك، ونسبتهم إياك إلى الجنون ﴿لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾؛ أي: غير مقطوع ولا منقوص.

---

(١) في (ر): وفيما أرادوا.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٢٧، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٤٢ عن مجاهد، وذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٦٠ عنهما.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٠٣.

(٤) "الكشف والبيان" للثعلبي ١٠/ ٩.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٠٤، وفيه: فارقك الجهل.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فيه ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: دين الإسلام، قاله ابن عباس[١].

والثَّاني: أدب القرآن، قاله الحسن[٢].

والثَّالث: الطبع الكريم.

وحقيقة "الخلق": ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، فسمي خلقًا؛ لأنه يصير كالخلقة في صاحبه.

فأمَّا ما طبع عليه فيسمى: "الخيم" فيكون الخيم: الطبع الغريزي، والخلق: الطبع المتكلف. هذا قول الماوردي[٣].

وقد سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن[٤]. تعني: كان على ما أمره الله به في القرآن.

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ يعني: أهْلَ مكَّة. وهذا وعيدٌ لهم بالعذاب. **والمعنى**: سترى ويرون إذا نزل بهم العذاب ببدر.

﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ وفيه أربعة أقوال:

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٢٩.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٣٤.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٦١.

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" ٤١/ ١٤٨ (٢٤٦٠١)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٣٠٨)، و"خلق أفعال العباد" ص٨٧ بلفظه، وأخرجه مسلم في "صحيحه" (٧٤٦) بنحوه.

أحدها: الضَّالُّ، قاله الحسن[١].

والثاني: الشَّيطان، قاله مجاهد[٢].

والثالث: المجنون، قاله الضحاك[٣]. **والمعنى**: الذي قد فتن بالجنون.

والرَّابع: المعذب، حكاه الماوردي[٤].

وفي الباء قولان:

أحدهما: أنها زائدة، قاله أبو عبيدة[٥]، وابن قتيبة[٦]، وأنشدوا [الرجز]:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الْفَلَجْ
نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ[٧]

والثاني: أنها أصلية، وهذا قول الفرَّاء[٨]، والزَّجَّاج.

قال الزَّجَّاج: ليس كونها لغوًا بجائز في العربية في قول أحد من أهلها.

(١) ذكره الماوردي النكت والعيون" ٦/ ٦٢.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣١.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣١ وفيه: الجنون.

(٤) النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٦٢.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٤.

(٦) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٧.

(٧) الرجز لم أجد من نسبه، وهو دون نسبة في: "تفسير الطبري" ١٩/ ٢٣، ٢٣/ ٥٣٢، و"المنتخب من غريب كلام العرب" لكراع النمل ص٧١١، و"غريب الحديث" للخطابي ٢/ ٣٤٩، و"الصحاح" للجوهري ٦/ ٢٥٤٧، و"شرح أبيات سيبويه" للسيرافي ١/ ٣٢٤.

(٨) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٣، ٥/ ٢٠٥.

وفي الكلام قوْلَانِ للنحويين:

أحدهما: أن "المفتون" هاهنا: الفتون. والمصادر تجيء على المفعول، تقول العرب: ليس هذا معقود رأي؛ أي: عقد رأي، وتقول: دعه إلى ميسوره؛ أي: يسره. **والمعنى:** بأيكم الجنون[1].

والثاني: بأيكم المفتون بالفرقة التي أنت فيها، أم بفرقة الكفار؟ فيكون المعنى: في أي الفرقتين المجنون. وقد ذكر الفراء نحو ما شرحه الزجاج[2].

وقد قرأ أُبَيُّ بن كعب، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: "في أيكم المفتون"[3]. ثم أخبر أنه عالم بالفريقين بما بعد هذا.

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ [القلم: ٨ - ١٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وذلك أنَّ رؤساء أهل مكة دعوه إلى [٧٩٥/أ] دين آبائه، فنهاه الله تعالى أن يطيعهم.

---

(١) في الأصل: المجنون، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٠٥.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "المحرر الوجيز" لابن عطية ٥/ ٣٤٧، و"البحر المحيط" لأبي حيان ١٠/ ٢٣٧ عن ابن أبي عبلة، و"رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" لعبد الرازق الرسعني عن ثلاثتهم، وفي الكتب الثلاثة: في أيكم المفتون.

﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ **فيه سبعة أقوال:**

أحدها: لو ترخص فيرخصون، قاله ابن عباس(١).

والثاني: لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم، قاله الحسن(٢).

والثالث: لو تكفر فيكفرون، قاله عطية، والضحاك، ومقاتل(٣).

والرابع: لو تلين لهم(٤) فيلينون لك، قاله ابن السائب(٥).

والخامس: لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون، قاله زيد بن أسلم(٦).

والسادس: ودُّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. وكانوا أرادوه على أن يعبد آلهتهم مدةً، ويعبدوا الله مدة، قاله ابن قتيبة(٧). وقال أبو عبيدة: هو من المداهنة(٨).

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٤٤- ٢٤٥.

(٢) ذكره البغوي في: "معالم التنزيل" ٥/ ١٣٦، و"شرح السنة" ١٤/ ٣٤٣.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٠٤، وأخرجه عن الضحاكِ: الطبريُّ في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٢، وذكره عن عطية والضحاكِ: الثعلبيُّ في "الكشف والبيان" ١٠/ ١٢، وعن الضحاكِ: الماورديُّ في "النكت والعيون" ٦/ ٦٢.

(٤) ليست في (ر).

(٥) ذكره البغوي في: "معالم التنزيل" ٥/ ١٣٦.

(٦) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ١٢ وفيه: زيد بن مسلم، والبغوي في: "معالم التنزيل" ٥/ ١٣٦.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٨.

(٨) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٤.

والسابع: لو تقاربهم فيقاربونك قاله ابن كيسان(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ وهو كثير الحلف بالباطل ﴿ مَّهِينٍ ﴾ وهو الحقير الدنيء. وروى العوفي عن ابن عباس قال: المهين: الكذاب(٢).

واختلفوا فيمن نزل هذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس، ومقاتل(٣).

والثاني: الأخنس بن شريق، قاله عطاء، والسدي(٤).

والثالث: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد(٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿ هَمَّازٍ ﴾ قال ابن عباس: هو المغتاب(٦). وقال ابن قتيبة: هو العياب(٧).

---

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ١٢.

(٢) أخرجه االطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٤، وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٤٩.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٠٤، وذكره عن ابن عباس: السمعاني في "تفسيره" ٦/ ٢٠، والواحدي في "البسيط" ٢٢/ ٨١، و"الوسيط" ٤/ ٣٣٥، والماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ٦٣، وذكره عن مقاتلٍ: البغويُّ في "معالم التنزيل" ٥/ ١٣٦.

(٤) ذكره عن السديِّ: الماورديُّ في "النكت والعيون" ٦/ ٦٣، وذكره عن عطاءٍ: الواحديُّ في "الوسيط" ٤/ ٣٣٥، والبغويُّ في: "معالم التنزيل" ٥/ ١٣٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٤٨.

(٦) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٤.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٨.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾؛ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي[١] نقل الكلام السيئ من بعضهم إلى بعض ليفسد بينهم.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه منع ولده وعشيرته الإسلام، قاله ابن عباس[٢].

والثاني: مناع للحقوق في ماله، ذكره الماوردي[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿مُعْتَدٍ﴾؛ أي: ظلوم ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾؛ أي: مع ما وصفناه به.

وفي "العُتُلِّ" سبعةُ أقوال:

أحدها: [أنه][٤] العاتي الشديد المنافق، قاله ابن عباس[٥].

والثَّاني: أنه المتوفر الجسم، قاله الحسن[٦].

والثالث: الشديد الأشر، قاله مجاهد[٧].

والرابع: القوي في كفره، قاله عكرمة[٨].

(١) في (ر): وهو.

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ١٢.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٦٤.

(٤) من (ر).

(٥) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٥ وفيه: العاتل.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون" ٦/ ٦٤.

(٧) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٧.

(٨) ذكره الماوردي في النكت والعيون" ٦/ ٦٤.

والخامس: الأكول الشروب القوي الشديد، قاله عبيد بن عمير[(١)].

والسادس: الشديد الخصومة بالباطل، قاله الفراء[(٢)].

والسَّابع: أنه الغليظ الجافي، قاله ابن قتيبة[(٣)].

وفي "الزنيم" أربعة أقوال:

أحدها: أَنَّه الدَّعِي في قريش وليس منهم، رواه عطاء عن ابن عباس[(٤)].

وهذا معروف في اللغة أنَّ الزنيم: هو الملتصق في القوم وليس منهم، وبه قال الفراء[(٥)]، وأبو عبيدة[(٦)]، وابن قتيبة[(٧)]. قال حسان [من الطويل]:

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ ... كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ[(٨)]

والثاني: أَنَّه الذي يعرف بالشر، كما تعرف الشاة بزنمتها، رواه

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٩/ ٣٠٩ (٣٦١٤٤)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٦، والآجري في "الشريعة" ٣/ ١٣٣٥ (٩٠٤)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ٣/ ٢٧٠.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٣.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٨.

(٤) ذكره الواحدي في "البسيط" ٢٢/ ٨٦، و"الوسيط" ٤/ ٣٣٥، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٣٦.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٣.

(٦) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٥.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٨.

(٨) البيت من الطويل، وهو في "ديوان حسان بن ثابت" ص١٠٠ من قصيدة مطلعها:

لَقَدْ علمَ الأَقْوامُ أنَّ ابنَ هاشمٍ ... هوَ الغُصْنَ ذو الأفنان لا الوَاحدُ الوَغْدُ

سعيد بن جبير عن ابن عباس[١].

والثالث: أنه الذي له زنمة مثل زنمة الشاة.

وقال ابن عباس: نعت فلم يعرف حتى قيل: زنيم؛ فعرف، وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها[٢]. ولا نعلم أنَّ الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغه من ذكر عيوب الوليد؛ لأنَّه وصفه بالحلف، والمهانة، والعيب للناس، والمشي بالنمائم[٣]، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدعوة، فألحق به عارًا لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

قال الزجَّاج: والزنمتان: المعلقتان عند حلوق المعزى[٤]. وقال ابن [٧٩٤/ ب] فارس: يعني الَّتي تتعلق من أذنها[٥].

والرابع: أنه الظلوم، رواه الوالبي عن ابن عباس[٦].

قوْلُه تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿أَن كَانَ﴾ على الخبر؛ أي: لأن كان. **والمعنى**: لا تطعه لماله وبنيه.

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٩، والحاكم في "المستدرك" ٢/ ٥٨٦ وصححه.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٨، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٤٩.

(٣) في (ر): بالنميمة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٠٦).

(٥) "مجمل اللغة" لابن فارس ص٤٤١.

(٦) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٣٩.



وقرأ ابن عباس بهمزتين، الأولى: مخففة. والثانية: ملينة، وفصل بينهما بألف أبو جعفر. وقرأ حمزة: "أأن كان" بهمزتين مخففتين على الاستفهام[١].

وله وجهان:

أحدهما: لأن كان ذا مال تطيعه.

والثاني: آلأن كان ذا مال وبنين.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ يكفر بها، فيقول: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ذكر القولين الفراء[٢].

وقرأ ابن مسعود: "أن كان" بهمزة واحدة مقصورة[٣]، ثم أوعده فقال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ الخرطوم: الأنف.

وفي هذه السمة ثلاثة أقوال:

أحدها: سنسمه بالسيف، فنجعل ذلك علامةً على أنفه ما عاش، فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف، قاله ابن عباس.

---

(١) القراءات الثلاث سبعية متواترة، ينظر: "السبع" ص٦٤٦- ٦٤٧، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٤، "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣١٠، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧١٧.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٣- ١٧٤.

(٣) قراءة سبعية متواترة، قَرَأَ بها أيضًا: ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو والكسائى وَحَفْص عَن عَاصِم والكسائى عَن أَبى بكر عَن عَاصِم. كما مر، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٤٦. أما إن كان المصنف يقصد بقطع الهمزة مع كسرها فتكون (إن كان) شرطًا، فهي قراءة شاذة، قرأ بها أيضا الزهري عن نافع، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٠.

والثاني: سنلحق به شيئًا لا يفارقه، قاله قتادة، واختاره ابن قتيبة[١].

والثالث: أنَّ المعنى: سنسود وجهه.

قال الفرَّاء: و"الخرطوم" وإن كان قد خصّ بالسمة، فإنه في مذهب الوجه؛ لأن بعض الوجه يؤدي عن البعض[٢].

وقال الزجاج: سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم. وجائز ـ والله أعلم ـ أن يفرد بسمة لمبالغته في عداوته لرسول الله ﷺ يتبين بها عن غيره[٣].

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ
عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ
إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ (٢٢) فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ
قَٰدِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨)
قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ (٣٠) قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ
(٣١) عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
(٣٣) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)
أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ
لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾
[القلم: ١٧ – ٤١].

(١) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص١٠٠، ١٠٢، وأخرجه عن قتادة: الطبريُّ في "تفسيره" ٢٣/ ٥٤١، وعبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٥٠.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٤.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٠٧.



قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يعنـي: أهـل مكـة؛ أي: ابتليناهـم بالجـوع، والقحـط ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ حـين هلكـت جنتهـم.

وهذِه الإِشَارَةُ إلى قِصَّتِهِم

ذكـر أهْـلُ التَّفْسـير أنَّ رجـلًا كان بناحيـة اليمـن لـه بُسـتان، وكان مؤمنًا، وذلـك بعـد عيسـى بـن مريـم عليهـما السـلام، وكان يأخـذ منـه قـدر قوتـه، و[كان][1] يتصـدق بالباقـي.

وقيـل: كان يـترك للمسـاكين مـا تعـداه المنجـل، ومـا يسـقط مـن رؤوس النَّخـل، ومـا ينتشـر عنـد الـدِّراس، وكان يجتمـع مـن هـذا شيء كثـير، فـمات الرجـل عـن ثلاثـة بنـين، فقالـوا: والله إن المـال لقليـل، وإن العيـال لكثـير، وإنـما كان [أبونـا][2] يفعـل هـذا؛ إذ كان المـال كثـيرًا، والعيـال قليـلًا، وأمَّـا الآن فـلا نسـتطيع أن نفعـل هـذا.

فعزمـوا عـلى حرمـان المسـاكين، وتحالفـوا بينهـم ليغـدون[3] قبـل خـروج النـاس، فليصرمـن نخلهـم، فذلـك قولـه تعـالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟﴾؛ أي: حلفـوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾؛ أي: ليقطعـن نخلهـم ﴿مُصْبِحِينَ﴾؛ أي: في أول الصبـاح، وقـد بقيـت مـن الليـل ظلمـة؛ لئـلا يبقـى للمسـاكين شيء.

---

(١) من (ر).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) في (ر): ليغدن.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: لا يقولون: إن شاء الله، قاله الأكثرون.

والثاني: لا يستثنون حقَّ المساكين، قاله عكرمة.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: من أمر ربك. قال الفراء: الطَّائف لا يكون إلا بالليل.

قال المفسِّرون: بعث الله عليها نارًا بالليل، فاحترقت، فصارت سوداء، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ **وفيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: كالرماد الأسود، قاله ابن عباس.

والثاني: كالليل المسود، قاله الفراء(١).

وكذلك قال ابن قتيبة: أصبحت سوداء كالليل محترقة. **والليل:** هو الصريم، والصبح أيضًا: صريم؛ لأن كلَّ واحد منهما ينصرم عن [٧٩٦/أ] صاحبه(٢).

والثالث: أصبحت وقد ذهب ما فيها من الثمر، فكأنه قد صرم؛ أي: قطع، وجذَّ، حكاه ابن قتيبة أيضًا(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾؛ أي: نادى بعضهم بعضًا لما أصبحوا ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ يعني: الثمار والزروع والأعناب ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾؛ أي:

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٥.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٩.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٩.

قاطعين النَّخلَ[1]، ﴿فَانطَلَقُوا﴾؛ أي: ذهبوا إلى جنتهم ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾.

قال ابن قتيبة: يتساوَرُون[2] بـ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾[3] فيه ثمانية أقوال:

أحدها: على قدرة، قاله ابن عباس.

والثاني: على فاقة، قاله الحسن في رواية.

والثالث: على جد، قاله الحسن في رواية، وقتادة، وأبو العالية، ومقاتل، والفراء[4].

والرابع: على أمر مجمع قد أسسوه بينهم، قاله مجاهد، وعكرمة.

والخامس: أنَّ الحرد: اسم الجنة، قاله السدي.

والسادس: أنه الحنق والغضب على المساكين، قاله الشعبي، وسفيان. وأنشد أبو عبيدة[5] [من الطويل]:

أُسُودُ شَرًى لَاقَتْ أُسُود خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ[6]

---

(١) في (ر): للنخل.

(٢) في (ر): يستارون، وفي (س): يسارُّون.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٩.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٠٦، و"معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٦.

(٥) مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٦.

(٦) البيت للأسود ابن رميلة كما ذكر أبو عبيدة. قال العيني في "المقاصد النحوية" ١/ ٤٤٨- ٤٤٩ في بيت على وزنه وقافيته: قائله هو الأشهب ابن زميلة النهشلي، وزميلة بالزاي المعجمة أمه .. ثم ذكر أبياتًا منها بيت المصنف المذكور، ثم قال: وقد نسب أبو تمام -في كتابه "المختار=

والسابع: أنه المنع، مأخوذ من حاردت السنةُ فليس فيها مطر، وحاردت النَّاقةُ فليس لها لبنٌ، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة[(١)].

والثامن: أنه القصد. يقال: حَرَدْتُ حَرْدَكَ؛ أي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ، حكاه الفراء، وأبو عبيدة[(٢)]، وابن قتيبة[(٣)]. وأنشدوا [الرجز]:

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ اللهْ
يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ[(٤)]

أي: يقصد قصدها. قال ابن قتيبة: وفيه[(٥)] لغتان: حَرَدٌ، وحَرْدٌ، كما يقال: الدَّرَك، والدَّرْك[(٦)].

وفي قوله تعالى: ﴿قَدِرِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: قادرين على جنتهم عند أنفسهم، قاله قتادة.

والثاني: قادرين على المساكين، قاله الشعبي.

=من أشعار القبائل" هذه الأبيات إلى حريث بن مُحَفِّض.

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٥، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٩.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٥- ٢٦٦.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٧٩- ٤٨٠.

(٤) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٦، والبيت دون نسبة عند أبي عبيدة والفراء، ولم يذكره ابن قتيبة.

(٥) في (ر): وفيها.

(٦) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٠.

والثالث: أنَّ المعنى: منعوا وهم قادرون؛ أي: واجدون، قاله ابن قتيبة[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ محترقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: قد ضللنا طريق جنتنا، فليست هذه. ثم علِمُوا أنها عقوبة، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ أي: حرمنا ثمر جنتنا بمنعنا المساكين[٢].

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ أي: أعدلهم، وأفضلهم ﴿لَوْلَا﴾؛ أي: هلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ **وفيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: هلا تستثنون عند قولكم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ قاله ابن جريج، والجمهور.

والمعنى: هلا قلتم: إن شاء الله.

قال الزجاج: وإنما قيل للاستثناء: تسبيح؛ لأن التسبيح في اللغة: تنزيه الله عز وجل عن السوء. والاستثناء تعظيم لله، وإقرار بأنَّه لا يقدر أحد أن يفعل فعلًا إلا بمشيئة الله[٣].

والثاني: أنه كان استثناؤهم قول: "سبحان الله"، قاله أبو صالح.

والثالث: هلَّا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم، حكاه الثعلبي[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ فنزهوه أن يكون ظالمًا فيما صنع،

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٠.

(٢) في (ر): المسكين.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٠٩.

(٤) "الكشف والبيان" للثعلبي ١٠/ ١٧.

وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بمنعنا المساكين.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾؛ أي: يلوم بعضهم بعضًا في منع المساكين حقوقهم، يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا، ويقول الآخر: أنت فعلت، ثم نادوا على أنفسهم بالويل، فقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ حين لم نصنع ما صنع آباؤنا، ثم رجعوا إلى الله تعالى فسألوه أن يبدلهم خيرًا منها، فذلك قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾. [٧٩٦/ ب]

وقرأ قوم: "يبدلنا" بالتخفيف، وهما لغتان. وفرق قوم بينهما فقالوا: التبديل: تغيير حال الشيء وصفته والعين باقية.

والإبدال: إزالة الشيء ووضع غيره مكانه. ونُقل أنَّ القوم أخلصوا، فأبدلهم[1] الله بها جنة العنقود منها وقر البغل[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: كما فعلنا بهم يُفعل بمَن تعدى حدودنا. وهاهنا انتهت قصَّة أهل الجنة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المشركين. ثم ذكر ما للمتقين عنده بها بعد هذا، فقال المشركون: إنا لنعطى في الآخرة أفضل مما تعطون، فقال تعالى مكذبًا لهم: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال الزَّجَّاج: هذه ألف الاستفهام مجازها هاهنا مجاز التوبيخ، والتقرير[3].

---

(١) في (ر): فبدلهم.

(٢) في (ر): بغل.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٠٩.



قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: كيف تقضون بالجور، وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ أنزل من عند الله ﴿فِيهِ﴾ هذا ﴿تَدْرُسُونَ﴾؛ أي: تقرؤون ما فيه ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ في ذلك الكتاب ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ أي: ما تختارون وتشتهون.

وقرأ أبو الجوزاء، وعاصم الجحدري، وأبو عمران: "أن لكم" بفتح الهمزة[1]. وهذا تقريع لهم، وتوبيخ على ما يتمنون من الباطل: سلهم أيهم بذلك زعيم؟

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾؛ أي: ألكم عهود على الله تعالى حلف لكم على ما تدعون بأيمان بالغة؛ أي: مؤكدة. وكل شيء متناه في الجودة والصحة فهو بالغ.

ويجوز أن يكون المعنى: بالغة إلى يوم القيامة؛ أي: تبلغ تلك الأيمان إلى يوم القيامة في لزومها وتوكيدها.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ لأنفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى.

قال الفرَّاء: والقراء على رفع "بالغة" إلا الحسن فنصبها[2] على مذهب المصدر[3]؛ كقوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ [الروم:٤٧].

ومعنى الآية: هل لكم أيمان علينا بالغة بأن لكم ما تحكمون؟ فلما كانت اللام في جواب "إن" كسرتها[4].

---

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٠ ونسبها للأعرج.

(٢) في (ر): فإنه نصبها.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٠.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٦.

قوْلُه تعَالى: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه الكفيل، قاله ابن عباس، وقتادة.

والمعنى: أيهم كفل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين من الخير.

والثاني: أنَّه الرسول، قاله الحسن.

قوْلُه تعَالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله تعالى.

والمعنى: ألهم أرباب يفعلون بهم هذا الذي زعموا. وقيل: يشهدون لهم بصدق ما ادَّعوا.

﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في أنها شركاء الله، وإنما أضيف الشركاء إليهم؛ لادّعائهم أنها[1] شركاء الله.

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [القلم: ٤٢ - ٤٧].

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ ﴾ **المعنى:** فليأتوا بها يوم يكشف عن ساق.

قرأ الجمهور: "يُكْشَف" بضم الياء، وفتح الشين. وقرأ ابن أبي عبلة، وعاصم الجحدري، وأبو الجوزاء: بفتح الياء، وبكسر الشين[2].

---

(١) في (ر): أنهم.

(٢) قراءة شاذة، ذكرها مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٦٤٥.

وقرأ أُبيٌّ بن كعب، وابن عباس: "تَكشِف" بتاء مفتوحة، وكسر الشين[1].

وقرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وابن يعمر، والضحاك: "نَكشِف" بنون مفتوحة مع كسر الشين[2].

وهذا اليوم هو يوم القيامة، وقد روى عكرمة عن ابن عباس: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ قال: يكشف عن شدة، وأنشد [من الرجز]:

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ[3]

وهذا قول مجاهد، وقتادة.

قال ابن قتيبة: وأصل هذا أنَّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجد فيه، شمَّر عن ساقه، فاستعيرت الساق في موضع الشدة[4]، [٧٩٧/ أ]

هذا قول الفراء، وأبي عبيدة[5]، واللغويين.

---

(١) قراءة شاذة، أخرجها: الفراء في "معاني القرآن" ٣/ ١٧٧، وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن منده من طريق عمرو بن دينار عنه، كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٢٥٥، وذكرها الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٥٩، والثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ١٨، ومكي بن أبي طالب في "اهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٦٤٥.

(٢) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٠، و"الهداية إلى بلوغ النهاية" لمكي بن أبي طالب ١٢/ ٧٦٤٥ ونسباها لابن عباس.

(٣) أخرج الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٥٤، والحاكم في "مستدركه" ٢/ ٥٨٧، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٣٩ (١٢٣٠)، والبيت من الرجز لم أقف له على نسبة.

(٤) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص٨٩.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٧، و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٦.

وقد أضيف هذا الأمر إلى الله تعالى، فروي في "الصحيحين" من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه "**يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ**"[١]، وهذه[٢] إضافة إليه؛ لأن الكل له وفعله.

وقال أبو عمر الزاهد: الساق[٣]: يراد بها النفس، ومنه قول علي ﷺ: أقاتلهم ولو تلفت ساقي[٤]؛ أي: نفسي. فعلى هذا يكون المعنى: يتجلى لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعني: المنافقين ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ كأن في ظهورهم سفافيد الحديد.

قال النقاش: وليس ذلك بتكليف لهم أن يسجدوا، وهم عجزة، ولكنه توبيخ لهم بتركهم السجودَ.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾؛ أي: خاضعة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي: تغشاهم ﴿وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعني: بالأذان في دار الدنيا، ويؤمرون بالصلاة المكتوبة.

﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾؛ أي: معافون ليس في أصلابهم مثلُ سفافيد الحديد، وفي هذا وعيد لمن ترك صلاة الجماعة، وكان كعب يقول: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات[٥].

(١) "صحيح البخاري" (٧٤٣٩)، و"صحيح مسلم" (١٨٣).

(٢) في (ر): وهذا.

(٣) ليست في (ر).

(٤) ذكره البيهقي في "الأسماء والصفات" ص٤٩٩.

(٥) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٢٢، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٤٢.



﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن. والمعنى: خل بيني وبينه.

قال الزجاج: أي: لا تشغل قلبك به، كِلْه إليَّ فأنا أكفيك أمره[1].

وذكر بعض المفسرين أنَّ هذا القدر من الآية... إلى قوله: ﴿الْحَدِيثِ﴾ منسوخٌ بآية السيف. [وما بعد هذا مفسر في الأعراف [آية: ١٨٢- ١٨٣]... إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ فإنها مفسرة والتي قبلها في الطور [آية:٣٩- ٤٠].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم: ٤٨ - ٥٢].

قوْلُه تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: اصبر على أذاهم لقضاء ربِّك الذي هو آتٍ. وقيل: معنى الأمر بالصبر منسوخ بآية السيف][2].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ وهو يونس.

وفيماذا نهي أن يكون فيه[3] مثله؟

فيه[4] قولان:

أحدهما: أنه العجلة، والغضب، قاله قتادة.

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١١.

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) ليست في (ر).

والثاني: الضعف عن تبليغ الرسالة، قاله ابن جرير[١].

قال ابن الأنباري: وهذا لا يخرج يونس من أولي العزم، لأنها خطيئة.

ولو قلنا: إنَّ كلَّ مخطئ من الأنبياء ليس من أولي العزم، خرجوا كلهم إلا يحيى[٢]. ثم أخبر عن عقوبته إذ لم يصبر، فقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال الزجاج: مملوء غمًّا وكربًا.

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبلة: "لولا أن تَدارَكَتْه" بتاء خفيفة، وبتاء ساكنة بعد الكاف مع تخفيف الدال[٣].

وقرأ أبو هريرة، وأبو المتوكل: "تَدَّاركه" بتاء واحدة خفيفة مع تشديد الدال[٤].

وقرأ أُبَيُّ بنُ كعبٍ: "تَتَدارَكَه" بتاءين خفيفتين[٥].

---

(١) "تفسير الطبري" ٢٣/ ٥٦٢.

(٢) "الأضداد" لأبي بكر الأنباري ص٤١٣.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "إعراب القرآن" للنحاس ٥/ ١٢، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦١.

(٤) قراءة شاذة، ينظر: ""إعراب القرآن" للنحاس ٥/ ١٢ ونسبها للأعرج، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦١، ونسبها للحسن والأعرج.

(٥) قراءة شاذة أيضًا، قال ابن عطية في "المحرر الوجيز": وقرأ أُبيُّ بنُ كعب وابن مسعود وابن عباس: "تداركته" على إظهار العلامة.



﴿نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فرحمه بها، وتاب عليه من معاصيه ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ وقد بيَّنَّا معنى "العراء" في الصافات [آية:١٤٥].

ومعنى الآية: أنه نبذ غير مذموم لنعمة الله عليه بالتوبة والرحمة.

وقال ابن جريج: نبذ بالعراء، وهي: أرض المحشر[١]. **والمعنى:** أنه كان يبقى مكانه إلى يوم القيامة.

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: استخلصه واصطفاه، وخلصه من الذم ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فرد عليه الوحي، وشفعه في قومه ونفسه. [٧٩٧/ب]

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون بضم الياء من أزلقته، وقرأ أهل المدينة، وأبان: بفتحها؛ من زَلَقْتُه [أَزْلِقُهُ][٢][٣]، وهما لغتان مشهورتان في العرب.

قال الزجاج: يقال: زَلَقَ الرجل رأسه وأَزْلَقَه: إذا حلقه[٤].

وفي معنى الآية للمفسرين قولان:

أحدهما: أنَّ الكفار قصدوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئًا، ثم يرفع جانب خبائه، فتمر به النعم، فيقول: لم أر كاليوم إبلًا ولا غنمًا أحسن من هذه. فما تذهب إلا قليلًا حتى يسقط منها عدة.

---

(١) ذكره الحافظ عبد الرازق الرسعني في "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" ص٣١١.

(٢) من (ر)، و(س).

(٣) قراءة عشرية، ينظر: "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها" لأبي القاسم الهُذَلي ص٦٥٠.

(٤) لم أجده في "معاني القرآن وإعرابه" له.

فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، فعصم الله نبيَّه، وأنزل هذه الآية، هذا قول الكلبي، وتابعه قومٌ من المفسرين تلَقَّفُوا ذلك من تفسيره، منهم الفرَّاءُ[١].

والثاني: أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظرًا شديدًا يكاد يزلقه من شدته؛ أي: يلقيه إلى الأرض. وهذا مستعملٌ في كلام العرب. يقول القائل: نظر إليَّ فلان نظرًا كاد يصرعني. وأنشدوا [من الكامل]:

يَتَقَارَضُونَ إِذَا الْتَقَوْا فِي مَوْطِنٍ نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِنَ الْأَقْدَامِ[٢]

أي: ينظر بعضهم إلى بعض نظرًا شديدًا بالعداوة يكاد يزيل الأقدام، وإلى هذا ذهب المحققون، منهم ابن قتيبة، والزجاج[٣].

ويدلُّ على صحَّتِه أنَّ الله تعالى قرن هذا النظرَ بسماع القرآن، وهو قوْلُه تعالى: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ والقوم كانوا يكرهون ذلك أشدَّ الكراهة، فيحدُّون النظرَ إليه بالبغضاء، وإصابة العين إنما تكون مع الإعجاب والاستحسان، لا مع البغض، فلا يُظنُّ بالكلبي أنَّه فهم معنى الآية.

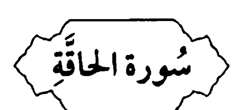
قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآنَ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾؛ أي: موعظةٌ.

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٩.

(٢) البيت من الكامل، ذكره دون نسبة: ابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن" ص١٠٩، والأزهري في "معاني القراءات" ٣/ ٨٥، والثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٢٤، والواحدي في "البسيط" ٢٢/ ١٢٢، والسمعاني في "تفسيره" ٦/ ٣٢، والزمخشري في "الكشاف" ٤/ ٥٩٧.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٢، "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٢.



سورة الحاقة

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[الحاقة: ١ - ١٢].

﴿الْحَاقَّةُ﴾: يوم[١] القيامة. قال الفرَّاء: إنما قيل لها: حاقة؛ لأنَّ فيها حواق الأمور.

وقال الزَّجَّاج: إنما سميت الحاقة؛ لأنها تحق كلَّ إنسان بعمله من خير وشر[٢].

قوله تعالى: ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ هذا استفهام، معناه التفخيم لشأنها، كما تقول: زيد، وما زيد؟ على التعظيم لشأنه. ثم زاد في التهويل بأمرها، فقال تعالى:

---

(١) ليست في (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٣.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؛ أي: لأنك لم تعاينها، ولم تدر ما فيها من الأهوال. ثم أخبر عن المكذبين بها فقال تعالى:

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ﴾ قال ابن عباس: القارعة: اسم من أسماء يوم القيامة[١].

قال مقاتل: وإنما سميت بالقارعة؛ لأنَّ الله تعالى يقرع أعداءه بالعذاب[٢].

وقال ابن قتيبة: القارعة: القيامة؛ لأنها تقرع، يقال: أصابتهم قوارع الدهر[٣].

وقال الزجاج: لأنها تقرع بالأهوال[٤]. وقال غيرهم: لأنها تقرع القلوب بالفزع.

فأمّا {الطاغية} ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها طغيانهم وكفرهم، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل[٥]، وأبو عبيدة[٦]، وابن قتيبة[٧].

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٧٠، ٢٤/ ٥٧٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٦٠٥.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢١.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٥٣٧.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٣٥٥.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢١.

(٦) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٧.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٣، وذكره عن ابن عباس ومجاهد: الواحديُّ في "الوسيط" ٤/ ٣٤٣، والماورديُّ في "النكت والعيون" ٦/ ٧٦.

قال الزجاج: ومعنى الطاغية عند أهل اللغة: طغيانهم و"فاعلة" قد يأتي بمعنى المصادر، نحو عاقبة، وعافية[1].

والثاني: بالصيحة الطاغية، قاله قتادة. وذلك أنها جاوزت مقدار الصياح فأهلكتهم.

والثالث: أنَّ الطاغية: عاقر الناقة، قاله ابن زيد. [٧٩٨/أ]

والريح الصرصر قد فسرناها في حم السجدة [آية:١٦].

والعاتية: التي جاوزت المقدار، وجاء في التفسير أنها عتت على خزانها يومئذ، فلم يكن لهم عليها سبيل.

قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أرسلها وسلطها.

والتسخير: استعمال الشيء بالاقتدار.

وفي قوله تعالى: ﴿حُسُومًا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تباعًا، قاله ابن عباس.

قال الفراء: الحسوم: التباع، يقال في الشيء إذا تتابع، فلم ينقطع أوله عن آخره: حسوم. وإنما أخذ ـ والله أعلم ـ من حسم الداء: إذا كوي صاحبه؛ لأنه يحمى ثم يكوى، ثم يتابع الكي عليه[2].

والثاني: كاملة، قاله الضحاك؛ فيكون المعنى: أنها حسمت الليالي

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٣.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٠.

والأيام فاستوفتها على الكمال؛ لأنها ظهرت مع طلوع الشمس، وذهبت مع غروبها.

قال مقاتل: هاجت الريح غدوة، وسكنت بالعشي في اليوم الثامن، وقبضت أرواحهم في ذلك اليوم، ثم بعث الله طيرًا أسود فالتقطهم حتى ألقاهم في البحر(١).

والثالث: أنها حسمتهم، فلم تبق منهم أحدًا؛ أي: أذهبتهم وأفنتهم، هذا قول ابن زيد.

قال الزجَّاج: وهذا هو الذي توجبه اللغة(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الليالي والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ وهو جمع صريع؛ لأنَّهم صرعوا بموتهم.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾؛ أي: أصول نخل ﴿خَاوِيَةٍ﴾؛ أي: بالية، وقد بيَّنَّا هذا في سورة القمر [آية: ٢٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ فيهِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدها: من بقاء، قاله الفراء(٣).

والثاني: من بقية، قاله أبو عبيدة. قال: وهو مصدر كالطاغية(٤).

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٢٥- ٢٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢١٤).

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٠.

(٤) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٧.



والثَّالث: هل ترى لهم من أثر؟ قاله ابن قتيبة(١).

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي، وأبان: بكسر القاف، وفتح الباء. والباقون: بفتح القاف، وإسكان الباء(٢).

فمَن كسر القاف أراد: من يليه ويحفّ به من جنوده وأتباعه. ومَن فتحها أراد: من كان قبله من الأمم الكافرة.

وفي "المؤتفكات" ثلاثة أقوال:

أحدها: قرى قوم لوط. والمعنى: وأهل المؤتفكات، قاله الأكثرون.

والثاني: أنهم الذين ائتفكوا بذنوبهم،؛ أي: هلكوا بالذنوب التي معظمها الإفك. وهو الكذب، قاله الزجاج(٣).

والثَّالث: أنه قارون وقومه، حكاه الماوردي(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بالذنوب(٥). وقال الزجاج: الخاطئة: الخطأ العظيم(٦).

---

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٣.

(٢) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٤٨، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٦، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣١٤، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧١٨.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٥.

(٤) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٧٨.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٣.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٥.

قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: كذبوا رسلهم ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾؛ أي: زائدة على الأحداث.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾؛ أي: تجاوز حده حتى علا على كلِّ شيءٍ في زمن نوح ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ يعني: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾: وهي السفينة التي تجري في الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح، ونجاة مَن حملنا معه ﴿تَذْكِرَةً﴾؛ أي: عبرة، وموعظة ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾؛ أي: أذن تحفظ ما سمعت، وتعمل به.

وقال الفراء: لتحفظها كلُّ أذنٍ، فتكون عظة لمن يأتي بعده[1].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾

[الحاقة: ١٣ - ٣٧].

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨١.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وفيها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنها النَّفخة الأولى، قاله عطاء.

والثاني: الأخيرة، قاله ابن السائب، ومقاتل[١].

[٧٩٨/ب] قوْلُه تعَالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: حملت الأض والجبال وما فيها.

﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: كسرتا، ودقتا دقة واحدة، لا يثنى عليها حتى تستوي بما عليها من شيء، فتصير كالأديم الممدود، وقد أشرنا إلى هذا المعنى في الأعراف عند قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [آية: ١٤٣].

قال الفرَّاء: وإنَّما قال: فدكتا، ولم يقل: فَدُكِكْنَ؛ لأنَّه جعل الجبال كالشَّيء الواحد؛ كقوْلِه تعالى: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء:٣٠][٢]، وأنشدوا [من الطويل]:

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ وَإِنَّمَا يَسُودَانِنَا أَنْ يَسَّرَتْ غَنَمَاهُمَا[٣]

والعرب تقول: قد يسرت الغنم: إذا ولدت، أو تهيأت للولادة.

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢٢، وذكره عن ابن السائب الكلبيِّ: الواحديُّ في "الوسيط" ٤/ ٣٤٥، و"البسيط" ٢٢/ ١٥٣.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨١.

(٣) البيت من الطويل، وقائله هو أبو سيدة الدبيري كما في: "لسان العرب" لابن منظور ٥/ ٢٩٥، و"عمدة الحفاظ" للسمين الحلبي ٤/ ٣٥٥، و"المقاصد النحوية" للعيني ٢/ ٨٥٨، و"شرح التصريح على التوضيح" للشيخ خالد الأزهري ١/ ٣٦٩.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾؛ أي: قامـت القيامـة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ لنـزول مَـن فيهـا مـن الملائكـة.

﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ وَهْيَها ضعفها وتمزقها من الخوف، قالَه مقاتل.

والثاني: أنَّه تشققها، قاله الفراء[١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ ﴾ يعنـي: الملائكـةَ، فهـو اسـم جنـس ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ﴾؛ أي: عـلى جوانبهـا.

قـال الزجـاج: ورَجَـا كلّ شيء: ناحيتـه، مقصـور. والتثنيـة: رجـوان، والجمـع: أرجـاء[٢].

وأكثر المفسرين على أنَّ المشار إليها السماء.

قـال الضَّحـاك: إذ انشـقت السَّـماء كانـت الملائكـة عـلى حافتهـا حتـى يأمرهـم الله تعـالى، فينزلـون إلى الأرض، فيحيطـون بهـا، ومـن عليهـا[٣].

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: على أرجاء الدُّنيا[٤].

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨١.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٦.

(٣) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٨١، ٢٤/ ٤١٨.

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٦٧٤.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: فوق رؤوسهم؛ أي: أنَّ العرش على رؤوس الحملة، قاله مقاتل[١].

والثاني: فوق الذين على أرجائها؛ أي: أنَّ حملة العرش فوق الملائكة الذين هم على أرجائها.

والثَّالث: أنهم فوق أهل القيامة، حكاهما الماوردي[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: ثمانية أملاك، وجاء في الحديث أنَّهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدَّهم[٣] الله بأربعة أملاك آخرين، هذا قول الجمهور.

والثَّاني: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، قاله ابن عباس، وابن جبير، وعكرمة.

والثالث: ثمانية أجزاء من الكروبيين لا يعلم عددَهم إلا الله، قاله مقاتل[٤].

وقد روى أبو داود في "سننه" من حديث جابر بن عبد الله عنِ النَّبي ﷺ [أنَّه][٥] قال: **"أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِنْ**

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٥/ ١٠٨.

(٢) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ٨٢.

(٣) في الأصل: أمرهم، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢٣.

(٥) من (ر).

حَمَلَةِ الْعَرْشِ، أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ"(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله لحسابكم ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾ عليه، وقرأ حمزة، والكسائي: "لَا يخفى" بالياء. وقرأ الباقون: بالتاء(٢).

والمعنى: لا يخفى عليه ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾؛ أي: نفس خافية، أو فعْلَة خافية، وفي حديث أبي موسى عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: "يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ؛ فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ، وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ، فَعِنْدَهَا تَتَطَايَرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ"(٣).

وَكان عمر بن الخطاب يقول: حاسبوا أنفسَكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ لا تخفى منكم خافية(٤).

---

(١) "سنن أبي داود" (٤٧٢٧)، قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ٨/ ٦٦٥: إِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ.

(٢) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٤٨، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٦، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي فارسي ٦/ ٣١٥، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧١٨.

(٣) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" ٢/ ١١٧، وأحمد في "مسنده" ٣٢/ ٤٨٦ (١٩٧١٥)، وابن ماجه في "سننه" (٤٢٧٧)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" ٦/ ١٢٥٥ (٢٢٣٠)، والبغوي في "شرح السنة" ١٥/ ١٤٣ (٤٣٢٨) كلهم من طريق الحسن عن أبي موسى. قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" ٤/ ٢٥٤: هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع؛ الحسن لم يسمع من أبي موسى. قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة، رواه أبو بكر بن أبي شيبة في "مسنده" بإسناده ومتنه، وله شاهد من حديث الحسن عن أبي هريرة رواه الترمذي، وقال: لم يسمع الحسن من أبي هريرة.

(٤) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" ١/ ١٠٣ (٣٠٦)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٩/ ١٤٣ (٣٥٦٠٠)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ١/ ٥٢، وضعفه الألباني في "الضعيفة" (١٢٠١).



قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ﴾ قال الزَّجَّاج: "هاؤم" أمر [من][1] الجماعة. بمنزلة هاكم. تقول للواحد: ها يا رجل، وللاثنين: هاؤما يا رجلان. وللثلاثة: هاؤم يا رجال[2].

قال المفسرون: إنما يقول هذا ثقةً بسلامته وسرورًا بنجاته. وذكر مُقاتِلٌ أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد[3]. [٧٩٩/ أ]

قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾؛ أي: علمت وأيقنت في الدنيا ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: أبعث وأحساب في الآخرة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾؛ أي: حالة من العيش ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ قال الفرَّاء: أي: فيها الرضى[4].

وقال الزجاج: أي: ذات رضى يرضاها مَن يعيش فيها[5]. وقال أبو عبيدة: مجازها مجاز مرضية[6].

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أي: عالية المنازل ﴿قُطُوفُهَا﴾؛ أي: ثمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾؛ أي: قريبة ممَّن يتناولها، وهي جمع قطف.

والقطف: ما يقطف من الثمار. قال البراء بن عازب: يتناول

---

(١) من (ر).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٧.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢٣.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٢.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٣٥٥.

(٦) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٨.

الرجلُ[١] الثَّمرةَ وهو نائم[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿كُلُوا﴾؛ أي: يقال لهم: كلوا ﴿وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾؛ أي: قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: الماضية، وهي أيام الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ قال مقاتل: نزلت في الأسود بن عبد الأسود، قتله حمزة ببدر، وهو أخو أبي سلمة[٣]. وقيل: نزلت في أبي جهل.

قوْلُه تعالى: ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ وذلك لما يرى فيه من القبائح ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾؛ لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب. إنما كله عليه. وكان ابن مسعود وقتادة، ويعقوب، يحذفون الهاء من "كتابيه" و"حسابيه" في الوصل[٤].

قال الزَّجَّاج: والوجه أن يوقف على هذه الهاآت، ولا توصل؛ لأنَّها أدخلت للوقف، وقد حذفها قوم في الوصل، ولا أحب مخالفة المصحف، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠][٥].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" ١/ ٥١١ (١٤٥٤)، وابن الجعد في "مسنده" (٤٣٥)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٨٦، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٤٦- ٣٤٧ (١٢٣٤).

(٣) "تفسير مقاتل" ٤/ ٤٢٣.

(٤) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦١ ونسبها لابن محيصن.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٧.

قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ يعني: الموتة التي ماتها في الدنيا ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾؛ أي القاطعة للحياة، فكأنه تمنى دوام الموت، وأنه لم يبعث للحساب.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: ضلت عني حجتي، قاله مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والسدي.

والثاني: زال عني ملكي، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾؛ أي: يقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾؛ أي: اجمعوا يده إلى عنقه ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾؛ أي: أدخلوه النار. وقال الزجاج: اجعلوه يصلى النار[(١)].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ﴾: وهي حلق منتظمة ﴿ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ قال ابن عباس: بذراع الملك[(٢)].

وقال نوف الشامي: كل ذراع سبعون باعًا، الباع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة[(٣)]. وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعًا[(٤)].

وقال مقاتل: ذرعها سبعون ذراعًا بالذراع الأول[(٥)]. ويقال: إن جميع أهل النار في تلك السلسلة.

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٨٩.

(٣) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" ٢/ ٨٣، وعبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٤٣ (٣٣١٦)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٨٩.

(٤) ذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٤٨.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢٤.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾؛ أي: أدخلوه. قال الفراء: وذكر أنها تدخل في دبر الكافر فتخرج من رأسه، فذلك سلكه فيها[1].

والمعنى: ثم اسلكوا فيه السلسلة، ولكن العرب تقول: أدخلت رأسي في القلنسوة، وأدخلتها في رأسي. ويقال: الخاتم لا يدخل في يدي، وإنما اليد تدخل في الخاتم، وإنما استجازوا ذلك، لأن معناه معروف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: لا يصدق بوحدانيته وعظمته.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾؛ أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾؛ أي: قريب ينفعه، أو[2] يشفع له.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه صديد أهل النار، قاله ابن عباس[3]. [٧٩٩/ ب]

قال مقاتل: إذا سال القيح، والدم، بادروا أكله قبل أن تأكله النار[4].

والثاني: شجر يأكله أهل النار، قاله الضحاك، والربيع.

والثالث: أنه غسالة أجوافهم، قاله يحيى بن سلام.

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٢.

(٢) في (ر): أي.

(٣) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ٨/ ٢٧٥، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٥٩١.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢٤.

قال ابن قتيبة: وهو "فعلين" من "غسلت" كأنه الغسالة[١][٢].

قوْله تعالى: ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ يعني: الكافرين.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٣].

قوْلُه تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ "لَا": ردّ لكلام [المشركين][٣]، كأنَّه قيل: ليس الأمر كما يقول المشركون ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ وقال قوم: "لا" زائدة مؤكدة.

والمعنى: أقسم بما ترون، وما لا ترون، وأراد جميع الموجودات. وقيل: الأجسام والأرواح.

﴿إِنَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: محمد ﷺ، قاله الأكثرون.

والثاني: جبريل، قاله ابن السائب، ومقاتل[٤].

قال ابن قتيبة: لم يرد أنه قول الرسول، وإنما أراد أنه قول الرسول عن الله تعالى، ففي الرسول ما يدل على ذلك، فاكتفى به من أن يقول

---

(١) في (ر): غسالة.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٤.

(٣) من (ر)، و(س)، و(م).

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٢٥، وذكره عن ابن السائب الكلبيِّ: الواحديُّ في "البسيط" ٢٢/ ١٨٦، والماورديُّ في "النكت والعيون" ٦/ ٨٦، ٢١٨.

عـن الله تعَـالى(١).

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ وقـرأ ابـن كثـير: "يؤمنـون" و"يَذَّكَّـرون" باليـاء فيهـما(٢).

قـال الزَّجَّـاج: "مَـا": مؤكـدة، وهـي لغـو في بـاب الإعـراب(٣). والمعنـى: قليـلًا تؤمنـون.

وقال غيره: أراد نفي إيمانهم أصلًا. وقد بيَّنَّا معنى "الكاهن" في الطُّورِ.

قـال الزَّجَّـاج: وقولـه تعـالى: ﴿تَنزِيلٌ﴾ مرفـوع بـ"هـو" مضمـرة يـدلُّ عليهـا قولـه تعـالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ هـو تنزيل(٤).

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٥٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾؛ أي: لـو تكلَّـف محمَّـدٌ ﷺ أن يقـول علينـا مـا لم نقلْـه ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾؛ أي: لأخذنـاه بالقـوة والقـدرة، قالـه الفـرَّاء.

---

(١) "غيب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٤.

(٢) قـراءة سـبعية متواتـرة، ينظـر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٤٨، و"معـاني القـراءات" للأزهـري ٣/ ٨٧، و"الحجـة للقـراء السـبعة" لأبي عـلي الفـارسي ٦/ ٣١٥، و"حجـة القـراءات" لابـن زنجلـة ص٧٢٠.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨.

والمبرد، والزَّجَّاج[١].

قال ابن قتيبة: إنما أقام اليمين مقام القوة؛ لأن قوَّة كلِّ شيءٍ في ميامنه[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع بطلت القوى: ومات صاحبه.

قال أبو عبيدة: الوتين: نياط القلب، وأنشد الشماخ[٣] [من الوافر]:

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي[٤]   عَرَابَةُ فَاشْرَقِي بِدَمِ الوَتِينِ[٥]

وقال الزجاج: الوتين: عرق أبيض غليظ كأنه قصبة[٦].

قوْلُه تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾؛ أي: ليس منكم أحدٌ يحجزنا عنه، وإنما قال تعالى: ﴿حَاجِزِينَ﴾؛ لأن أحدًا يقع على الجمع؛ كقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، هذا قول الفراء، وأبي عبيدة، والزجاج[٧].

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٣، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨، و"الكامل في اللغة والأدب" للمبرد ١/ ١٠٨.

(٢) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص٩٩.

(٣) في (ر): للشماخ.

(٤) في الأصل: رجلي، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٣/ ٢٦٨، والبيت من الوافر، وهو في "ديوان الشماخ بن ضرار" ص٣٢٣، وفيه: (حططت)، بدل (حملت).

(٦) لم أجده في "معاني القرآن وإعرابه" له.

(٧) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٣١٠، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨، و"معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٣.

ومعنى الكلام: أنه لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه أنه لو تكلف ذلك لعاقبناه، ثم لم يقدر على دفع عقوبتنا عنه.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في يوم القيامة، يندمون إذ لم يؤمنوا به.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ إضافة إلى نفسه لاختلاف اللفظين؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يُوسُف: ١٠٩].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: وإنه لليقين حق اليقين[١]. وقد شرحنا هذا المعنى، وما بعده في الْوَاقِعَة.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٨.



سورة سأل سائل(١)

ويقال لها: سورة المعارج، ويقال لها: سورة الواقع.

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجْماعِهِم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ٣
تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا
٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ
٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ١١
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ
١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾[المعارج: ١ - ١٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾.

قال المفسِّرون: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنفال: ٣٢]، وهذا مذهب الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد. [٨٠٠/أ]

وقال الرَّبيع بن أنس: هو أبو جهل(٢).

قرأ أبو جعفر ونافع، وابن عامر: "سَال" بغير همزٍ. والباقون

(١) في (ر): المعارج.

(٢) ذكره القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٨/ ٢٧٩.

باهمز[1]. فمن قرأ: "سأل" **بالهمز ففيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: دعا داعٍ على نفسه بعذابٍ واقع.

والثاني: سأل سائل عن عذاب واقعٍ لمن هو؟ وعلى مَن ينزل؟ ومتى يكون؟ وذلك على سبيل الاستهزاء، فتكون الباء بمعنى "عن"، وأنشدوا [من الطويل]:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ[2]

والثالث: سأل سائل عذابًا واقعًا، والباء زائدة.

ومَن قرأ: "سال" بلا همزٍ ففيه قولان:

أحدهما: أنَّه من السؤال أيضًا، وإنما لين الهمزة، يقال سأل، وسال، وأنشد الفرَّاء [من الطويل]:

تَعَالَوْا فَسَالُوا يَعْلَمِ النَّاسُ أَيُّنَا لِصَاحِبِهِ فِي أَوَّلِ الدَّهرِ تَابِعُ[3]

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٠، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٨، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣١٧، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٠.

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل، كما في: "الأضداد" لأبي بكر الأنباري ص٢٣٢، و"الاختيارين" للأخفش الأصغر ص٦٤٩، و"عيون الأخبار" لابن قتيبة ٤/ ٤٦، و"التمثيل والمحاضرة" لأبي منصور الثعالبي ص٥٤.

(٣) "كتاب فيه لغات القرآن" للفراء ص٢٦، والبيت من الطويل، ينظر: "شرح نقائض جرير والفرزدق" لأبي عبيدة ٣/ ٨٢٥، و"الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني ١٢/ ٣٤٠.

والثاني: أنَّ[١] المعنى: سال وادٍ في جهنم بالعذاب للكافرين، وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن، وكان ابن عباس في آخرين يقرؤون: "سَالَ سايل[٢]" بفتح السِّين، وسكون الياء من غير ألفٍ ولا همز[٣].

وإذا قلنا: إنَّه من السؤال؛ فقوله تعالى: "للكافرين" جوابٌ للسؤال، كأنَّه لما سأل: لمن هذا العذاب؟ قيل: للكافرين.

والواقع: الكائن، **والمعنى**: أنَّ العذاب للذي سأله هذا الكافر كائن لا محالة في الآخرة.

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاج: **المعنى**: ذلك العذاب واقعٌ مِن الله بالكافرين[٤][٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّها السموات، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هي معارج الملائكة[٦].

قال ابن قتيبة: وأصل المعارج الدَّرج، وهي من عرج: إذا صعد[٧].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ر): سيل.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٢.

(٤) في (ر): للكافرين.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢١٩.

(٦) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ٠/ ٣٥، والواحدي في "البسيط" ٢٢/ ٢٠٥.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٥.

قال الفرَّاء: لما كانت الملائكة تعرج إليه، وَصَف نفْسَه بذلك[١].

قال الخطَّابي: المعارج: الدَّرج، واحدها معرج، وهو المصعد، فهو الذي يُصعدُ إليه[٢] بأعمال العباد، وبأرواح المؤمنين. فالمعارج: الطرائق التي يصعد فيها[٣].

والثَّاني: أنَّ المعارج: الفواضل والنعم. قاله قتادة.

قوْلُه تعَالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرأ الكسائي: "يعرج" بالياء[٤].

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ **في "الروح" قولان**:

أحدهما: جبريل، قاله الأكثرون.

والثَّاني: روح الميت حين تقبض، قاله قبيصة بن ذؤيب.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى الله عزَّ وجلَّ ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: أنَّه يوم القيامة، قالَه ابن عباس، والحسن، وقتادة، والقرظي.

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٤.

(٢) في الأصل: فيه، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) "شأن الدعاء" للخطابي ص١٠٤.

(٤) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٠، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٩، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣١٨، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢١.



وهـذا هـو مقـدار يـوم القيامـة مِـن وقـت البعـث إلى أن يُفصـلَ بـين الخلْـقِ، وفي الحديـث: "إِنَّـهُ لَيُخَفَّـفُ عَـلَى الْمُؤْمِـنِ حَتَّـى يَكُـونَ أَخَـفَّ عَلَيْـهِ مِـنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَـةٍ"(١)، وقيـل: بـل لَـوْ وَلِي حسـاب الخلـق سـوى الله عـز وجـل لم يفـرغ منـه في خمسـين ألـف سنة، والحـق يفـرغ منـه في سـاعة مـن نهـار.

وقـال عطـاء: يفـرغ الله مـن حسـاب الخلـق في مقـدار نصـف يـوم مـن أيّـام الدنيـا(٢).

فعـلى هـذا يكـون المعنـى: ليـس دافـع مـن الله في يـوم كان مقـداره خمسـين ألـف سـنة، وقيـل: المعنـى: سـأل سـائل بعـذابٍ واقـعٍ في يـوم كان مقـداره خمسـين ألـف سـنة. فعـلى هـذا يكـون في الـكلام تقديـم وتأخـير. [٨٠٠/ب]

والثَّـاني: أنَّ مقـدار صعـود الملائكـة مـن أسـفل الأرض إلى العـرش لـو صعـده غيرُهـم قطعـه في خمسـين ألـف سـنة، وهـذا معنـى قـول مجاهـد.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾؛ أي: اصـبر عـلى تكذيبهـم إيَّـاك ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ لا جـزع فيـه، وهـذا قبـل أن يؤمـر بقتالهـم، ثـم نسـخ هـذا(٣) بآيـة السـيف.

---

(١) أخرجـه أحمـد في "مسـنده" ١٨/ ٢٤٦ (١١٧١٧)، وأبـو يعـلى في "مسـنده" ٢/ ٥٢٧ (١٣٩٠)، والطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٦٠٢، والبغـوي في "شرح السـنة" ١٥/ ١٢٩ (٤٣١٨)، و"معـالم التنزيـل" ٥/ ١٥١- ١٥٢ (٢٢٧٠) مـن حديـث أبي سـعيد. وصححـه ابـن حبـان ١٦/ ٣٢٩ (٧٣٣٤)، وقـال الهيثمـي في "مجمـع الزوائـد" ١٠/ ٣٣٧: رواه أحمـد، وأبـو يعـلى، وإسـناده حسـن عـلى ضعـف في راويـه.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٥١، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٥٢.

(٣) ليست في (ر).

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ يعني: العذاب ﴿بَعِيدًا﴾ غير كائن ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ كائنًا؛ لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ، ثم أخبر متى يكون فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ وقد شرحناه في الْكَهْف.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾؛ أي: كالصوف، فشبَّهها في ضعفِها ولينِهَا بالصُّوف. وقيل: شبَّهَها به في خفَّتِها وسيْرِها؛ لأنَّه قد نقل أنها تسير على صورها، وهي كالهباء.

قال الزَّجاج: "العهن" الصُّوف. واحدته: عهنة، ويقال: عهنة، وعهن؛ مثل: صوفة وصوف[١]. وقال ابن قتيبة: العهن: الصوف المصبوغ[٢].

وقوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قرأ الأكثرون: "يَسأَلُ" بفتح الياء[٣]، **والمعنى**: لا يسأل قريبٌ عن قرابته، لاشتغاله بنفسه.

وقال مقاتل: لا يسأل الرجل قرابته، ولا يكلمه من شدة الأهوال[٤].

وقرأ معاوية، وأبو رزين، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن، وابن أبي عبلة، وأبو جعفر: بضمِّ الياء[٥].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٣٥٥.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٥٣٧.

(٣) قراءة سبعية قرأ بها ابن كثير في رواية قنبل، والباقون، ينظر: "السبعة" لابن خالويه ص٦٥٠، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٨٩، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٠، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٢.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٣٦.

(٥) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٢.

والمعنى: لا يُقال للحميم: أين حميمك؟.

قوْلُه تعَالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي: لا[1] يعْرف الحميمُ حميمَه حتى يُعرَّفه، وهو مع ذلك لا يسأل عن شأنه. ولا يكلمه اشتغالًا بنفسه، يقال: بصَّرْتُ زيدًا كذا: إذا عرَّفْته إيَّاه.

قال ابن قتيبة: معنى الآية: لا يسأل ذو قرابة عن قرابته، ولكنهم يبصرونهم؛ أي: يعرفونهم[2].

وقرأ قتادة، وأبو المتوكل، وأبو عمران: "يُبْصِرونَهم" بإسكان الباء، وتخفيف الصَّاد وكسرها[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يعني: يتمنى المشرك لو قُبل منه الفداء ﴿يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ وهي: الزوجة ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عشيرته[4]. وقال الزَّجَّاج: هي أدنى قبيلته منه[5]، ومعنى ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ تضمه، فيود أن يفتديَ بهذه المذكورات. ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الفداء.

﴿كَلَّآ﴾ لا ينجيه ذلك ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ قال الفرَّاء: هو اسم من أسماء جهنم؛ فلذلك لم يُجْرَ[6].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٥.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٢.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٥.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٠.

(٦) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٤.

وقال غيره: معناها في اللغة: اللَّهب الخالص. وقال ابن الأنباري: سميت لظًى لشدَّةِ توقدها وتلهبها، يقال: هو يتلظى؛ أي: يتلهب ويتوقد. وكذلك النَّار تتلظى يراد بها هذا المعنى، وأنشدوا [من الطويل]:

جَحِيـمًا تَلَظَّـى لَا تُفَتَّرُ سَـاعَةً ... وَلَا الْحَرُّ مِنْهَا غَابِرَ الدَّهْرِ يَـبْرُدُ[١]

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ قرأ الجمهور: "نزاعةٌ للشوى" بالرفع على معنى: هي نزاعة. وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي عبلة، وحفص عن عاصم: "نَزَّاعَةً" بالنصب[٢].

قال الزَّجَّاج: وهذا على أنها حال مؤكدة؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [فاطر: ٣١]، ويجوز أن ينصب على معنى: "إنها تتلظى نزاعةً"[٣].

وفي المراد بـ"الشوى" أربعة أقوال:

أحدها: جلدة الرأس، قاله مجاهد.

والثاني: محاسن الوجه، قاله الحسن، وأبو العالية.

والثَّالث: العصب والعقب، قاله ابن جبير.

---

(١) "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي بكر الأنباري ٢/ ١٤٧، والبيت من الطويل، ولم أجد من نسبه، وهو في "المذكر والمؤنث" لأبي بكر الأنباري أيضًا ١/ ٥٠٠ .

(٢) كلتا القراءتين سبعية، الأولى متواترة، والثانية آحاد؛ بالرفع قرأ الجمهور وأبو بكر عن عاصم، وبالنصب قرأ حفص عنه، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٠- ٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٠، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣١٩، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٣.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢١.

[١٠٨/أ] والرابع: الأطراف: اليدان، والرجلان، والرأس، قاله الفرَّاء والزَّجَّاج[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الحقِّ.

قال المفسِّرون: تقول: إليَّ يا مشركُ، إليَّ يا منافق. ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ قال الفرَّاء: أي: جمع المال في وعاء فلم يؤدِّ منه زكاة، ولم يصِلْ منه رحمًا[٢].

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾
إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ
وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ
غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ
جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾
[المعارج: ١٩ - ٤٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال مقاتل: عنى به أمية بن خلف الجمحي[٣].

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٥، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢١.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٥.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٣٧.

وفي الهلوع سبعة أقوال:

أحدها: أنَّه الموصوف بما يلي هذه الآية، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال أبو عبيدة، والزَّجَّاج(١).

والثَّاني: أنه الحريص على ما لا يحلُّ له، رواه أبو صالح، عن ابن عباس(٢).

والثالث: البخيل، قاله الحسن، والضحاك.

والرابع: الشحيح، قاله ابن جبير.

والخامس: الشَّره، قاله مجاهد.

والسادس: الضجور، قاله عكرمة، وقتادة، ومقاتل، والفراء(٣).

والسَّابع: الشديد الجزع، قاله ابن قتيبة(٤).

قوْلُه تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾؛ أي: أصابه الفقر ﴿جَزُوعًا﴾ لا يصبر، ولا يحتسب ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ أصابه المال ﴿مَنُوعًا﴾ بمنعه من حقِّ الله عز وجل ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ وهم أهل الإيمان بالله. وإنَّما استثنى الجمع من الإنسان؛ لأنَّه اسم جنس.

---

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٠، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٢، وأخرجه عن ابن عباسٍ: الطبريُّ في "تفسيره" ٢٣/ ٦١٠.

(٢) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٣٩، وذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٥٣.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٣٧، و"معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٥.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٦.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم الذين يحافظون على المكتوبات، وهو معنى قوْلِ ابْنِ مسْعُودٍ.

والثاني: أنهم الذين لا يلتفتون عن أيمانهم وشمائلهم في الصَّلاة، قاله عقبة بن عامر. واختاره الزجاج، قال: ويكون اشتقاقُه من الدائم، وهو الساكن، كما [جاء][1] في الحديث أنَّه نهى عن البول في الماء الدائم[2].

والثَّالث: أنهم الذين يكثرون فعل التطوع، قاله ابن جريج.

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ قد سبق شرْحُ هذه الآية والتي بعدها في الذاريات [آية: ١٩] وبيَّنَّا معنى يوم الدين في "الفاتحة" وما بعد هذا قد شرحناه في الْمُؤْمِنِين... إلى قوله تعالى: "لأماناتهم" قرأ ابن كثير وحده: "لأمانتهم"[3].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكرٍ عن عاصم: "بشهادتهم" على التوحيد.

وقرأ حفْصٌ عن عاصم "بشهاداتهم" جمعًا[4].

---

(١) من (ر)، و(م).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٢، والنهي عن البول في الماء الدائم أخرجه: البخاري في "صحيحه" (٢٣٩)، ومسلم في "صحيحه" (٢٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩١، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢١، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٤.

(٤) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥١، و"معاني=

قوْلُه تعَالى: ﴿قَآئِمُونَ﴾؛ أي: يقيمون[(١)] فيها بالحق، ولا يكتمونها.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ نزلت في جماعةٍ من الكفار جلسوا حولَ رسول الله ﷺ يستهزئون بالقرآن، ويكذبون به.

قال الزَّجَّاج: والمهطع: المقبل ببصره على الشيء لا يزايله، وكانوا ينظرون إلى النبي نظرَ عداوةٍ[(٢)]. وقد سبَقَ الخِلافُ في قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾.

قوْلُه تعَالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ قال الفراء: العزون: الحلق، الجماعات، واحدتها: عزة، وكانوا يجتمعون حول النبي ﷺ فيقولون: لَئن دخل هؤلاء الجنة، كما يقول محمَّدٌ ﷺ فلندخلنها قبلَهم، فنزل قوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾[(٣)].

وقرأ ابن مسعود، والحسن، وطلحة بن مُصرِّف، والأعمش، والمفضل عن عاصم: "أن يَدْخُلَ" بفتح الياء، وضم الخاء[(٤)].

وقال أبو عبيدة: عزين: جمع عزة، مثل ثبة، وثبين، فهي جماعات في تفرقة[(٥)].

=القراءات" للأزهري ٣/ ٩١، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٢، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٤.

(١) في (ر)، و(م): يقومون.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٣.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٦.

(٤) قراءة آحاد، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩١، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٢.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٠.



قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لا يكون ذلك ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ فيه قولان: [١/٨٠ب]

أحدهما: من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، فالمعنى: لا يستوجب الجنة أحد بما يدّعيه مِنَ الشَّرف على غيره؛ إذ الأصل واحدٌ، وإنما يستوجبها بالطاعة.

والثاني: [إنا][١] خلقناهم من أقذار[٢]. فبماذا يستحقون الجنَّة ولم يؤمنوا؟ وقد روى بشر بن جحاش عن النبي ﷺ أنَّه تلا هذه الآية: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾، ثُمَّ بزق في كفِّهِ وقال: "يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟! حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ، وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، وَلِلْأَرْضِ مِنْك وَئِيدٌ[٣]، فَجَمَعْتَ، وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ. وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ"؟[٤].

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) في الأصل: أقدار، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في الأصل: بيدك، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" ٧/ ٢٩٨، وأحمد في "مسنده" ٢٦/ ٣٨٧ (١٧٨٤٤)، وابن ماجه في "سننه" (٢٧٠٧)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" ٢/ ١٤٩ (٨٦٩)، والخرائطي في "مساوئ الأخلاق ومذمومها" (٥٤٨)، والطبراني في "المعجم الكبير" ٢/ ٣٢ (١١٩٣)، وابن منده في "التوحيد" (٨٨)، والحاكم في "مستدركه" ٢/ ٥٩٠ وصححه، والثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٤١، والبيهقي في "شعب الإيمان" ٥/ ١٣٦ (٣١٩٨)، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٥٥ (١٢٤١)، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٥٤ (٢٢٧١)، قال البيهقي: وبشر بن جحاش كان في كتابي مقيدًا بالشين، واختلفوا فيه، فمنهم من قال هكذا، ومنهم من قال: بسر. بالسين غير=

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ قد تكلمنا عليه في الْحَاقَّة. والمراد بالمشارق، والمغارب: مشرق[١] كلِّ يوم ومغربه.

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾؛ أي: نخلق أمثل منهم وأطوع لله حين عصوا.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ مفسر في الْوَاقِعَة.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾؛ أي: يلهوا في دنياهم حتى يلاقوا.

وقرأ ابن محيصن: "حَتَّى يَلْقَوْا يومَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ"[٢] وهو يوم القيامة. وهذا لفظ أمر معناه: الوعيد.

وذكر المفسرون أنَّه منسوخٌ بآية السيف. وإذا قلنا: إنَّه وعيد بلقاء [يوم][٣] القيامة، فلا وجه للنسخ.

﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾؛ أي: يخرجون بسرعة كأنهم يستبقون.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم

=معجمة. وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ٥/ ٣٧٤: وهو بضم الموحدة وسكون المهملة وأبوه بكسر الجيم وتخفيف المهملة وآخره شين معجمة. وصححه الألباني في "الصحيحة" (١١٤٣).

(١) في (ر): شرق.

(٢) قراءة شاذة، قرأ بها أبو جعفر أيضًا هنا وفي [الزخرف: ٨٣]، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٣٧.

(٣) من سائر النسخ.

بضم النون والصاد[١].

وقال ابن جرير: وهو واحد الأنصاب، وهي آلهتهم التي كانوا يعبدونها[٢].

فعلى هذا يكون المعنى: كأنهم إلى آلهتهم التي كانوا يعبدونها يسرعون.

وقرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بفتح النون وسكون الصاد[٣].

وهي في معنى القراءة الأولى، إلا أنَّه مصدر؛ لقول[٤] القائل: نصبت الشيء أنصبه نصبًا. قال قتادة: معناه: كأنهم إلى شيء منصوب يسرعون[٥].

وقال ابن جرير: تأويله، كأنهم إلى صنم[٦] منصوب يسرعون[٧].

وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، والنخعي: "نُصْب" برفع النون

(١) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٢، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٢- ٣٢٣، و"حجة القراءات" ص٧٢٤.

(٢) "تفسير الطبري" ٢٣/ ٦٢٤.

(٣) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٢، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٣، و"حجة القراءات" ص٧٢٥.

(٤) في (ر): كقول.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٣/ ٣٤٧ (٣٣٣٣)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٦٢٥ وفيه (يسعون).

(٦) في (س): سبي.

(٧) "تفسير الطبري" ٢٣/ ٦٢٥.

وإسكان الصَّاد[١]، وقرأ الحسن، وأبو عثمان، النهدي وعاصم الجحدري: "إلى نَصَبٍ" بفتح النون والصَّاد جميعًا[٢].

قال ابن قتيبة: النصب: حجر ينصب أو صنم، يقال: نَصْب، ونُصْب، ونُصب[٣]. وقال الفراء: النَّصب والنُّصب واحد، وهو مصدر، والجمع: الأنصاب[٤].

وقال الزَّجَّاج: النَّصْب، والنُّصْب: العلم المنصوب[٥]. قال الفرَّاء: والإيفاض: الإسراع[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ﴾ قرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار: "ذلةُ ذلِكَ اليَوْمِ" بغير تنوين، وبخفض الميم[٧]. وباقي السورة قد تقدَّم بيانُه.

---

(١) قراءة شاذة، قرأ بها أيضا أبو العالية، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٢.

(٢) قراءة شاذة، ذكرها عن مجاهد وأبي عمران الجونيّ: ابنُ عطية في "المحرر الوجيز" ٥/ ٣٧١، وعن الحسنِ: الدمياطيُّ في "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" ص٥٥٧.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٦.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٦.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٤.

(٦) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٦.

(٧) قراءة شاذة، ينظر: "البحر المحيط" لأبي حيان ١٠/ ٢٧٨ ونسبه ليعقوب والتمار.



سورة نوح عليه السلام

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ١ - ٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾؛ أي: بأن أنذر قومَك، والعذاب الأليم: الغرق.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وعلي بن نصر عن أبي عمرو: "أنُ اعبدوا الله" بضم النون. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي[١]، وعبد الوارث [عن أبي عمرو][٢]: "أنِ اعبدوا الله" بكسر النون[٣]. قال أبو علي: مَن ضمَّ كره الكسر (قبل الضَّمة)[٤][٥]. [٨٠٢/أ]

(١) ليست في (ر)، و(م).

(٢) ليست في الأصل، و(س)، والمثبت من (ر)، و(م).

(٣) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٢، "معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٤.

(٤) ليست في (ر).

(٥) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٤.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ أثبت الياء في الحالين يعقوب[١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ "من" هاهنا صلة. **والمعنى:** يغفر لكم ذنوبكم، قاله السدي، ومقاتل[٢].

وقال الزجاج: إنما دخلت "من" هاهنا لتخصيص[٣] الذنوب من سائر الأشياء، ولم تدخل لتبعيض الذنوب، ومثله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠][٤].

وذهب بعض أهل المعاني إلى أنها للتبعيض، **والمعنى:** يغفر لكم من ذنوبكم إلى وقت الإيمان.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾؛ أي: عن العذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو منتهى آجالهم. **والمعنى:** فتموتوا عند منتهى آجالكم غير ميتة المعذبين.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه أجل الموت، قاله مجاهد. فيكون **المعنى:** إنَّ أجل الله الذي أجلكم إليه، لا يؤخر إذا جاء، فلا يمكنكم حينئذ الإيمان.

والثاني: أنَّه أجل البعث، قاله الحسن.

---

(١) قراءة عشرية، ينظر: "معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٥.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٤٩، وذكره عن السديِّ: الماورديُّ في "النكت والعيون" ٦/ ٩٩.

(٣) في (ر): لتختص.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٨.

والثالث: أجل العذاب، قاله السدي، ومقاتل[(١)].

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾[نوح: ٥ - ٢٤].

قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴾؛ أي: تباعدًا من الإيمان ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ﴾ إلى الإيمان والطاعة ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ لئلَّا يسمعوا صوتي﴿ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾؛ أي: غطّوا بها وجوههم لئلَّا يروني ﴿ وَأَصَرُّوا ﴾ على كفرهم ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا ﴾ عن الإيمان بك واتباعي.

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾؛ أي: معلنًا لهم بالدعاء. قال ابن عباس: بأعلى صوتي[(٢)]. ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ ﴾؛ أي: كررت الدعاء معلنًا.

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٤٩، وذكره عن السديِّ: الماورديُّ في "النكت والعيون" ٦/ ٩٩.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٥٧، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٥٦.

﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ قال ابن عباس: يريد أُكَلِّم الرجل بعد الرجل في السِّر، وأدعوه إلى توحيدك وعبادتك[١].

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ قال المفسرون: منع الله عنهم القطر، وأعقم أرحامَ نسائهم أربعين سنة، فقال لهم نوح: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك؛ أي: استدعوا مغفرته بالتَّوحيد.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ قد شرحناه في أول الأنعام، ومعنى الكلام: أنَّه أخبرهم أنَّ الإيمان يجمع لهم خير الدنيا والآخرة.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: لا ترون لله عظمةً، قاله ابن عبَّاس[٢].

والثَّاني: لا تخافون لله عظمةً[٣]، قاله الفرَّاء وابن قتيبة[٤].

والثالث: لا ترون لله طاعةً، قاله ابن زيد.

والرابع: لا ترجون عاقبةَ الإيمان والتوحيد، قالَه الزجاج[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٥٧، و"البسيط" ٢٢/ ٢٥٢، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٥٦.

(٢) ذكره: الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٤٤، ومكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ١٢/ ٧٧٣٥، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٥٦.

(٣) في (ر): عظمة الله.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٨، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٧.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٩.



قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾؛ أي: وقـد جعـل لكـم في أنفسـكم آيـة تـدلُّ عـلى توحيـده مـن خلقـه إيَّاكـم مـن نطفـة، ثـم مـن علقـةٍ شـيئًا بعـد شيء إلى آخـر الخلـق.

قال ابن الأنباري: الطور: الحال، وجمعه أطوار[١].

وقـال ابـن فـارس: الطـور: التـارة، طـورًا بعـد طـور؛ أي: تـارة بعـد تـارة[٢]. وقيـل أراد بالأطـوار: اختـلاف المناظـر، والأخـلاق، مـن طويـل وقصـير، وغـير ذلـك.

ثـم قرَّرهـم، فقـال تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ وقـرأ ابـن مسـعود، وابـن أبي عبلـة: "طبـاقٍ" بتنويـن القـاف وكسرهـا مـن غـير ألـف[٣]. وقـد بيَّنَّـا هـذا في سـورة الملـك.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ فيه قولان:

أحدهمـا: أنَّ وجـه القمـر قِبـل السـموات، وظهـره قِبـل الأرض يـضيء، لأهـل السـموات، كـما يـضيء لأهـل الأرض، وكذلـك الشـمس، هـذا قـول عبـد الله بـن عمـرو.

والثَّـاني: أنَّ القمـر في السـماء الدنيـا، وإنَّـما قـال: "فيهـن"؛ لأنهـن كالـشيء

---

(١) "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي بكر الأنباري ١/ ٤٥٤.

(٢) "مجمل اللغة" لابن فارس ص٥٨٩.

(٣) قـراءة شـاذة، لم أقـف عليهـا، قـال القرطبـي في "الجامـع لأحـكام القـرآن" ١٨/ ٢٠٨: ويجـوز في غـير القـرآن: (سـبع سـمواتٍ طبـاقٍ)، بالخفـض على النعـت لـ(سـماواتٍ).

الواحد، ذكره الأخفش، والزجاج[١]. وغيرهما. وهذا كما تقول: أتيتُ [٢٠٨/ ب] بني تميم. وإنما أتيتَ بعضهم، وركبتُ السفن.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يستضيء بها العالم ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أنَّ مبتدأ خلقكم من الأرض، وهو آدم.

﴿نَبَاتًا﴾ قال الخليل: معناه: فنبتُّم نباتًا[٢]. وقال الزجاج: نباتًا محمول في المصدر على المعنى؛ لأنَّ معنى ﴿أَنۢبَتَكُم﴾: جعلكم تنبتون نباتًا[٣].

قال ابن قتيبة: هذا مما جاء فيه المصدر على غير المصدر؛ لأنَّه جاء على[٤] نبت. ومثله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ فجاء على "بتل". قال الشاعر [من الوافر]:

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعَا[٥]

فجاء على اتبعت.

وقال الآخر [من الوافر]:

.... وَإِنْ شِئْتُمْ تَعَاوَدْنَا عُوَادَا[٦]

---

(١) "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٥٥٠، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ١٠٠، ٢٣٠.

(٢) "العين" ٨/ ١٣٠، و"الجمل في النحو" ص١٤٢ للخليل.

(٣) "معانى القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٠.

(٤) في (ر): في.

(٥) البيت من الوافر، وهو للقطامي كما في: "الكتاب" لسيبويه ٤/ ٨٢، و"الشعر والشعراء" لابن قتيبة ٢/ ٧١٤، و"الأصول في النحو" للسراج ٣/ ١٣٤، و"الصحاح" للجوهري ٣/ ١١٩٠، و"المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده ٢/ ٥٦، وغيرها.

(٦) هذا عجز بيت من الوافر، وهو دون نسبة في: "معجم ديوان الأدب" للفارابي ٣/ ٤٥٩،=

فجاء على "عاودنا"، وإنما تجيء المصادر مخالفة الأفعال؛ لأنَّ الأفعال وإن اختلفت أبنيتها، واحدة في المعنى[(١)].

قَوْلُه تعَالى: ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ قال الفرَّاء: هي الطرق الواسعة[(٢)].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وعاصم: "ووَلَدَه" بفتح اللام والواو. وقرأ الباقون: "وُلْده" بضم الواو وسكون اللام[(٣)].

قال الزجاج: وهما بمعنى واحد؛ مثل: العَرَب، والعُرْب، والعَجَم، والعُجْم[(٤)].

وقرأ الحسن، وأبو العالية، وابن يعمر، والجحدري: "ووِلْده" بكسر الواو، وإسكان اللام[(٥)].

قال المفسرون: المعنى: أنْ الأتباع، والفقراء اتبعوا رأي الرؤساء والكبراء.

=و"الخصائص" لابن جني ٢/ ٩٢، ٢٦٥، و"ما يجوز للشاعر في الضرورة" لمحمد بن جعفر القزاز ص٢٦٨، و"شرح أدب الكاتب" للجواليقي ص٣٠٥.

(١) "أدب الكاتب" لابن قتيبة ص٦٣٠ وفيه (صدر) بدل (المصدر).

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٨٨.

(٣) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٢- ٦٥٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٢/ ١٣٩، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٥، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٥.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٠.

(٥) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٢.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ وقرأ أبو رجاء، وأبو عمران: "كُبَارًا" برفع الكاف وتخفيف الباء[1].

وقرأ ابن يعمر، وأبو الجوزاء، وابن محيصن: "كِبَارا" بكسر الكاف مع تخفيف الباء[2].

والمعنى: "كبيرًا" يقال: كبير، وكِبار، وكُبار. وقد شرحنا هذا في أول "ص"، ومعنى "المكر": السعي في الفساد، وذلك أنَّ الرؤساء منعوا أتباعهم من [الإيمان][3] بنوح.

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: لا تدعن عبادتها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع: بضم الواو. والباقون: بفتحها[4]. وهذا الاسم وما بعده أسماء آلهتهم.

وجاء في التفسير أنَّ هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بين آدم ونوح. فنشأ قوم بعدهم يأخذون بأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورَهم

---

(١) قراءة شاذة أيضًا، ذكرها أبو حيان في "البحر المحيط" ١٠/ ٢٨٥ عن عيسى وابن محيصن وأبي السمال، وذكرها ابن عادل الدمشقي في "اللباب في علوم الكتاب" ١٩/ ٣٩٣ عن ابن عيسى وابن محيصن وأبي السمال وحميد ومجاهد.

(٢) قراءة شاذة أيضًا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٢.

(٣) من سائر النسخ.

(٤) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٤، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٧، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٦.



كان أنشطَ لكم، وأشوق إلى العبادة[١]. ففعلوا. ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم.

وكان ابتداء عبادة الأوثان من ذلك الوقت، وسميت تلك الصور بهذه الأسماء؛ لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المسمين بهذه الأسماء.

وقيل: إنما هي أسماء لأولاد آدم مات منهم واحد، فجاء الشيطان فقال: هل لكم أن أصور لكم صورته، فتذكرونه بها؟ فصورها[٢] ثم مات آخر، فصور لهم صورته، إلى أن صوَّر الخمسة[٣]. ثم طال الزمان، وتركوا عبادة الله، فقال لهم الشيطان: ما لكم لا تعبدون شيئًا؟ فقالوا: مَن نعبد؟ قال: هذه آلهتكم، وآلهة آبائكم، ألا ترونها مصورةً في مصلاكم؟ فعبدوها.

[٨٠٣/أ] وقالَ الزَّجَّاج: هذه الأصنام كانت لقوم نوح، ثم صارت إلى العرب، فكان "وَدٌّ" لكلب، و"سواعٌ" لهَمْدان، و"يغوثُ" لمدلج، و"يعوق" لكنانة، و"نسْرَ" لحمير[٤].

وقال مقاتل: إنما كان "سواع" لهذيل، و"يعوق" لهمدان، و"يغوث" لبني غطيف، وهم حي من مراد[٥].

---

(١) في (ر): للعبادة.

(٢) في الأصل: فصور لهم، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) في (ر): صور صور خمسة.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٠- ٢٣١، وفيه: وكان يَغُوث لمذحج.

(٥) تفسير مقاتل (٤/ ٤٥٣).

وقيل: لما جاء الطوفان غطى على هذه الأصنام وطمها التراب، فلما ظهرت بعد الطوفان صارت إلى هؤلاء المذكورين.

قال الواقدي: كان "وَد" على صورة رجل، و"سُواع" على صورة امرأة، "ويغوث" على صورة أسد، و "يعوقُ" على صورة فرس، و "نَسر" على صورة النسر من الطير(١).

قوْله تعَالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: وقد أضلت الأصنام كثيرًا من الناس؛ أي: ضلُّوا بسببها.

والثاني: وقد أضل الكبراء كثيرًا من الناس.

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ وهذا دعاء من نوح عليهم، لما أعْلَمَه الله أنهم لا يؤمنون.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٥ - ٢٨].

قوْله تعَالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ "ما" صلة، والمعنى: من خطياتهم؛ أي: من أجلها، وسببها.

---

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٤٧، ونقله الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ٨/ ٦٦٩ ثم قال: وهذا شاذ، والمشهور أنهم كانوا على صورة البشر.



وقرأ أبو عمرو: "مما خطاياهم"[١]، وقرأ أبو الجوزاء، والجحدري: "خطيئتهم" من غير ألف[٢].

﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ قال ابن السَّائب: المعنى: سيدخلون في الآخرة نارًا[٣]. فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حقٌّ، هذا قول الأكثرين.

وقال الضَّحَّاك: فأدخلوا نارًا في الدنيا، وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب[٤].

قَوْلُه تعَالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾؛ أي: لم يجدوا أحدًا يمنعهم من عذاب الله.

قَوْلُه تعَالى: ﴿دَيَّارًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: أحدًا. يُقال: ما بالمنازل ديارٌ؛ أي: ما بها أحدٌ، وهو من الدار؛ أي: ليس بها نازل دارًا[٥].

---

(١) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٣، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٤، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٢٨، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٦.

(٢) قراءة شاذة أيضًا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٢، وزاد: عبيد عن أبي عمر.

(٣) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٦٠، و"البسيط" ٢٢/ ٢٧٢، والرازي في "مفاتيح الغيب" ٣٠/ ٦٥٩.

(٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٤٧، والواحدي في "البسيط" ٢٢/ ٢٧٢، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٥٨، والزمخشري في "الكشاف" ٤/ ٦٢٠.

(٥) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٨.

وقال الزجاج: أصلها "دَيوار" فيعال فقلبت الواو ياء، وأدغمت إحداهما في الأخرى. وإنَّما دعا عليهم نوحٌ؛ لأن الله تعالى أوحى إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[هود: ٣٦][١].

قوْلُه تعَالى: ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ وذلك أنَّ الرجل منهم كان ينطلق بابنه إلى نوح، فيحذره تصديقه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال المفسرون: إنَّ الله تعالى أخبر نوحًا، أنهم لا يلدون مؤمنًا، فلذلك علم الفاجرَ الخارجَ عن الطاعة.

قوْلُه تعَالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ قال الحسن: وذلك أنهما كانا مؤمنين[٢].

وقرأ أبو بكر الصديق ﷺ، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والجحدري، والجوني: "ولوالِدِيْ" ساكنة الياء على التوحيد[٣].

وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وابن يعمر، والزهري، والنخعي: "ولولَدَيَّ" من غير ألف على التثنية[٤].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣١.

(٢) ذكره ابن أبي زمنين في "تفسيره" ٥/ ٤٢.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٢، و"المحتسب" لابن جني ١/ ٣٦٥.

(٤) قراءة شاذة أيضا، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٢، و"المحتسب" لابن جني ١/ ٣٦٥.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ وقـرأ حفـص عـن عاصـم "بيتـيَ" بفتـح اليـاء[1]، **وفيـه ثلاثـة أقـوال:**

أحدها: منزله، قاله ابن عباس.

والثاني: مسجده، قاله الضحاك.

والثالث: سفينته، حكاه الثعلبي[2].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هـذا عـامٌّ في كلِّ مَـن آمـن. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ يعنـي: الكافريـن ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾؛ أي: هـلاكًا، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقـان: ٣٩].

---

(١) قـراءة سـبعية متواتـرة، قـرأ بهـا أيضـا: أَبُـو قُـرَّة عَـن نَافِـع، ينظـر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٥٥، و"معـاني القـراءات" للأزهـري ٣/ ٩٥، و"الحجـة للقـراء السـبعة" لأبي عـلي الفـارسي ٦/ ٣٢٩.

(٢) "الكشف والبيان" للثعلبي ١٠/ ٤٨.

سُورة الجِنِّ

هي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ
فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ
مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾
وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ
لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ
بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ
ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ
بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا
﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا
﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١ - ١٧].

قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قد ذكرنا سببَ نُزول هذه الآية في الأحقاف [آية: ٢٩] وبيَّنَّا هنالك سبب استماعهم، ومعنى [٨٠٣/ ب] "النفر" وعددهم.

فأمَّا قوْلُه تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ فمعناه: بليغًا يعجب منه لبلاغته.

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾؛ أي: يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان.

﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ﴾؛ أي: لن نعدل بربِّنا أحدًا من خلْقِه. وقيل: عنوا إبليس؛ أي: لا نطيعه في الشِّرك بالله.

قوْله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ اختلف القراء في اثنتي عشرة همزة في هذه السورة، وهي: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، و﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، و﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾، و﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، و﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ﴾، و﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا﴾، و﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾، و﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ﴾، و﴿وَأَنَّا مِنَّا﴾، و﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ﴾، و﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ﴾، و﴿وَأَنَّا مِنَّا﴾. ففتح الهمزة في هذه المواضعِ ابنُ عامر، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ، ووافقهم أبو جعفر في ثلاثة مواضعَ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾ وكسَرَ الباقياتِ. وقرأ الباقون: بكسرِهنَّ(١).

وقال الزَّجَّاج: والذي يختاره النَّحويون في هذه السورة أنَّ ما كان من الوحي قيل فيه: "أن" بالفتح، وما كان من قول الجن قيل: "إن" بالكسر معطوف على قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ وعلى هذا يكون المعنى: وقالوا: إنه تعالى جَدُّ ربنا، وقالوا: إنه كان يقول سفيهنا.

فأمَّا مَن فتح، فذكر بعض النحويين، يعني الفرَّاءَ: أنَّه معطوف على الهاء في قوْله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ وبـ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، وكذلك ما

(١) القراءات متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٦، و"الإقناع في القراءات السبع" لأبي جعفر الغرناطي ص٣٨٧، و"العنوان في القراءات السبع" لأبي طاهر السرقسطي ص١٩٨، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٧.

بعـد هـذا، وهـذا رديء في القيـاس، لا يعطـف عـلى الهـاء المتمكنـة المخفوضـة إلا بإظهـار الخافـض. ولكـن وجهـه: أن يكـون محمـولًا عـلى معنـى {آمنـا بـه}، فيكـون المعنـى: وصدقنـا أنَّـه تعـالى جـد ربنـا[١].

وللمفسرين في معنى ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ سبعة أقوال:

أحدها: قدرة ربِّنا، قاله ابن عباس.

والثَّاني: غنى ربِّنا، قاله الحسن.

والثَّالث: جلالُ ربِّنا، قاله مجاهد، وعكرمة.

والرَّابع: عظمة ربِّنا، قاله قتادة.

والخامس: أمر ربِّنا، قاله السدي.

والسَّادس: ارتفاع ذكره وعظمته، قالَه مُقاتِلٌ[٢].

والسَّابع: ملك ربِّنا وثناؤه وسلطانه، قاله أبو عبيدة[٣].

و﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أَنَّه إبليس، قاله مجاهد، وقتادة.

والثَّاني: أَنَّه كفَّارُهم، قاله مُقاتلٌ[٤].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٢٣- ٢٢٤.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٦١.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٢.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٦٢.

والشَّطط: الجور، والكذب، وهو: وصفُه بالشَّريك، والولد.

ثُـمَّ قالـت الجـنُّ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وقـرأ يعقوب: "أن لـن تَقَـوَّلَ" بفتـح القـاف، وتشـديد الـواو[1].

والمعنـى: ظنناهـم صادقـين في قولهـم: لله صاحبـة وولـد، ومـا ظنناهـم يكذبـون حتـى سـمعنا القـرآن.

يقـول الله عـزَّ وجـل: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وذلـك أنَّ الرَّجُـل في الجاهليـة كان إذا سـافر فأمْسـى في قفْـرٍ مـن الأرض قـال: أعـوذ بسـيِّد هـذا الـوادي مـن شرِّ سُـفهاءِ قوْمِـه، فيبيـت في جـوارٍ منهـم حتـى يُصبحَ، ومنـه: حديـث كَـرْدَم بـن أبي السَّـائب الأنصـاريِّ[2]، قـال: خرجْـتُ مـع أَبِي إلى المدينـة في حاجـةٍ، وذلـك أوَّل مـا ذكـر رسُـولُ الله ﷺ بمكَّـة، فآوَانـا المبِيـتُ إلى رَاعِـي غنَـمٍ، فلـمَّا انْتصَـفَ اللَّيـلُ جـاءَ ذئـبٌ، فأخَـذَ حَمَـلًا مِـنَ الغنَـم، فوَثَـبَ [٨٠٤/أ] الرَّاعـي فنَـادى: يـا عامِـرَ الـوَادِي، جَـارَكَ. فنَـادَى مُنَـادٍ لَا نـرَاه: يَـا سِرْحَـانُ!

---

(١) قـراءة عشريـة، ينظـر: "معـاني القـراءات" للأزهـري ٣/ ٩٧، و"المحتسـب" لابـن جنـي، وذكـر أنهـا قـراءة الحسـن والجحـدري ويعقـوب وابـن أبي بكـرة، و"الوجيـز في شرح قـراءات القـرأة الثمانيـة أئمـة الأمصـار الخمسـة" لأبي عـلي الأهـوازي ص٣٦٥.

(٢) قـال البخـاريّ وابـن السّـكن: لـه صحبـة، وقـال ابـن حبّـان: يقـال: لـه صحبـة، ثـم أعـاده في التّابعـين، فقـال: يـروي المراسـيل. وقـال أبـو عمـر: كـردم بـن أبي السـنابل الأنصـاري، ويقـال: الثّقفـيّ، يقـال لـه صحبـة. سـكن المدينـة. ومخـرج حديثـه عـن أهـل الكوفـة. وقـد تعقّبـه ابـن فتحـون بأنـه صحفـه، وأن كل مـن ألـف في الصحابـة قالـوا فيـه ابـن أبي السـائب، قـال: ولا أعلـم لقولـه: ويقـال: الثقفـي، سـلفًا. انظـر: الإصابـة (٥/ ٤٣١-٤٣٢).

أرْسِلْهُ. فإذا بحَمَلٍ[١] يشْتَدُّ حتَّى دخَل [في][٢] الغَنَم لم تُصِبْه كَدْمَةٌ، فأنزَلَ الله تعَالى على رسولِه ﷺ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾... الآية[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ الإنس زادوا الجنَّ رهقًا لِتعوُّذِهم بهم، قالَه مقاتل[٤].

والمعنى: أنهم لما استعاذوا بسادتهم قالت السَّادة: قد سدنا الجن والإنس.

والثَّاني: أنَّ الجن زادوا الإنس رهقًا، ذكره الزَّجَّاج[٥].

قال أبو عبيدة: زادوهم سفهًا وطغيانًا[٦]. وقال ابن قتيبة: زادوهم ضلالًا، وأصل الرهق: العيب، ومنه يقال: فلان يرهق في دينه[٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ يقول الله عز وجل: ظن الجنُّ ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الإنس المشركون أنَّه لا بعث.

---

(١) في (ر)، و(س): الحمل.

(٢) من (ر).

(٣) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ٨/ ٢٩٨، والعقيلي في "الضعفاء" ١/ ١٠، والطبراني في "المعجم الكبير" ١٩/ ١٩١ (٤٣٠)، وأبو الشيخ في "العظمة" ٥/ ١٦٦٤، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٦٤ (١٢٤٨)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" ٢٥/ ٣٣١.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٦٢.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٤.

(٦) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٢.

(٧) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٨٩.

وقالت الجنُّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾؛ أي: أتيناها ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ وهم الملائكة الذين يحرسونها مِن استراق السَّمْع ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع: شهاب، وهو النجم المضيء.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾؛ أي: كنا نستمع، فالآن حين حاولنا الاستماعَ بعد بعْث محمَّدٍ ﷺ، رمينا بالشُّهب. ومعنى ﴿رَّصَدًا﴾: قد أرصد له المرمى به.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بإرسال محمَّدٍ إليهم، فيكذبونه فيهلكون ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وهو أن يؤمنوا فيهتدوا، قاله مقاتل[١].

والثاني: أنه قول كفرة الجنِّ، **والمعنى:** لا ندري أشرٌّ أريد بمَن في الأرض بحدوث الرَّجم بالكواكب، أم صلاح؟ قاله الفرَّاء[٢].

ثم أخبروا عن حالهم، فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وهم المؤمنون المخلصون ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّهم المشركون.

والثَّاني: أنَّهم أهل الشرِّ دون الشرك.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال الفرَّاء: أي: فرقًا مختلفة أهواؤنا[٣]. وقال أبو

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٦٣.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٣.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٣.

عبيدة: واحد الطرائق: طريقة، وواحد القدد: قدة؛ أي: ضروبًا وأجناسًا وملَلًا(١).

قال الحسن، والسُّدي: الجن مثلكم فمنهم قدرية، ومرجئة، ورافضة(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾؛ أي: أيقنَّا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لن نفوته إذا أراد بنا أمرًا ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾؛ أي: أنه يدركنا حيث كنَّا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو القرآن الذي أتى به محمَّدٌ ﷺ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: صدَّقنا أنَّه من عند الله عزَّ وجل.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾؛ أي: نقصًا من الثواب ﴿وَلَا رَهَقًا﴾؛ أي: ولا ظلمًا ومكروهًا يغشاه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ قال مُقاتل: المخلصون لله ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ وهم المرَدَة(٣). قال ابن قتيبة: القاسطون: الجائرون. يقال قسط؛ إذا جار، وأقسط؛ إذا عدل(٤). قال المفسِّرون: هم الكافرون.

---

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٢.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في "العظمة" ٥/ ١٦٨٨ - ١٦٨٩، والثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٥١ عن السدي، وذكره عن الحسن" الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٦٦، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٦١.

(٣) تفسير مقاتل (٤/ ٤٦٤).

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٠.

﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا﴾؛ أي: توخوه، وأمُّوه، ثُمَّ انقطع كلام الجن. قال مقاتل: ثم رجع إلى كفَّار مكَّةَ فقال تعالى:

﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يعني طريقة الهدى[1]، وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسُّدي، واختاره الزَّجَّاج.

قال: لأنَّ الطريقة هاهنا بالألف واللام معرفةٌ، فالأوْجبُ أن تكون طريقة الهدى[2]. وذهب قومٌ إلى أنَّ المراد بها: طريقة الكفر، قاله محمَّد بن كعب، والربيع، والفراء، وابن قتيبة، وابن كيسان[3]. [٨٠٤/ ب]

فعلى القول الأوَّل يكون المعنى: لو آمنوا لوسَّعنا عليهم ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ﴾؛ أي: لنختبرَهُم ﴿فِيهِ﴾ فننظر كيف شكرُهم. والماء الغدق: الكثير. وإنما ذكر الماءَ مثلًا؛ لأنَّ الخير كلَّه يكون بالمطر، فأقيم مقامَه؛ إذ[4] كان سببه.

وعلى الثَّاني يكون المعنى: لوِ استقاموا على الكفر فكانوا كفارًا كلُّهم؛ لأكثرنا لهم المالَ لنفتنهم فيه [عقوبةً][5] واستدراجًا، ثم نعذبهم على ذلك. وقيل: لأكثرنا لهم الماءَ[6] فأغرقناهم؛ كقوم نوح.

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٦٤.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٦.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٣، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٠، وذكرها عن الربيع وابن كيسانَ: الثعلبيُّ في "الكشف والبيان" ١٠/ ٥٣، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٦١، وذكره عن محمد بن كعبٍ: الماورديُّ في "النكت والعيون" ٦/ ١١٦.

(٤) في الأصل: إذا، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) من سائر النسخ.

(٦) في الأصل: آثماً، والمثبت من سائر النسخ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ يعني: القرآنَ ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: "نسلكه" بالنُّون، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بالياء[1].

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: عذابًا شاقًّا؛ يقال: تصعَّدَني الأمر إذا شق عليَّ، ومنه قول عمر: ما تَصعَّدني شيءٌ ما تَصعَّدَتْني خُطبةُ النِّكاحِ[2]. ونرى أصل هذا كله من الصعود؛ لأنَّه شاق، فكني به عن المشقَّات، وجاء في التَّفسير أنَّه جبل في النار يُكلَّف صعوده، وسنذكره عند قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ إن شاء الله تعالى.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ١٨ - ٢٨].

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٦، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٧، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٢- ٣٣٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٩.

(٢) "غريب الحديث" لابن قتيبة ص٤٩١، وقول عمر: أخرجه أبو عبيد في "غريب الحديث" ٤/ ٢٧٨ (٦٤٦)، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث" كما في "تخريج أحاديث الكشاف" للزيلعي ٤/ ١٠٠.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ فيها أربعة أقوال:

أحدها: أنها المساجد التي هي بيوت الصّلوات[1]، قاله ابن عباس.

قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعَهُم أشركوا، فأمر الله عزّ وجلّ المسلمين أن يخلصوا له إذا دخلوا مساجدهم.

والثّاني: أنّ[2] الأعضاء التي يسجد عليها العبد، قاله سعيد بن جبير، وابن الأنباري، وذكره الفراء. فيكون المعنى: لا تسجدوا عليها لغيره.

والثّالث: أنّ المراد بالمساجد هاهُنا: البِقاعُ كلُّها، قاله الحسن. فيكون المعنى: أنّ الأرْضَ كلَّها مواضعُ للسجود، فلا تسجدوا عليها لغير خالقها.

والرّابع: أنّ المساجد: السجود، فإنها جمع مسجد. يقال: سجدت سجودًا، ومَسْجِدًا؛ كما يقال: ضربت في الأرض ضربًا، ومَضْرِبًا، ثم يجمع، فيقال: المسَاجِد، والمضارِب.

قال ابن قتيبة: فعلى هذا يكون واحدها: مَسْجَدًا، بفتح الجيم. والمعنى: أَخْلِصُوا له، ولا تسجدوا لغيره.

ثم رجع إلى ذكر الجنّ فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمّدًا ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾؛ أي: يعبده. وكان يصلي ببطن نخلةَ على ما سبق بيانه في الأحقاف [آية: ٢٩].

---

(١) في (ر): للصلوات.

(٢) ليست في (ر).

﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قرأ الأكثرون: بكسْرِ اللَّام، وفتح الباء. وقرأ هشام عن ابن عامر، وابن محيصن: "لُبَداً" بضمِّ اللام، وفتح الباء مع تخفيفها.

قال الفرَّاء: ومعنى القراءتين واحد. يقال: لِبَدة، ولُبَدة.

قال الزَّجَّاج: والمعنى: كادوا يركب بعضُهم بعضًا. ومنه: اشتقاقُ اللبد الَّذي يفترش. وكلُّ شيءٍ أضفته إلى شيءٍ فقد لَبَّدته.

وقرأ قوْمٌ منهم شيبة(١)، والجحدري: "لُبَّداً" بضمِّ اللام مع تشديد الباء.

قال الفرَّاء: فعلى هذه القراءةِ تكون صفةً للرجال؛ كقولك: رُكَّعًا وركوعًا، وسُجَّدًا وسجودًا. وقال الزَّجَّاج: هو جمع لَابد؛ مثل: راكع، وركَّع.

وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه من إخبار الله تعالى عن الجنِّ يحكي حالهم. **والمعنى**: أنه لما قام يصلي كاد الجنُّ لازدحامهم عليه يركب بعضهم بعضًا، حِرْصًا [٨٠٥/أ] على سماع القرآن، رواه عطيَّةُ عن ابن عباس.

والثَّاني: أنَّه من قول الجن لقومهم لما رجعوا إليهم، فوصفوا لهم طاعة أصحاب رسول الله ﷺ وائتمامهم به في الرُّكوع، والسجود، فكأنهم قالوا: لما قام يصلي كاد أصحابُه يكونون عليه لبدًا، وهذا المعنى في رواية ابن جبير، عن ابن عباس.

والثَّالث: أنَّ المعنى: لما قام رسول الله ﷺ بالدَّعوة تلبدت الإنسُ والجنُّ، وتظاهروا عليه، ليبطلوا الحقَّ الذي جاء به قالَه الحسن، وقتادة، وابن زيد.

---

(١) في (ر)، و(م): الحسن.

قَوْلُه تعَالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ قرأ عاصم، وحمزة: "قل إنما أدعو ربي" بغير ألف. وقرأ الباقون: "قال" على الخبر عنِ النَّبي ﷺ[١].

قال مقاتل: إنَّ كفار مكَّة قالوا للنَّبي ﷺ: إنَّك جئت بأمْرٍ عظيم، لم يُسمعْ بمثْلِه فارْجِع عنه فنزلَت هذه الآية[٢].

قَوْلُه تعَالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾؛ أي: لا أدفعه عنكم ﴿وَلَا﴾ أسوق إليكم ﴿رَشَدًا﴾؛ أي: خيرًا؛ أي: إنَّ الله تعالى يملك ذلك، لا أنا.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾؛ أي: إنْ عصيته لم يمنعني منه أحدٌ، وذلك أنهم قالوا: اتْرك ما تدعو إليه، ونحن نُجيرك. ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ وقد بيَّنَّاه في الكهف [آية: ٢٧].

قَوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان -ذكرَهُما الفرَّاء-:

أحدهما: أنَّه استثناءٌ من قوْلِه تعالى: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إلا أن أبلغكم.

والثَّاني: لن يجيرني من الله أحدٌ إن لم أبلغ رسالتَه[٣]. وبالأوَّل قال ابْنُ السَّائب. وبالثَّاني قال مقاتل[٤].

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٧، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٨، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٢٩.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٦٥.

(٣) "معاني االقرآن" للفراء ٣/ ١٩٥.

(٤) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٦٥.

وقال بعضهم: **المعنى**: لن يجيرني من عذاب الله إلا أن أُبلِّغَ عن الله ما أرسلت به[١] فذلك البلاغ هو الذي يجيرني ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بترك الإيمان والتوحيد.

قوْلُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ يعْنِي: الكفَّارَ ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ مِنَ العذاب في الدنيا، وهو القتل. وفي الآخرة: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾؛ أي: جندًا ونصرًا، أَهُم، أمِ المؤمنون؟

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾؛ أي: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾؛ أي: غايةً وبعدًا. وذلك لأنَّ علم الغيب لله وحدَه ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾؛ أي: فلا يُطلع على غيبه الذي يعلمه أحدًا مِنَ النَّاس. ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾؛ لأنَّ من الدليل على صدق الرسل إخبارَهم بالغيب.

والمعنى: أنَّ مَنِ ارتضاه للرسالة أطْلَعه على ما شاء من غيبه. وفي هذا دليلٌ على أنَّ مَن زعم أنَّ النجوم تدلُّ على الغيب فهو كافرٌ.

ثم ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يُطلع عليه الرسول فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾؛ أي: من بين يدي الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾؛ أي: يجعل له حفظةً من الملائكة يحفظون الوحيَ من أن تسترقَه الشَّياطينُ، فتلقيه [إلى][٢] الكهنة، فيتكلمون به قبل أن يخبرَ به[٣] النبي ﷺ الناس.

(١) ليست في (ر).

(٢) من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ر).



وقال الزَّجَّاج: يسلك من بين يدي الملك ومن خلفه رصدًا[١].

وقيل: يسلك من بين يدي الوحي. فالرصد من الملائكة يدفعون الشَّياطين عن أن تستمعَ ما ينزل من الوحي.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ فيهِ خمسة أقوال:

أحدها: ليعلم محمَّدٌ ﷺ أنَّ جبريل قد بلغ إليه، قاله ابن جبير. [٨٠٥/ب]

والثَّاني: ليعلم محمَّدٌ ﷺ أنَّ الرُّسل قبله ﴿قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وأنَّ الله [قد][٢] حفظها فدفع عنها، قاله قتادة.

والثَّالث: ليعلم مكذبو الرُّسل أنَّ الرُّسل قد بلَّغُوا[٣] رسالات ربهم، قاله مجاهد.

والرَّابع: ليعلم الله عز وجل ذلك موجودًا ظاهرًا يجب به الثواب، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، قاله ابن قتيبة[٤].

والخامس: ليعلم النَّبي ﷺ أنَّ الرُّسلَ قد أَتَتْه، ولم تصلْ إلى غيره، ذكره الزجاج[٥].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٨.

(٢) من (ر).

(٣) في (ر): أبلغوا.

(٤) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص٢٤٤.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٨.

وقَرَأ رويس عن يعقوب: "لِيُعْلَمَ" بضمِّ الياء على ما لم يسمَّ فاعله(١).

وقال ابن قتيبة، ويُقرأ: ["لَتَعْلَم"](٢) بالتَّاء يريد: لتعلم الجنُّ أنَّ الرسل [قد](٣) بلَّغت رسالاتهم(٤) [عن إلههم](٥) بما رجُوا مِنِ استراق السمع(٦).

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾؛ أي: علم الله ما عنْد الرُّسل ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ فلم يفتْهُ شيْءٌ حتى الذَّر والخردل.

---

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٤، ونسبها للزهري وإبراهيم بن أبي عبلة.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) من (ر).

(٤) من الأصل فقط، وليست في سائر النسخ.

(٥) ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٢.



سُورةُ المزمِّل

وهي مكيَّةٌ [كلُّها][(١)] بإجْماعِهِم.

إلا أنَّه قد روي عن ابن عباس أنَّه قال: سوى آيتين منها: قولُه تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والتي بعدها[(٢)].

وقال ابْنُ يَسارٍ، ومُقاتلٌ: فيها آيةٌ مدنيَّةٌ، وهيَ قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾[(٣)].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا (٣) أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا (٧) وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا (٨) رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا (٩) وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا (١٠) وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا (١٢) وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا (١٣) يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا (١٤) إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا (١٥) فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا (١٦) فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا (١٧) ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾ [المزمل: ١ - ١٨].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ١٢٤.

(٣) ذكره البقاعي في "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" ٣/ ١٣٠ عن ابن يسار.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ وقـرأ أُبَيُّ بـن كعـب، وأبـو العاليـة، وأبـو مجلـز، وأبـو عمـران، والأعمـش: "المتزمـل" بإظهـار التـاء(١).

وقرأ عكرمة، وابن يَعمرَ: "المزَمِّلُ" بحذف التاء وتخفيف الزاي(٢).

قـال اللغويـون: "المُزَمِّـل" الملتـفُّ في ثيابـه، وأصلـه: المتزمـل فأدغمـت التـاء في الـزاي. فثقلـت، وكلُّ مَـن التَـفَّ في ثوبـه(٣) فقـد تزَمَّـل.

قال الزَّجَّاج: وإنما أدغمت فيها لقربها منها(٤).

قـال المفسرون: وكان النبـي ﷺ يتزمـل في ثيابـه في أول مـا جـاء جبريـل فرَقًـا منـه حتـى أنِـسَ بـه.

وقـال السُّـدِّيُّ: كان قد تزمـل للنوم(٥). وقـال مُقاتل: خرج مـن البيت وقد لبـس ثيابه فنـاداه جبريـل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾(٦). وقيل: أريد به متزمـل للنّبوة(٧).

---

(١) قـراءة شـاذة، ينظـر: "مختـصر في شـواذ القـرآن" لابـن خالويـه ص١٦٤، و"الكشـاف" للزمخـشري ٤/ ٦٣٤ دون نسـبة لأحـد، و"المحـرر الوجيـز" لابـن عطيـة ٥/ ٢٨٦ ونسـبها لابـن مسـعود وأبي بـن كعـب.

(٢) قـراءة شـاذة أيضًـا، ينظـر: "مختـصر في شـواذ القـرآن" لابـن خالويـه ص١٦٤، و"المحتسـب" لابـن جنـي ٢/ ٣٣٥، و"الكشـف والبيـان" للثعلبـي ١٠/ ٥٩ ونسـبوها لعكرمـة فقـط.

(٣) في (ر): بثوبه.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٣٩.

(٥) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٧١.

(٦) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٥.

(٧) في (ر): النبوة.

قال عكرمة: في معنى [هذه][(١)] الآية: زُمِّلتَ هذا الأمرَ، فقُمْ به[(٢)]. وقيل: إنما لم يخاطب بالنبي والرسول هاهنا؛ لأنه لم يكن بعدُ[(٣)] قد بُلِّغَ، وإنما كان في بدء الوحي.

قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾؛ أي: للصلاة. وكان قيام الليل فرضًا عليه ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ﴾ هذا بدل من الليل، كما تقول: ضربت زيدًا رأسه. فإنما ذكرت زيدًا لتوكيد الكلام؛ لأنه أوكد من قولك: ضربت رأس زيد.

والمعنى: قم من الليل النصف إلا قليلًا، (وهو قوله)[(٤)]: ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾؛ أي: من النِّصف ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على النصف.

قال المفسرون: انقص من النصف إلى الثلث، أو زد عليه إلى الثلثين، فجعل له سعة في مدة قيامه، إذ لم تكن محدودة، فكان يقوم ومعه طائفة من المؤمنين، فشق ذلك عليه وعليهم، فكان الرجل لا يدري كم صلى، وكم بقي من الليل، فكان يقوم الليل كلَّه مخافة أن لا يحفظَ القدرَ الواجب، فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾... الآية.

---

(١) من (ر).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٢٠/ ٢٣٥ (٣٧٧١٤)، وابن نصر كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣١٣، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٦٧٦.

(٣) ليست في (ر).

(٤) ليست في (ر).

هـذا مذهـب جماعـة مـن المفسريـن، وقالـوا: ليـس في القرآن سـورةٌ نسـخ آخرُهـا أوّلها سـوى هذه السـورة.

وذهـب قـوْم إلى أنـه نسـخ قيـام الليـل في حقّـه بقوْلِـه تعَـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ونسـخ في حـق المؤمنـين بالصلـوات الخمس. وقيـل: نسـخ عـن الأمـة، وبقـي فرضُـه عليـه[١] أبـدًا. وقيـل: إنـما كان مفروضًـا عليـه دونهـم.

وفي مدة فرضه قولان: [٨٠٦/أ]

أحدهما: سنة، قال ابن عباس: كان بين أوّل المزمل وآخرها سنةٌ[٢].

والثّاني: ستة عشر شهرًا، حكاه الماوردي[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ قد ذكرنا الترتيل في الفرقان.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا﴾ وهو القرآن.

وفي معنى ثقله ستة أقوال:

أحدهـا: أنـه كان يثقـل عليـه إذا أوحـي إليـه. وهـذا قـول عائشـة قالـت: "ولقـد رأيتـه ينـزل عليـه في اليـوم الشـديد الـبرد. فيفصـم عنـه -[يعنـي:

---

(١) في (ر): وبقي عليه فرضه.

(٢) أخرجـه ابـن أبي شـيبة ١٩/ ٥٧٥ (٣٧٠٩٢)، وعبـد بـن حميـد وابـن أبي حاتـم ومحمـد بـن نـصر كـما في "الـدر المنثـور" ٨/ ٣١٢، والطـبري في "تفسـيره" ٢٣/ ٦٧٨، ٦٨٠، والطـبراني في "المعجـم الكبـير" ١٢/ ١٩٦ (١٢٨٧٧)، والحاكـم في "مسـتدركه" ٢/ ٥٩٤ وصححـه، والبيهقـي في "السـنن الكـبرى" ٢/ ٧٠٤.

(٣) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ١٢٥.

يتخلص عنه][1]- وإن جبينه ليتفصد عرقًا"[2].

والثَّاني: أنَّ العمل به ثقيل في فروضه وأحكامه، قاله الحسن، وقتادة.

والثَّالث: أنه يثقل في الميزان يوم القيامة، قاله ابن زيد.

والرَّابع: أنه المهيب، كما يقال للرجل العاقل: هو رزين راجح، قاله عبد العزيز بن يحيى.

والخامس: [أنَّه][3] ليس بالخفيف ولا السفساف؛ لأنَّه كلام الرب عز وجل، قالَه الفرَّاء[4].

والسَّادس: أنه قول له وزْنٌ في صحَّتِه وثباتِه[5] ونفْعه، كما تقول هذا كلامٌ رصين، وهذا قولٌ له وزن؛ إذا استجدته، ذكره الزَّجَّاج[6].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس: هي قيام اللَّيل بلسان الحبشة[7].

---

(١) من (ر).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢).

(٣) من (ر).

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٧.

(٥) في (ر): وبيانه.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٠.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن نصر وابن المنذر مسعود كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣١٦، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٣/ ٣٠ عن ابن عباس.

وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٥/ ٤٤٩ (٣٠٥٩٢)، وابن أبي حاتم كما في "الدر=

وهل هي في وقت مخصوصٍ مِنَ اللَّيل، أمْ في جميعه؟ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّها في جميع الليل. وروى ابن أبي مليكة، عن ابن عباس أنه قال: الليلُ كلُّه ناشئةٌ[1]. وإلى هذا ذهب اللغويون.

قالَ ابْنُ قتيبة: ناشئة الليل ساعاتُه النَّاشئة؛ من نشأت؛ إذا ابتدأت[2].

وقال الزَّجَّاج: ناشئة الليل ساعاتُ الليل، كلُّ ما نشأ منه؛ أي: كلُّ ما حَدَث[3].

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: كأنَّ **المعنى:** إنَّ صلاة ناشئة الليل، أو عمل ناشئة الليل[4].

والثَّاني: أنها في وقت مخصوصٍ من الليل.

ثم فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنها ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك[5].

=المنثور" ٨/ ٣١٦، والحاكم في "مستدركه" ٢/ ٥٠٥ وصححه عن ابن مسعود.

(١) أخرجه ابن المنذر وابن الضريس كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣١٦.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٣ .

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٠.

(٤) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٥.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٤/ ٢٦٨ (٥٩٧٧)، وابن نصر كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣١٦، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٣/ ٢٠.



والثَّاني: أنها القيام بعد النوم، وهذا قول عائشة رضي الله عنها، وابن الأعرابي. وقد نصَّ عليه أحمد ﷺ في رواية المروذي.

والثَّالث: أنها ما بعد العشاء، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مجلز.

والرَّابع: أنها بدء الليل، قاله عطاء، وعكرمة.

والخامس: أنها القيام من آخر الليل، قاله يمان، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو: "وِطاءً" بكسر الواو مع المد، وهو مصدر واطأت فلانًا على كذا مواطأةً، ووطاءً، وأراد أنَّ القراءة في الليل يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانُه وسمعُه على التَّفهُّم للقرآن والإحكام لتأويلِه، ومنه قولُه تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧].

وقرأ الباقون: "وَطأً" بفتح الواو مع القصر[١]، والمعنى: إنَّه أثقل على المصلي من ساعات النهار، من قول العرب: اشتدت على القوم وطأة السُّلطان: إذا ثقل عليهم ما يلزمهم، ومنه قول النبي ﷺ: "**اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ**"[٢]، ذكر معنى القراءتين ابنُ قُتيبة[٣].

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٨، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ٩٩، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٥، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨٠٤)، ومسلم في "صحيحه" (٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) "تأويل مشكل القرآن" ص٢١٥، "غريب القرآن" ص٤٩٣ لابن قتيبة.

وقرأ ابن محيصن: "أشد وَطاءً" بفتْح الواو، والطَّاء، وبالمد(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾؛ أي: أخلص للقول، وأسمع له؛ لأنَّ الليل تهدأ فيه الأصواتُ فتخلص القراءة، ويفرغ القلبُ لفَهْمِ التِّلاوة، فلا يكون دون سمعه وتفهمِه حائلٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾؛ أي: فراغًا لنوْمِك وراحتك، فاجْعَلْ ناشئةَ الليل لعبادتك، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وعطاء. [٨٠٦/ ب]

وقرأ يحْيى بن يعمر(٢)، وابن مسعود، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: "سبخًا" بالخاء المعجمة(٣).

قال الزَّجَّاج: ومعناها في اللغة صحيحٌ، يُقال: قد سبخت القطن بمعنى: نفشته، ومعنى نفشته: وسعته، فيكون المعنى(٤): إنَّ لك في النهار توسعًا طويلًا(٥).

---

(١) قراءة شاذة، ينظر: "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٤.

(٢) في (ر): علي.

(٣) قراءة شاذة، ينظر: "تفسير الطبري" ٢٣/ ٦٨٧، و"إعراب القرآن" للنحاس ٥/ ٣٩، و"مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه ص١٦٤، و"الهداية إلى بلوغ النهاية" لمكي بن أبي طالب ١٢/ ٧٧٩٤، و"تفسير السمعاني" ٦/ ٧٩، و"معالم التنزيل" للبغوي ٥/ ١٦٩، و"المحرر الوجيز" لابن عطية ٥/ ٣٨٨ كلهم نسبها ليحيى بن يعمر وحده، وزاد ابنُ عطيةَ عليهم نسبتها لعكرمة.

(٤) في الأصل: فيكون في المعنى، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤١.



قَوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾؛ أي: بالنَّهـار أيضًـا ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ قـال مجاهـد: أخلـص لـه إخلاصًـا[1].

وقال ابن قتيبة: انقطع إليه؛ مِن قوْلِك: بتلت الشيء؛ إذا قطعته[2].

وقـال الزَّجَّـاج: انقطـع إليـه في العبـادة، [ومنـه][3] قيـل لمريـم: البتـول؛ لأنَّهـا انقطعـت إلى الله تعـالى في العبـادة. وكذلـك صدقـة بتلـة: منقطعـة مـن مـال المصـدق، والأصـل في مصـدر تبتـل تبتـلًا[4]، وإنـما قوْلُه تعـالى: ﴿تَبْتِيلًا﴾ محمـولٌ عـلى معنـى تبتل.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ﴾ قـرأ ابـن كثـير، ونافـع، وأبـو عمـرو، وحفـص عـن عاصـم: "ربُّ" بالرَّفـع.

وقـرأ ابـن عامـر، وحمـزة، والكسـائي، وأبـو بكـر عـن عاصـم: بالخفـضِ[5][6]، ومـا بعـد هـذا قـد سـبق[7]... إلى قولـه تعـالى ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا

(١) أخرجه الفريابي وعبد بن حميد، وابن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣١٦، والطبري في تفسيره" ٢٣/ ٦٨٨، والبيهقي في "شعب الإيمان" ٩/ ١٧٨.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٤.

(٣) من سائر النسخ.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤١.

(٥) في (ر): بالكسر.

(٦) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٨، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ١٠٠، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٣١.

(٧) سبق في سورة الشعراء، آية: ٢٨.

﴿يَقُولُونَ﴾ مِنَ التكذيب لك والأذى ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ لا جزع فيه.

وهذه الآيةُ [عند المفسرين][(١)] منسوخةٌ بآية السيف.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: لا تهتم بهم فأنا أكفيكهم ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ يعني: التنعم.

وفيمن عني بهذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المطعِمُون ببدرٍ، قاله مقاتل بن حيان[(٢)].

والثاني: أنهم بنو المغيرة بن عبد الله، قاله مقاتل بن سليمان[(٣)].

والثالث: أنهم المستهزئون[(٤)]، وهم صناديد قريش، حكاه الثعلبي[(٥)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ قالت عائشة: فلم يكن إلا اليسير حتى كانت وقعة بدر[(٦)].

وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ هذه الآية منسوخةٌ بآية السيف، وليس بصحيحٍ.

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٦٣، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٦٩.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٦.

(٤) في الأصل: المشهورين، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) "الكشف والبيان" للثعلبي ١٠/ ٦٣.

(٦) أخرجه أبو يعلى في "مسنده" ٨/ ٥٦ (٤٥٧٨)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٦٩٠، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣١٨، والحاكم في "مستدركه" ٥/ ٥٨ وصححه، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٣/ ٩٥.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾؛ (أي: عندنـا في الآخـرة أنـكالًا)[١]؛ وهـي القيـود، واحدهـا: نـكل، وقـد شرحنـا معنـى الجحيـم في البقـرة [آيـة: ١١٩].

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ وهو الذي لا يسوغ في الحلق.

وفيه للمفسرين أربعة أقوال:

أحدهـا: أنـه شـوك يأخـذ بالحلـق[٢] فـلا يدخـل ولا يخـرج، قالـه ابـن عبـاس، وعكرمـة.

والثاني: الزَّقوم، قاله مقاتل[٣].

والثالث: الضَّريع، قاله الزجاج[٤].

والرابع: الزَّقوم والغِسْلِين والضَّرِيع، حكاه الثَّعْلبي[٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ قـال الزَّجَّـاج: هـو منصـوب بقوْلِـه تعـالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾، والمعنـى: ننـكل بالكافريـن ونعذبهـم[٦][٧]. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: تزلـزل، وتحـرك أغلـظ حركـة.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ر): الحلق.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٧.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

(٥) "الكشف والبيان" للثعلبي ١٠/ ٦٣.

(٦) في (ر): ينكل الكافرين ويعذبهم.

(٧) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ قـال مقاتـل: **المعنـى:** وصـارت بعـد الشـدة، والقـوة[١]. ﴿كَثِيبًا﴾ قـال الفـرَّاء: "الكثيـب" الرمـل. و"المهيـل": الـذي تحـرك أسـفله، فينهـال عليكـم مـن أعـلاه، والعـرب تقـول: مهيـل ومهيـول، ومكيـل ومكيول[٢].

وقـال الزَّجَّـاج: الكثيـب جمعـه: كثبـان؛ وهـي القطـع العظـام مـن الرمل. **والمهيـل:** السـائل[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يعْنـي: أهْـلَ مكَّـة ﴿رَسُولًا﴾ يعْنِـي: محمَّـدًا ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بالتَّبليـغ وإيـمان مَـن آمـن، وكفـرِ مَـن كفَـر ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ وهــو موســى عليــه الســلام.

والوبيـل: الشَّـديدُ. قـال ابـن قتيبـة: هـو مـن قولـك: اسـتوبلت المكانَ؛ [إذا اسـتوخمته. ويقـال][٤]: كلأٌ مسـتوبل؛ [أي][٥]: لا يسـتمرأ[٦].

قال الزَّجَّاج: الوبيل: الثقيل الغليظ جدًّا، ومنه قيل للمطر العظيم: وابل[٧].

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٧.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٨.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) من سائر النسخ.

(٦) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٤.

(٧) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

[٨٠٧/أ] قال مقاتل: والمراد بهذا الأخذ الوبيل: الغرق، وهذا تخويف لكفَّار مكَّة أن ينزل بهم العذاب لتكذيبهم، كما نزل بفرعون(١).

قوْلُه تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾؛ أي: عذابَ يومٍ.

وقال الزَّجَّاج: **المعنى**: بأي شيءٍ تتحصنون من عذاب يومٍ مِن هوْلِه يشيب الصغيرُ من غير كِبَرٍ(٢).

وقرأ أُبَيُّ بن كعب، وأبو عمران: "نَجْعَلُ الوِلدانَ" بالنُّون(٣).

قوْلُـه تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ قال الفرَّاء: السَّماء تذكر وتؤنث، وهي هاهنا في وجه التذكير، قال الشاعر [من الوافر]:

فَلَوْ رَفَعَ السَّماءُ إِلَيْهِ قَوْمًا ... لَحِقْنَا بِالسَّماءِ مَعَ السَّحَابِ(٤)

قالَ الزَّجَّاج: وتذكير السَّماء على ضربين:

أحدهما: على أن معنى السماء معنى السقف.

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٧.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٢.

(٣) قراءة شاذة، ذكرها الحافظ عبد الرازق الرسعني في "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز" ص٤٣٠.

(٤) البيت من الوافر، نسبه: أبو عبيدة في "شرح نقائض جرير والفرزدق" ٣/ ١١٠٤، وبيان الحق الغزنوي في "باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن" ٣/ ١٥٧٣ للفرزدق، وهو في "ديوانه" شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ/ علي فاعور ص٣٤، وفيه (الإله) بدل (السماء).

وفي "كتاب فيه لغات القرآن" للفراء ص١٤٧: أنشدني بعض بني تميم. ثم ذكره.

والثاني: على قولهم: امرأة مرضع على جهة النّسب. فالمعنى: السماء ذاتُ انفطارٍ، كما أن المرضعَ ذاتُ الرضاع[١].

وقال ابن قتيبة: ومعنى الآية: السماء منشق به؛ أي: فيه[٢]، يعني في ذلك اليوم.

قوْلُه تعَالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ وذلك أنه وعد بالبعث فهو كائن لا محالة.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ١٩ - ٢٠].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: آيات القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ بالإيمان والطاعة.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾؛ أي: أقل ﴿مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ وقرأ ابن كثير، وأهل الكوفة: بفتح الفاء والثاء، والباقون: بكسرهما[٣].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٣.

(٢) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٤.

(٣) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٨، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ١٠٠، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٦، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٣١.



قوْلُـه تعـالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعنـي: المؤمنـين ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يعلـم مقاديرهمـا فيعلـم القـدر الـذي تقومونـه[1] مـن الليـل.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ وفيه قولان:

أحدهمـا: لـن تطيقـوا قيـام ثلثـي الليـل، ولا ثلـث الليـل، ولا نصـف الليـل، قالـه مقاتـل[2].

والثاني: لن تحفظوا مواقيت الليل، قالَه الفرَّاء.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: عـاد عليكـم بالمغفـرة والتخفيـف ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكـم ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ يعنـي: في الصـلاة مـن غـير أن يوقـت وقتًـا.

وقال الحسن: هو ما يقرأ في صلاة المغرب والعشاء[3].

ثُـمَّ ذكـر أعذارَهـم فقـال تعـالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فـلا يطيقـون قيـامَ الليـل، ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: وهـمُ المسـافرون للتجـارة ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مـن رزْقِـه، فـلا يطيقـون قيـامَ الليـل.

﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وهـم المجاهـدون، فـلا يطيقـون قيـامَ اللَّيـل، {فَاقْـرَءواْ مَـا تَيَسَّرَ مِـنَ ٱلْقُـرْءانِ} وذكـروا أنَّ هـذا نُسـخ عـن المسـلمين بالصَّلـوات الخمـس، فذلـك قوْلُـه تعـالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: الصلـوات

---

(١) في (ر): تقومون به.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٧٨.

(٣) ذكـره الثعلبـي في "الكشـف والبيـان" ١٠/ ٦٥، والواحـدي في "البسـيط" ٢٢/ ٣٨٦، والبغـوي في "معـالم التنزيـل" ٥/ ١٧٠.

الخمس في أوقاتها.

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقد سبق بيانه. قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة في صلة الرَّحم، وقِرى الضيف[(١)].

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾؛ أي: تجدوا ثوابه في الآخرة ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ قالَ أبو عبيدة: **المعنى**: تجدوه خيرًا[(٢)]. قال الزَّجَّاج: ودخلت "هُو" فصلًا[(٣)]. وقال المفسرون: ومعنى "خيرًا"؛ أي: أفضل مما أُعطيتم ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من الذي تؤخرونه إلى وقت الوصية عند الموت.

---

(١) ذكره الواحدي في "البسيط" ٤/ ٣٧٨، و"البسيط" ٢٢/ ٣٨٨، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٧٢.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٤.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٤.



سورة المدّثر

وهي مكيّةٌ بإجماعِهِم.

وقالَ مقاتل: فيها من المدني آيةٌ، وهي قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا
تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى
الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا
(١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا
(١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ
وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا
سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً
وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ
مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ
أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾
[المدثر: ١ - ٣٧].

فأمّا سببُ نُزولِها: فروى البخاري ومسلم في "صحيحيهما" من

حديث جابر بن عبد الله قال: حدَّثَنَا رسُولُ الله ﷺ قال: "جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ [٨٠٧/ب] شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي، نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي، وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ فِي الْهَوَاءِ يَعْنِي: جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَقْبَلْتُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾"[١].

قال المفسرون: فلما رأى جبريل وقع مغشيًّا عليه، فلما أفاق دخل إلى خديجة، ودعا بماء فصبَّه عليه، وقال: "دَثِّرُونِي" فدثروه بقطيفة، فأتاه جبريل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

وقرأ أُبي بن كعب، وأبو عمران، والأعمش: "الْمُتَدَثِّرُ" بإظهار التَّاء[٢]، وقرأ أبو رجاء، وعكرمة، وابن يعمر: "الْمُدَثِّرُ" بحذف التاء، وتخفيف الدال[٣].

قال اللغويون: وأصل "المدثر": المتدثر، فأدغمت التاء، كما ذكرنا في المتزمل، وهذا قول[٤] الجمهور من التدثير بالثياب.

---

(١) "صحيح البخاري (٤٩٢٢)، و"صحيح مسلم" (١٦١).

(٢) قراءة شاذة، ذكرها ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص١٦٤ ولم ينسبها لأحد، والسمين الحلبي في "الدر المصون" ١٠/ ٥٣٣، وابن عادل الدمشقي في "اللباب في علوم الكتاب" ١٩/ ٤٩٠ ونسباها لأُبيٍّ.

(٣) قراءة شاذة، ذكرها ابن خالويه في "مختصر في شواذ القرآن" ص١٦٤، وابن جني في "المحتسب" ٢/ ٣٢٥ لعكرمة.

(٤) في (ر): وهذا في قول.

وقيل: المعنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ بالنبوة، وأثقالها. قال عكرمة: دثرت هذا الأمر فقم به[١].

قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ كفَّارَ مكَّة العذاب إن لم يُوحِّدوا ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أي: عظّمه عما يقول عبدةُ الأوثان.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثمانية أقوال:

أحدُها: لا تلبسها على معصية، ولا على غدرٍ، قال غيلان بن سلمة الثَّقفي [من الطويل]:

وَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ لَا ثَوْبَ فَاجِرٍ لَبِسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ[٢]

رَوى هذا المعنى عكرمةُ عن ابن عباس.

والثَّاني: لا تكن ثيابك من مكسبٍ غير طاهرٍ، روي عن ابن عباسٍ أيضًا.

والثَّالث: طهِّر نفسَك من الذنب، قاله مجاهد، وقتادة، ويشهد له قول عنترة [من الكامل]:

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ[٣]

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٢٠/ ٢٣٥ (٣٧٧١٤)، ومحمد بن نصر المروزي كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣١٣، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٩.

(٢) البيت من الطويل، أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣٢٦، وأبو بكر ابن الأنباري في "إيضاح الوقف والابتداء" ١/ ٦٣ (٩٦)، والطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٩، ١٠ عن ابن عباس أنه ذكره لغيلان بن سلمة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

(٣) البيت من الكامل، وهو في "شرح ديوان عنترة" للخطيب التبريزي ص١٧٤، وفيه=

أي: نفسه، وهذا مذهب ابن قتيبة.

قال: **المعنى**: طَهِّر نفْسَك مِنَ الذُّنوب، فكنى عن الجسم بالثياب؛ لأنها تشتمل عليه[١]، قالت ليلى الأخيلية وذكَرَتْ إِبِلًا [من الطويل]:

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ فَلَا تَرَى ... لَهَا شَبَهًا إِلَّا النَّعَامَ المُنَفَّرَا[٢]

أي: ركبوها، فرموها بأنفسهم. والعرب تقول للعفاف: إزار؛ لأنَّ العفيف كأنَّه استتر لما عفّ.

والرَّابع: وعملَك فأصلح، قالَه الضَّحَّاك.

والخامس: خلقَك فحسن، قاله الحسن والقرظي.

والسَّادس: وثيابَك فقَصِّر وشمِّر، قاله طاووس.

والسَّابع: قلبَك فطَهِّر، قاله سعيد بن جبير، ويشهد له قولُ امرئ القيس [من الطويل]:

=الشطر الأول:

كَمَشْتُ بِالرُّمحِ الطَّويلِ ثِيَابَهُ ....

وذكره أيضًا: ابن قتيبة في "المعاني الكبير" ١/ ٤٨٦، وكراع النمل في "المنتخب من غريب كلام العرب" ص٦٤٨، وابن دريد في "جمهرة اللغة" ١/ ١٣٩، وأبو بكر الأنباري في "الزاهر في معاني كلمات الناس" ١/ ٤٣١.

(١) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٥.

(٢) البيت من الطويل، وهو في "المعاني الكبير" لابن قتيبة ١/ ٤٨٦، و"الصناعتين" لأبي هلال العسكري ص٣٥٣، و"الفائق في غريب الحديث والأثر" ١/ ٤٠، و"أساس البلاغة" ١/ ١١٨ للزمخشري منسوبًا لليلى الأخيلية، وفي "تهذيب اللغة" للأزهري ١٥/ ١١٢ منسوبًا للشماخ.

فَإِنْ يَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ[(١)]

أي: قلبي من قلبك.

والثَّامن: اغسل ثيابَك بالماء، ونَقِّهَا، قاله ابن سيرين، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم، إلا أبا بكر، [ويعقوب][(٢)]، وابن محصين، وابن السميفع: "والرُّجزَ" بضمِّ الرَّاء. وقرأ[(٣)] الباقون: بكسرها[(٤)]. ولم يختلفوا في غير هذا الموضع.

قال الزَّجَّاج: ومعنى القراءتين واحدٌ[(٥)]. وقال أبو علي: قراءة الحسن بالضَّم، وقال: هو اسم صنم[(٦)]. (ووافَقَه قتادة وقال)[(٧)]: صنمان؛ إساف ونائلة[(٨)]. ومَن كسر، فالرجز: العذاب، فالمعنى: ذو العذاب فاهجر.

---

(١) البيت من الطويل، وهو في "ديوان امرئ القيس" اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ص٣٣، وفي "العين" للخليل بن أحمد ٧/ ٢٥٧ شطره الثاني، وذكره ابن عبد ربه في "العقد الفريد" ٦/ ١٩٤، ٢٠٤، وأبو الفرج الأصفهاني في "الأغاني" ٩/ ٨٥.

(٢) من سائر النسخ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٩، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ١٠٢، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٨، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٣٣.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٥.

(٦) "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٨.

(٧) في (ر): وقال قتادة.

(٨) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٣.

وفي معنى "الرجز" للمفسرين ستة أقوال:

أحدها: أنَّه الأصنام، والأوثان، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهري، والسُّدي، وابن زيد. [٨٠٩/أ]

والثَّاني: أنَّه الإثم، روي عن ابن عباس أيضًا.

والثَّالث: الشِّرك قاله ابن جبير، والضَّحَّاك.

والرَّابع: الذنب، قاله الحسن.

والخامس: العذاب، قاله ابن السائب.

قال الزَّجَّاج: الرجز في اللغة: العذابُ. **ومعنى الآية:** اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله(١).

والسَّادس: الشيطان، قاله ابن كيسان.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: لا تعط عطيةً تلتمس بها أفضل منها، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة.

قال المفسرون: معناه: أعط لربِّك وأَرِدْ بِهِ اللهَ، فأدَّبه بأشرف الآداب.

ومعنى ﴿وَلَا تَمۡنُن﴾: لا تعط شيئًا من مالك لتُعطى أكثر منه، وهذا الأدب للنبي ﷺ خاصَّةً، وليس على أحد من أُمَّته إثْمٌ أن يهدي هديةً يرجو بها ثوابًا أكثر منها.

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٥.

والثَّاني: لا تمنن بعملك تستكثره على ربك، قاله الحسن.

والثَّالث: لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد.

والرَّابع: لا تمنن على الناس بالنبوة لتأخذ عليها منهم أجرًا، قاله ابن زيد.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: لأجل ربك.

والثاني: لثواب ربك.

والثالث: لأمر ربك.

والرابع: لوعد ربك.

﴿فَاصْبِرْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: على طاعته وفرائضه.

والثاني: على الأذى والتكذيب.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾؛ أي: نفخ في الصور.

وهل هذه النفخة هي الأولى أو الثانية؟ فيها[1] قولان.

﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾؛ أي: يعسر الأمر فيه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: غير هين ﴿ذَرْنِي﴾ قد شرحناه في المزمل. ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾؛ أي: ومن خلقته.

---

(١) في (ر): فيه.

﴿وَحِيدًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: خلقته وحيدا في بطن أمه لا مال له ولا ولد، قاله مجاهد.

والثَّاني: خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، قاله الزَّجَّاج[١].

قال ابن عباس: جاء الوليد بن المغيرة إلى النَّبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقَّ له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عمّ! إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا فإنك أتيت محمَّدًا تتعرض لما قبله. فقال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا. قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومَك أنَّك منكرٌ له. قال: فماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجلٌ أعلم بالأشعار مني، فوالله ما يشبهها الذي يقول، والله إنَّ لقوله حلاوةً، وإن لقْولهِ[٢] طلاوةً، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما[٣] يعلى. قال: لا يرضى عنك قومُك حتى تقولَ فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه؛ فقال: ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾، يأثره عن غيره. فنزلت: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ الآيات كلّها[٤].

وقال مجاهد: قال الوليد لقريش: إنَّ لي إليكم حاجةً فاجتمعوا في دار الندوة. فقال: إنكم ذوو أحساب وأحلام، وإنَّ العرب يأتونكم، وينطلقون

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٦.

(٢) في (ر)، و(س): عليه.

(٣) في (ر): ولا.

(٤) أخرجه الحاكم في "مستدركه" ٢/ ٥٩٦ وقال: صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. والبيهقي في "دلائل النبوة" ٢/ ١٩٨، وصححه الألباني في "صحيح السيرة النبوية" ص١٥٨.



من عندكم على أمر مختلف، فأجمعوا على شيءٍ واحد. ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: نقول إنه شاعر. فعبس عندها، وقال: قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر. فقالوا: نقول: إنه كاهن. قال: إذن يأتونه فلا يجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة. قالوا: نقول: إنه مجنون. قال: إذن يأتونه فلا يجدونه مجنونًا. فقالوا: نقول: إنه ساحر. قال: وما السحر[1]؟ قالوا: بشرٌ يُحبِّبون بين المتباغضين ويبغضون بين المتحابين. قال: فهو ساحرٌ. فخرجوا لا يلقى أحدٌ منهم النَّبي ﷺ إلا قال: يا ساحر. فاشتدَّ ذلك عليه، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾[2].

وذكر بعض المفسرين: أنَّ قوله تعالى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ منسوخٌ بآية السيف، ولا يصحّ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾ في معنى الممدود ثلاثة أقوال:

أحدها: كثيرًا، قاله أبو عبيدة[3].

والثاني: دائمًا، قاله ابن قتيبة[4].

والثالث: غير منقطع، قاله الزجاج[5].

(١) في (ر): الساحر.

(٢) أخرجه الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٨٣.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٥.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٦.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٦.

وللمفسرين في مقداره أربعة أقوال:

أحدها: غلة شهر بشهر، قاله عمر بن الخطاب.

والثَّاني: ألف دينار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير.

قال الفرَّاء: ونرى أنَّ الممدود جعل غاية للعدد؛ لأنَّ "ألف" غاية للعدد يرجع في أول العدد من الألف[١].

والثالث: أربعة آلاف، قاله قتادة.

والرابع: أنه بستان كان له بالطائف لا ينقطع خيرُه شتاءً و[لا][٢] صيفًا، قاله مقاتل[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾؛ أي: حضروا معه لا يحتاجون إلى التصرف والسفر فيغيبوا عنه.

وفي عددهم أربعة أقوال:

أحدها: عشرة، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: ثلاثة عشر، قاله ابن جبير.

والثالث: اثنا عشر، قاله السُّدي.

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠١.

(٢) من (ر).

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٤.

والرابع: سبعة، قاله مقاتل[١].

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾؛ أي: بسطت له العيش، وطول العمر.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يطمع أن أدخله الجنة، قاله الحسن.

والثَّاني: أن أزيده من المال والولد، قاله مقاتل[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿كَلَّآۖ﴾؛ أي: لا أفعل، فمنعه الله المال والولد حتى مات فقيرًا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾؛ أي: معاندًا.

وفي المراد بالآيات هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه القرآن، قاله ابن جبير.

والثَّاني: الحق، قاله مجاهد.

والثَّالث: رسول الله ﷺ، قاله السُّدي.

قوْلُه تعَالى: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال الزَّجَّاج: سأحمله على مشقّة من العذاب[٣]. وقال غيره: سأكلفه مشقّة من العذاب لا راحة له منها.

---

(١) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٤ وقد ذكر أسماءهم دون أن يذكر عددهم، وهم كما ذكرهم: الوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، - وهو سيف الله أسلم بعد ذلك- وعمارة بن الوليد، وهشام بن الوليد، والعاص بن الوليد، وقيس بن الوليد، وعبد شمس بن الوليد.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٤.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٦.

وقال ابن قتيبة: "الصعود": العقبة الشَّاقة[1]، وكذلك "الكؤود"، وفي حديث أبي سعيد عن نبي الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: "جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُكَلَّفُ أَنْ يَصْعَدَهُ، فَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيْهِ[2] ذَابَتْ، فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ. يَصْعَدُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِي فِيهِ كَذَلِكَ أَبَدًا"[3].

وذكر ابن السائب: أنَّه جبل من صخرةٍ ملساء في النار، يُكلف أن يصعدَها حتى إذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها، ثم يُكلف أن يصعدها، فذلك دأبُه أبدًا، يجذب من أمامه سلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعدها في أربعين سنة[4].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾؛ أي: تفكر ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ القول في نفسه ﴿فَقُتِلَ﴾؛ أي: لعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾؛ أي: لعن على أي حال قدر ما قدر من الكلام. وقيل: "كيف" هاهنا بمعنى التعجب والإنكار والتوبيخ. وإنما كرّر تأكيدًا.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في طلب ما يدفع به القرآن، ويرده: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قال اللغويون: أي: كره وقطب وجهه. يقال: بسر الرجل وجهه؛ أي: قبضه، وأنشدوا لتوبةَ [من الطويل]: [٨١٠/أ]

---

(١) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص٢٤٤.

(٢) في (م): عليها.

(٣) أخرجه هناد كما في "الدر المنثور" ٨/ ٣٣٠، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٨٢ (١٢٥٦)، والبيهقي في "البعث والنشور" (٤٧١، ٤٧٢).

(٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٥٤، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٨٢، و"البسيط" ٢٢/ ٣١٣، ٤٢٤، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٧٥ - ١٧٦.



وَقَـدْ رَابَنِـي مِنْهَـا صُـدُودٌ رَأَيْتُـهُ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُـورُهَا[١]

قـال المفـسرون: كـره وجهـه، ونظـر بكراهيـة شـديدة، كالمهتـم المتفكـر في الـشيء.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عـن الإيـمان ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾؛ أي: تكـبر حـين دعـي إليـه ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾؛ أي: مـا هـذا القـرآن ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾؛ أي: يـروى عـن السـحرة، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾؛ أي: مـن كلام الإنـس، وليـس مـن كلام الله تعالى، فقـال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾؛ أي: سـأدخله النـار. وقـد ذكـر "سـقر" في سـورة القمـر.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ لعظـم شـأنها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾؛ أي: لا تبقـي لهـم لحـمًا إلا أكلتـه، ولا تذرهـم إذا أعيـدوا خلقًـا جديـدًا ﴿لَوَّاحَةٌ﴾؛ أي: مغـيرة، يقـال: لاحتـه الشـمس؛ أي: غيرتـه، وأنشـدوا [مـن الرجـز]:

يَا ابْنَةَ عَمِّي لَاحَنِي الْهَوَاجِرُ[٢]

وقرأ ابن مسعود، وابن السميفع، وابن أبي عبلة: "لواحةً" بالنصب[٣].

---

(١) البيـت مـن الطويـل، وهـو في "الأمـالي في لغـة العـرب" لأبي عـلي القـالي ١/ ٨٨، و"أشـعار النسـاء" للمرزبـاني ص٥٤، ١٣١ منسـوبًا لتوبـة.

(٢) هـذا مـن مشـطور الرجـز، وهـو في "مجـاز القـرآن" لأبي عبيـدة ٢/ ٢٥، ٢٧٥، و"الزاهـر في معـاني كلـمات النـاس" لأبي بكـر الأنبـاري ص٢٦٦ دون نسـبة، وفي "الزاهـر" قبلـه:
تَقولُ ما لاحَكَ يا مُسافِرُ

(٣) قـراءة شـاذة، ذكرهـا ابـن خالويـه في "مختـصر في شـواذ القـرآن" ص١٦٥ وقـال: حكاهـا أبـو معـاذ. وأبـو القاسـم الهـذلي في "الكامـل في القـراءات العشر والأربعـين الزائـدة عليهـا" ص٦٥٣ وزاد نسـبتها للزعفـراني، وأبـو حيـان في "البحـر المحيـط" ١٠/ ٣٣٢، والسـمين الحلبـي في "الـدر المصـون" ١٠/ ٥٤٥ وزادا نسـبتها للعـوفي وزيـد بـن عـلي والحسـن.

وفي البشر قولان:

أحدهما: أنه جمع بشرة، وهي جلدة الإنسان الظاهرة، وهذا قول مجاهد، والفراء، والزجَّاج[١].

والثاني: أنهم الإنس من أهل النار، قاله الأخفش، وابن قتيبة[٢]، في آخرين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ وهم خزانها، مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي يخرج لهبُ النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر، قد نزعت منهم الرحمة.

فلما نزلت هذه الآية قال أبو جهل: يخوفكم محمَّدٌ بتسعة عشر، أمَا لَه مِن الجنود إلا هؤلاء؟ أيعجز كلُّ عشرة منكم أن يبطش بواحدٍ منهم؟ ثم يخرجون من النار.

وقال أبو الأشدين: -قال مقاتل: اسمه: أسيد بن كلدة. وقال غيره: كلدة بن خلف الجمحي-: يا معشر قريش! أنا أمشي بين أيديكم فأرفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر، فندخل الجنة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾[٣] لا آدميين فمَن يُطيقهم ومَن يغلبهم؟

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠٣، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٧.

(٢) ينظر: "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٧، و"معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٥٥٦ عند تفسيرهما هذه الآية ليس فيهما ما ذكره المصنف.

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٧، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٢٨ بنحوه عن=

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ في هذه القلَّة ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾؛ أي: ضلالة ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حتى قالوا ما قالوا: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أنَّ ما جاء به محمدٌ حقٌّ؛ لأنَّ عددهم[1] في التوارة تسعة عشر.

﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾؛ أي: تصديقًا بمحمَّدٍ ﷺ إذ وجدوا ما يخبرهم موافقًا لما في كتابهم.

﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: ولا يشك هؤلاء في عدد الخزنة.

﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه النفاق، ذكره الأكثرون.

والثاني: أنَّه الشَّك، قاله مقاتل[2].

وزعم أنَّهم يهود أهل المدينة، وعنده أنّ هذه الآيةَ مدنيَّةٌ.

والثَّالث: أنه الخلاف، قاله الحسين بن الفضل. وقال: لم يكن بمكَّة نفاق. وهذه مكية[3]. فأمَّا "الكافرون": فهم مشركو العرب.

﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾؛ أي: أي شيء أراد الله؟ ﴿بِهَذَا﴾ الحديث والخبر ﴿مَثَلًا﴾ والمثَلُ يكون بمعنى الحديث نفسه، ومعنى الكلام: يقولون: ما هذا من الحديث ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما أضل من أنكر عدد الخزنة، وهدى من صدق. [٨١٠/ب]

=ابن عباس وقتادة.

(١) في (ر): عدتهم.

(٢) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٨.

(٣) ذكره الواحدي في "البسيط" ٢٢/ ٤٤٠، وابن عطية في "المحرر الوجيز" ٥/ ٣٩٦.

﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ وأنزل في قول أبي جهل أما لمحمَّدٍ من الجنود إلا تسعة عشر: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار. وذلك أن لكلِّ واحدٍ من هؤلاء التسعة عشر من الأعوان ما لا يعلمه إلا الله.

وذكر الماوردي في وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر قولًا محتملًا، فقال: التسعة عشر: عدد يجمع أكثر القليل، وأقل الكثير؛ لأن الآحاد أقلُّ الأعداد، وأكثرها تسعة، وما سوى الآحاد كثير. وأقل الكثير: عشرة، فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقلَّ الكثير، وأكثر القليل[1].

ثم رجع إلى ذكرِ النَّار فقال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾؛ أي: ما النار في الدنيا إلا مذكرة بنار[2] الآخرة ﴿كَلَّا﴾؛ أي: حقًّا.

﴿وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "إِذَا أَدْبَرَ"، وقرأ نافع، وحمزة، وحفص، والفضل عن عاصم، ويعقوب، وخلف[3]: "إِذْ" بسكون الذال من غير ألف بعدها "أَدْبَرَ" بسكون الدال وبهمزة قبلها[4].

وهل معنى القراءتين واحد، أم لا؟ فيه قولان:

---

(١) "النكت والعيون" للماوردي ٦/ ١٤٤.

(٢) في (ر): لنار.

(٣) ليس في (ر).

(٤) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٥٩، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ١٠٣، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٣٨، و"حجة=



أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. يقال: دبر الليل، وأدبر. ودبر الصيف وأدبر، هذا قول الفراء، والأخفش[١]، وثعلب.

والثَّاني: أنَّ "دبر" بمعنى: خلف، "وأدبر" بمعنى: ولى، يُقال: دبرني فلان؛ جاء خلفي، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيدة وابن قتيبة[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذَآ أَسْفَرَ﴾؛ أي: أضاء وتبين ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: سقَر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ قال ابن قتيبة: الكُبَر، جمع كبرى، مثل الأُوَل، والأُولى، والصُّغَر، والصُّغْرى، وهذا كما يُقال: إنها لإحدى العظائم[٣].

قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيءٍ أدهى منها[٤].

وقالَ ابْنُ السَّائب، ومقاتِلٌ: أراد بالكُبَر: دركات جهنَّم السبعة[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ قال الزَّجَّاج: نصب "نذيرًا" على الحال. **والمعنى**: إنها لكبيرة في حالة الإنذار، وذكر "النذير"؛ لأن معناه معنى العذاب. ويجوز أن يكون "نذيرًا" منصوبًا متعلقًا بأوَّل السورة، على

="القراءات" لابن زنجلة ص٧٣٣.

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠٤، و"معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٥٥٥.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٥- ٢٧٦، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٧.

(٣) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٧.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٣٤.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٨- ٤٩٩، وذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٨٥، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٧٨ عنهما.

معنـى: قـم نذيـرًا للبـشر[١].

قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿لِّلْبَشَرِ﴾.

﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ **فيه أربعة أقوال:**

أحدها: أن يتقدم في طاعة الله أو يتأخر عن معصيته، قاله ابن جريج.

والثاني: أن يتقدَّم إلى النَّار، أو يتأخر عن الجنة، قاله السُّدي.

والثالث: أن يتقدم في الخير، أو يتأخر إلى الشَّرِّ، قاله يحيى بن سلام.

والرَّابـع: أن يتقـدَّم في الإيـمان، أو يتأخـر عنـه. **والمعنـى:** أن الإنـذار قـد يحصـل[٢] لـكلِّ أحَـدٍ ممـن أقـرَّ أو كفـر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا
نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ
ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾
بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ
إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ
ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثـر: ٣٨ - ٥٦].

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٤٩.

(٢) في (ر): حصل.



قوْلُه تعَالى: ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ فيهِ ثلَاثة أقْوَالٍ:

أحدها: كل نفس بالغةٍ مرتهنةٌ بعملها لتحاسب عليه.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾: وهم أطفال المسلمين، فإنَّه لا حساب عليهم؛ لأنَّه لا ذنوب لهم، قاله عليٌّ ﷺ، واختاره الفراء[1].

والثَّاني: كلُّ نفسٍ من أهل النَّار مرتهنة في النار، ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون، فإنهم في الجنة، قاله الضَّحَّاك.

والثَّالث: أنَّ[2] كل نفس مرتهنة بعملها لتحاسب عليه ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فإنهم لا يحاسبون، قاله ابن جريج. [٨١١/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال مقاتل: إذا خرج أهلُ التوحيد من النار قال المؤمنون لمن بقي في النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾[3].

قال الفرَّاء: وهذه الآية تقوِّي أنهم الولدان؛ لأنهم لم يعرفوا الذنوبَ فيسألوا[4]: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾؟

قال المفسرون: ﴿سَلَكَكُمْ﴾ بمعنى: أدخلكم. وقال مقاتل: ما حبسكم فيها؟[5].

---

(١) أخرجه الفراء في "معاني القرآن" ٣/ ٢٠٥.

(٢) ليست في (ر)، و(م)

(٣) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٩.

(٤) في (ر)، و(م): فسألوا.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٤٩٩.

﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ لله في دار الدنيا ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾؛ أي: لم نتصدق لله ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ﴾ أهل الباطل والتكذيب ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: بيوم الجزاء والحساب ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ وهو الموت.

يقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ وهذا إنما جرى بعد شفاعة الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنين. وهذا يدلُّ على نفع الشَّفاعة لمن آمن.

﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾ يعني: كفَّارَ قريش حين نفروا من القرآن والتذكير بمواعظه.

والمعنى: لا شيء لهم في الآخرة إذ أعرضوا عن القرآن فلم يؤمنوا به.

ثُم شبَّههم في نفورهم عنه بالحمر؛ فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: بفتح الفاء. والباقون: بكسرها[1].

قال أبو عبيدة، وابن قتيبة: مَن قرَأ بفتح الفاء؛ أراد: مذعورة، استنفرت فنفرت. ومن قرأ بكسر الفاء؛ أراد نافرة[2].

قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: حُمُر مستنفَرة. وناس من العرب يكسرون الفاء. والفتح أكثر في كلام العرب. وقراءتنا بالكسر، أنشدني

---

(١) كلتا القراءتين سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٦٠، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ١٠٤، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٤١، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٣٤.

(٢) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٦، و"غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٨.

الكسائي [من الكامل]:

احْبِسْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ(١)

و"غُرَّب": موضع.

وفي "القسورة" سبعة أقوال:

أحدها: أنَّه الأسد، رواه يوسف بن مهران، عن ابن عباس، وبه قال أبو هريرة، وزيد بن أسلم، وابنه.

قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسدَ هربت منه، فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبيَّ ﷺ هربوا منه(٢). وإلى هذا ذهب أبو عبيدة، والزَّجَّاج(٣).

قال ابن قتيبة: كأنَّه من القسر والقهر، فالأسد يقهر السِّباع(٤).

والثَّاني: أنَّ القسورة، الرماة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو موسى الأشعري، ومجاهد، وقتادة، والضَّحَّاك، ومقاتل، وابن كيسان(٥).

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠٦، والبيت من الكامل، وهو في "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٨، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥٠، و"تفسير الطبري" ٢٤/ ٣٩، و"معجم ديوان الأدب" للفارابي ٢/ ٤٣١ وغيرها دون نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٨٨، و"البسيط" ٢٢/ ٤٦١ والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ١٨٠.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٦، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥٠.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٨.

(٥) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٥٠٠، وأخرجه عن ابن عباس: ابن وهب في التفسير=

والثَّالث: أنَّ القسورة: حبال الصيادين، رواه عكرمة، عن ابن عباس.

والرَّابع: أنهم عصب الرجال، رواه أبو حمزة عن ابن عباس.

واسم أبي حمزة: نصر بن عمران الضبعي.

والخامس: أنه ركز[١] الناس، وهذا في رواية عطاء أيضًا عن ابن عباس.

وركز الناس: حسُّهم وأصواتهم.

والسَّادس: أنه الظلمة والليل، قاله عكرمة.

والسابع: أنه النبل، قاله قتادة.

قوْلُه تعَالَى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ **فيها ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن سرَّك أن نَتَّبِعَك، فليُصبِحْ عند رأس كل رجلٍ منَّا كتابٌ منشورٌ مِنَ الله تعالى إلى فلانِ بن فلان يؤمر فيه باتباعك[٢]. قاله الجمهور. [٨١١/ ب]

والثَّاني: أنهم أرادوا براءة مِن النَّار أن لا يعذبوا بها، قاله أبو صالح.

=من "جامعه" ١/ ١٠، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٣٣٩، والطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٤٠، وأخرجه عن مجاهد: عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٣٣٩، وذكره عن بقيتهم الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٧٨.

(١) في الأصل: ركن، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٤٣ عن قتادة.



والثَّالث: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنب في بني إسرائيل وجده مكتوبًا إذا أصبح في رقعة. فما بالنا لا نرى ذلك؟ فنزلت هذه الآية، قاله الفرَّاء[1].

فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: لا يؤتون الصحف ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾؛ أي: لا يخشون عذابها.

والمعنى: أنهم لو خافوا النَّارَ لَمَا اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالة.

﴿كَلَّآ﴾؛ أي: حقًّا، وقيل: معنى ﴿كَلَّآ﴾: ليس الأمر كما يريدون ويقولون.

﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ الهاء عائدة على القرآن.

فالمعنى: فمن شاء أن يذكر القرآن ويتعظ به ويفهمه، ذكره.

ثم ردَّ المشيئة إلى نفسه؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إلا أن يريدَ لهم الهدى ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: أهل أن يتقى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾؛ أي: أهل أن يغفر لمن تاب.

روى أنسٌ عن رسول الله ﷺ أنَّه تلَا هذه الآيةَ، فقَال: "**قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَلَا يُشْرَكُ بِي غَيْرِي. وَأَنَا أَهْلٌ لِمَنِ اتَّقَى أَنْ يُشْرِكَ بِي [غَيْرِي]**[2] **أَنْ أَغْفِرَ لَهُ**"[3].

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠٦.

(٢) من (ر).

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" ١٩/ ٤٣٠ (١٢٤٤٢)، ٢١/ ١٧٨ (١٣٣٤٩)، والترمذي في=

سورة القيامة

وهي مكيَّة كلُّها بإجماعِهِم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ
(٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ (٥) يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ
ٱلۡبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١)
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ (١٤) وَلَوۡ أَلۡقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ﴾[القيامة: ١ - ١٥].

قوْلُه تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ اتَّفقوا على أنَّ المعنى "أقسم"، واختلفوا في "لَا" فجعلها بعْضُهم زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]، وجعلها بعْضُهم توكيدًا للقسم؛ كقولك: لا والله لا أفعل، وجعلها بعْضُهم ردًّا على منكري البعث. ويدلُّ عليه أنَّه "أقسم" على كون البعث.

قال ابن قتيبة: زيدت "لَا" على نية الرَّد على المكذبين، كما تقول: لا والله ما ذاك. ولو حذفت جاز، ولكنه أبلغ في الرَّدِّ[١].

="سننه" (٣٣٢٨)، وابن ماجه في "سننه" (٤٢٩٩)، والنسائي في "السنن الكبرى" ١٠/ ٣١٧ (١١٥٦٦)، والدارمي في "سننه" ٣/ ١٧٩١ (٢٧٦٦)، وابن أبي عاصم في "السنة" ٢/ ٤٦٩ (٩٦٩)، والثعلبي في "الكشف والبيان" ١٠/ ٨٠. قال الترمذي: هذا حديث غريب. وحسنه الألباني في تحقيقه "السنة" لابن أبي عاصم.

(١) "مشكل تأويل القرآن" لابن قتيبة ص١٥٤.



وقرأ ابن كثير إلا ابن فليح: "لأقسم" بغير ألف بعد اللام، فجعلها[١] لامًا دخلت على "أقسم" وهي قراءة ابن عباس، وأبي عبد الرحمن، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن[٢].

قال الزَّجَّاج: من قرأ "لأقسم" فاللام لامُ القسم والتوكيد[٣]. وهذه القراءة بعيدةٌ في العربية، لأنَّ لامَ القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون، تقول: لأضربن زيدًا. ولا يجوز: لأضرب زيدًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ قال الحسن: أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية[٤]. وقال قتادة: حكمها حكمُ الأولى[٥].

وفي النَّفس اللَّوَّامة ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنها المذمومة، قاله ابن عباس.

فعلى هذا: هي التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللومُ.

---

(١) في (ر)، و(م): فجعلت.

(٢) قراءة سبعية متواترة، ينظر: "السبعة" لابن مجاهد ص٦٦١، و"معاني القراءات" للأزهري ٣/ ١٠٥، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٤٣، و"حجة القراءات" لابن زنجلة ص٧٣٥.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥١.

(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٤٨، وذكره أبو علي الفارسي في "الحجة للقراء السبعة" ٦/ ٣٤٥، وأبو بكر النيسابوري في "المبسوط في القراءات العشر" ص٤٥٣، وابن جني في "المحتسب" ٢/ ٢٤١، والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٩٠، و"البسيط" ٢٢/ ٤٧٤.

(٥) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٤٨، وذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٦/ ١٥١.

والثاني: أنها النفس المؤمنة، قاله الحسن. قال: لا يُرى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال(١).

والثالث: أنها جميع النفوس. قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيرًا. قالت(٢): هلّا زدت. وإن كانت عملت سوءًا قالت(٣): ليتني لم أفعل(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ المراد بالإنسان هاهنا: الكافر.

وقال ابن عباس: يريد أبا جهل(٥).

وقال مقاتل: عدي بن ربيعة، وذلك أنه قال: أيجمع الله هذه العظام؟ فقال له النبي ﷺ: "نَعَمْ"، فاستهزأ منه؛ فنزلت هذه الآية(٦). [٨١٢/أ]

قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، كأنه لتبعثن، لتحاسبن، فدلَّ قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ على الجواب؛ فحذف(٧).

---

(١) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور" ٨/ ٣٤٣، وابن أبي الدنيا في "محاسبة النفس" (٤).

(٢) في (ر): قال.

(٣) في (ر): قال.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠٨.

(٥) ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٣٩١، و"البسيط" ٢٢/ ٤٧٤، و"أسباب النزول" ص٢٩٦.

(٦) "تفسير مقاتل بن سليمان" ٤/ ٥٠٩- ٥١٠.

(٧) "إيضاح الوقف والابتداء" لأبي بكر الأنباري ٢/ ٩٥٧.



قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ وقف حسنٌ، ثم يبتدأ: "قادرين" على معنى: بلى نجمعها قادرين. ويصلح نصبُ "قادرين" على التكرير بلى فليحسبنا قادرين.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا؛ كخف البعير، وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق[1] بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قول الجمهور.

والثاني: نقدر على أن نسوي بنانه كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع كبارها أقدر، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج[2]. وقد بيَّنَّا معنى البنان في الأنفال.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يكذب بما أمامه من البعث والحساب، قاله ابن عباس.

والثاني: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، ويقول: سوف أتوب. قاله سعيد بن جبير.

فعلى هذا: يكون المراد بالإنسان: المسلم. وعلى الأول: الكافر.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: متى هو؟ تكذيبًا به، وهذا هو الكافر.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قرأ أهل المدينة، وأبان عن عاصم: "بَرَقَ" بفتح

---

(١) في (س): الارتقاق.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥١، و"تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص٢٠٦- ٢٠٧.

الــراء، والباقــون: بكسرهــا(١).

قــال الفــرَّاء: العـرب تقـول: بَـرِقَ البَـصَرُ يَـبْرَقُ، وبـرَق يـبرُق، إذا رأى هـولًا يفـزع منـه، و"بـرِق" أكثـر وأجـود، قـال الشـاعر [مـن المتقـارب]:

فَنَفْسَـكَ فَانْـعَ وَلَا تَنْعَنِـي وَدَاوِ الْكُلُـومَ وَلَا تَـبْرَقِ(٢)

بالفتح. يقول: لا تفزع من هول الجراح التي بك.

قـال المفـسرون: يشـخص بـصر الكافـر يـوم القيامـة، فـلا يطـرف لمـا يـرى مـن العجائـب التـي كان يكـذب بهـا في الدنيـا. وقـال مجاهـد: بـرق البـصر عنـد المـوت(٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ قـالَ أبـو عُبيـدَةَ: كَسَـفَ وخسَـفَ بمعنًـى واحـدٍ؛ أي: ذهـب ضـوؤه(٤).

---

(١) كلتـا القراءتـين سـبعية متواتـرة، ينظـر: "السـبعة" لابـن مجاهـد ص٦٦١، و"معاني القـراءات" للأزهـري ٣/ ١٠٦، و"الحجـة للقـراء السـبعة" لأبي عـلي الفـارسي ٦/ ٣٤٥، و"حجـة القـراءات" لابـن زنجلـة ص٧٣٦.

(٢) "معــاني القــرآن" للفــراء ٣/ ٢٠٩، والبيــت مــن المتقــارب، وهــو في: "تهذيــب اللغــة" للأزهــري ٩/ ١١٥، و"الإتبـاع والمزاوجـة" لابــن فــارس ص٦١، و"البسـيط" للواحـدي ٢٢/ ٤٨٣- ٤٨٤ منسـوبًا لطرفـة، وهـو في "ديوانـه" ص٥٧.

(٣) أخرجـه عبـد بـن حميـد وابـن المنـذر كـما في "الـدر المنثـور" للسـيوطي ٨/ ٣٤٥، والطـبري في "تفسـيره" ٢٤/ ٥٦.

(٤) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٧.



قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ إنما قال: جمع؛ لتذكير القمر، هذا قول أبي عبيدة[١].

وقال الفراء: إنما لم يقل: جمعت؛ لأن المعنى: جمع بينهما[٢].

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: جمع بين ذاتيهما. وقال ابن مسعود: جمعا كالبعيرين القرينين[٣].

وقال عطاء بن يسار: يجمعان ثم يقذفان في البحر[٤]. وقيل: يقذفان في النار. وقيل: يجمعان، فيطلعان من المغرب.

والثاني: جمع بينهما في ذهاب نورهما، قاله الفراء والزَّجَّاج[٥].

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ﴾ يعني: المكذب بيوم القيامة ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾.

قرأ الجمهور بفتح الميم، والفاء، وقرأ ابن عباس، ومعاوية، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وعكرمة، والضحاك، والزهري[٦]،

---

(١) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٧.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠٩.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، والفريابي، وعَبد بن حُميد، وَابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والطبراني كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٣/ ٣٨٩.

(٤) أخرجه ابن وهب في التفسير من "الجامع" ١/ ١١٥ (٢٦٤)، والطبري في "تفسيره" ٢٤/ ٥٧، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٣٤٥.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢٠٩، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥٢.

(٦) ليس في (ر).

وابـن يعمـر، وابـن أبي عبلـة: بكـسر الفـاء[١].

قـال الزَّجَّـاج: فمَـن فتـح، **فالمعنـى**: أيـن الفـرار؟ ومَـن كـسر، **فالمعنـى**: أيـن مـكان الفـرار؟ تقـول: جلسـت مجلسًـا بالفتـح، يعنـي: جلوسًـا. فـإذا قلـت: مجلسًـا بالكسر، فأنـت تريـد المـكان[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قـال ابـن قتيبـة: لا ملجـأ. وأصـل الـوزر: الجبـل الـذي يمتنـع[٣] فيـه[٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾؛ أي: المنتهـى والمرجـع.

﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ **فيه ستة أقوال:** [٨١٢/ ب]

أحدهـا: بـما قـدم قبـل موتـه، ومـا سـن مـن شيء فعمـل بـه بعـد موتـه، قالـه ابـن مسـعود، وابـن عبـاس.

والثاني: ينبأ بأول عمله وآخره، قاله مجاهد.

والثالث: بما قدم من الشر وأخر من الخير، قاله عكرمة.

والرابع: بما قدم من فرض وأخر من فرض، قاله الضحاك.

والخامس: بما قدم من معصية وأخر من طاعة.

والسادس: بما قدم من أمواله وما خلف للورثة، قاله زيد بن أسلم.

---

(١) قـراءة شـاذة، ينظـر: "مختـصر في شـواذ القـرآن" لابـن خالويـه ص١٦٦، "الكامـل في القـراءات العـشر والأربعـين الزائـدة عليهـا" لأبي القاسـم الهـذلي ص٦٥٤.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥٢.

(٣) في الأصل: يمنع، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) "غريب القرآن" لابن قتيبة ص٤٩٩- ٥٠٠.



قوْلُه تعَالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ قال الفراء: المعنى بل على الإنسان من نفسه بصيرة؛ أي: رقباء يشهدون عليه بعمله، وهي الجوارح[(١)].

قال ابن قتيبة: فلما كانت جوارحه منه، أقامها مقامه[(٢)].

وقال أبو عبيدة: جاءت الهاء في ﴿بَصِيرَةٌ﴾ في صفة الذكر، كما جاءت في رجل: "راوية" و"طاغية" و"علامة"[(٣)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ **في المعاذير قولان:**

أحدهما: أنه جمع عذر، **فالمعنى:** لو اعتذر، وجادل عن نفسه، فعليه من يكذب عذره، وهي الجوارح، وهذا قول الأكثرين.

والثاني: أن المعاذير جمع معذار، وهو: الستر. والمعاذير: الستور.

فالمعنى: ولو أرخى ستوره، هذا قول الضحاك، والسدي، والزجاج[(٤)]، فيخرج في معنى "ألقى" **قولان:**

أحدهما: قال، ومنه: ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [النحل: ٨٦]، وهذا على القول الأول.

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٢١١.

(٢) "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة ص١٢٢.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٧.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٥/ ٢٥٣، وأخرجه عن السديِّ: الطبريُّ في "تفسيره" ٢٤/ ٦٤، وأخرجه عن الضحاكِ: ابنُ المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٨/ ٣٤٧.

والثاني: أرخى، وهذا على [القول][(١)] الثاني.

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة: ١٦ - ٢٥].

قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴾.

رَوى سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ يُعالِجُ مِنَ التَّنزيلِ شدَّةً، وكانَ يشتَدُّ عليْهِ حفْظه، وكان إذا نزل عليه الوحي يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي؛ مخافة أن لا يحفظه[(٢)]، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٣)].

ومعناها: لا تحرك بالقرآن لسانك لتعجل بأخذه ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: ضمه وجمعه في صدرك[(٤)] ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾؛ أي: جمعناه ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾؛ أي: جمعه. قال المفسرون: يعني: اقرأ إذا فرغ جبريل من قراءته.

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) في الأصل: يحفظ، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) أخرج هذا الأثر البخاري في الجامع الصحيح (٤٩٢٧- ٤٩٢٨- ٤٩٢٩) بمعناه، ومسلم في صحيحه (١٤٧- ١٤٨)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢٦٢٨)، والإمام أحمد في المسند (١/ ٣٤٣)، والترمذي في سننه (٣٣٢٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه (٩٣٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٥٠٠).

قال ابن عباس: ﴿فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾؛ أي: اعمل به[(١)]. وقال قتادة: فاتبع حلاله وحرامه[(٢)].

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: نبينه بلسانك، فتقرؤه كما أقرأك جبريل، وكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه، كما وعده الله، قاله ابن عباس.

والثَّاني: إنَّ علينا أن نجزي به يوم القيامة، بما فيه من وعد ووعيد، قاله الحسن.

والثَّالث: [إنَّ][(٣)] علينا بيانَ ما فيه من الأحكام والحلال والحرام، قاله قتادة.

والرَّابع: علينا أن ننزله قرآنًا عربيًّا فيه بيانٌ للنَّاس، قاله الزجاج[(٤)].

قوْلُه تعَالى: ﴿كَلَّا﴾ قال عطاء: أي: لا يؤمن أبو جهل بالقرآن وبيانه[(٥)].

وقالَ ابْنُ جرير: **المعْنَى**: ليس الأمر كما تقولون من أنَّكم لا تبعثون، ولكن دعاكم إلى قيل ذلك؛ محبَّتُكم للعاجلة[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٩٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٦٩) من طريق معمر، عن قتادة.

(٣) من (ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٣).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٢/ ٥٠٢).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمـرٍو: "بـل يحبـون العاجلـة ويـذرون" باليـاء فيهـما. وقـرأ الباقـون بالتـاء فيهـما[١].

والمـراد: كفـار مكَّـة، يحبونهـا ويعملـون لهـا ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾؛ أي: يتركـون العمـل لهـا إيثـارًا للدنيا عـلى الآخـرة[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾؛ أي: مشرقـة بالنعيـم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ روى عطـاء، عـن ابـن عبـاس قـال: إلى الله ناظـرة[٣]. [٨١٣/أ]

قال الحسن: حق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق[٤]، وهذا مذهب عكرمة.

ورؤيـة الله عـز وجـل حـق لا شـكَّ فيهـا، والأحاديـث فيهـا صحـاحٌ، قـد ذكـرتُ جملـةً منهـا في "المغنـى" و"الحدائـق"[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عابسةٌ مقطبة[٦].

---

(١) قراءتـان سـبعيَّتان، انظـر: انظـر: التيسـير؛ للـداني (ص: ٢١٧)، وتفسـير البغـوي (٤/ ٥١٥)، والنـشر في القـراءات العـشر؛ لابـن الجـزري (٢/ ٣٩٣).

(٢) في (ر): عليها.

(٣) ذكـر ذلـك عنـه الواحـدي في التفسـير البسـيط (٢٢/ ٧٧)، والسـيوطي في الـدر المنثـور (٨/ ٣٥٠) بمعنـاه وعـزاه إلى ابـن مردويـه، وانظـر: شرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة والجماعـة؛ للالكائـي (٣/ ٤٦٣).

(٤) تفسـير الطـبري (٢٤/ ٧٢)، والهدايـة؛ لمكـي (١٢/ ٧٨٧٨)، والكشـف والبيـان؛ للثعلبـي (١٠/ ٨٨)، والتفسـير والوسـيط؛ للواحـدي (٤/ ٣٩٤).

(٥) الحدائق (١/ ٧٥).

(٦) غريب القرآن (ص: ٥٠٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿تَظُنُّ﴾ قال الفرَّاء: أي: تعلم، والفَاقرة: الدَّاهيةُ(١).

قال ابن قتيبة: إنَّه مِن فَقَارةِ الظَّهر، كأنَّها تكسِره، يُقال: فقَرتُ الرَّجل؛ إذا كسرْتَ فَقَارَهُ، كما يقال: رَأَسْتُه؛ إذا ضربْتَ رأَسَه، وبطَنْتُه؛ إذا ضربْتَ بطْنَه(٢). قال ابْنُ زيْدٍ: والفاقِرة: دخولُ النَّار(٣). قال ابْنُ السَّائب: هي أن تُحجبَ عن ربِّها فلَا تنْظر إليْهِ(٤).

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ (٢٨) وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (٣٣) أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ (٣٥) أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣٩) أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٤٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿كَلَّآ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: "كلَّا": ردْعٌ وتَنْبيهٌ، المعْنَى: ارْتَدِعوا عما يؤدِّي إلى العذاب(٥). وقالَ غيْرُه: معْنى "كلَّا" لا يُؤمن الكافِرُ بهذَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ يعني: النفس وهذه كناية عن غير مذكور. و﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾: العظام المكتنفة لنقرة النحر عن يمين وشمال. وواحدة

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٠٠).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٥٧)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٢/ ٥١٣).

(٤) ذكره البغوي مختصرا عنه في معالم التنزيل (٤/ ٤٢٤)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٢/ ٥١٣-٥١٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٤).

التراقـي: ترقـوة، ويكنـى ببلـوغ النفـس التراقـي عـن الإشـفاء عـلى المـوت.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّـه قـول الملائكـة بعضهـم لبعـض: مـن يرقـى روحـه، ملائكـة الرحمـة، أو ملائكـة العـذاب؟ رواه أبـو الجـوزاء عـن ابـن عبـاس، وبـه قـال أبـو العاليـة، ومقاتـل(١).

والثـاني: أنـه قـول أهلـه: هـل مـن راق يرقيـه بالرقـى؟ وهـو مـرويٌّ عـن ابـن عبـاس أيضًـا، وبـه قـال عكرمـة، والضحـاك، وأبـو قلابـة، وقتـادة، وابـن زيـد، وأبـو عبيـدة، وابـن قتيبـة، والزجـاج(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَظَنَّ﴾؛ أي: أيقـن الـذي بلغـت روحـه التراقـي ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ للدنيـا.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ **فيهِ خَمْسةُ أقْوالٍ:**

أحدهـا: أمـر الدنيـا [بأمـر الآخـرة](٣)، رواه الوالبـي عـن ابـن عبـاس، وبـه قـال مقاتـل(٤).

والثَّاني: اجتمع فيه الحياة والموت، قاله الحسن، وعن مجاهد، كالقولين.

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٥١٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٤).

(٣) في الأصل: بالآخرة، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) تفسير مقاتل (٤/ ٥١٣).

والثَّالث: التفت ساقاه في الكفن[١]، قاله سعيد بن المسيب.

والرَّابع: التفت ساقاه عند الموت، قاله الشعبي.

والخامس: الشدة بالشدة، قاله قتادة.

قال الزَّجَّاج: آخِر شدّة الدُّنيا بأوَّل شِدَّة الآخرة[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾؛ أي: إلى الله المنتهى.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ قالَ أبو عُبيدة: "لَا" هاهنا في موضع "لم"[٣].

قال المفسِّرون: هو أبو جهل ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾؛ أي: رجع إليهم يتبختر ويختال.

قال الفرَّاء: "يتمطى"؛ أي: يتبختر؛ لأنَّ الظهر هو المطا، فيلوي ظهره متبخترًا[٤].

وقال ابن قتيبة: أصلُه: يتَمطَّط؛ فقُلبتِ الطَّاءُ فيه ياءً، كما قيل: يتَظَنَّى؛ وأصْلُه يَتَظَنَّن، ومنْهُ الْمِشْيَةُ الْمُطَيْطَاءُ، وأصل الطَّاء في هذا كله دالٌ[٥]، إنَّما هو: مدُّ يده في المشي إذا تبختر؛ يقال: مططْتُ ومدَدْتُ بمعنًى واحد[٦].

(١) في الأصل: بالكفن، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٤).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٨).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢١٢).

(٥) في الأصل ذلك، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) غريب القرآن (ص: ٥٠١).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ قالَ ابنُ قُتيبةَ: هو تهْديدٌ ووعِيدٌ[1].

وقالَ الزَّجَّاج: العرب تقول: أولى لفلان إذا دعت عليه بالمكروه[2].

ومعناه: وليك المكروه يا أبا جهل.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي[3]: أبا جهل.

﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُهمَل فلا يُؤمَر، ولَا يُنهَى ولا يُعاقَب، يُقال: أسْديْتُ الشَّيء؛ أي: أهملته[4].

ثم دلَّ على البعث بقوْله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: "تُمْنَى" بالتاء، وقرأ ابن [٨١٣/ ب] عامر، وحفص عن عاصم، ويعقوب: "يمنى" بالياء. وعن أبي عمرو كالقراءتين[5][6]، وقد شرحنا هذا في النجم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ بعد النطفة ﴿فَخَلَقَ﴾ فيه الروح، وسوى خلقه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾؛ أي: خلق من مائه أولادًا ذكورًا وإناثًا ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل هذا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٥).

(٣) في (ر): يعني.

(٤) غريب القرآن (ص: ٥٠١).

(٥) في الأصل: كالقولين، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ٢٠٤)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٥٧).

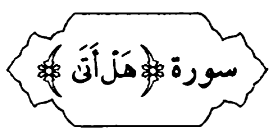


﴿بِقَٰدِرٍ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: "يقدر"[١] ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وهذا تقرير لهم؛ أي: إن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة. قال ابن عباس: إذا قرأ أحدكم هذه الآية، فليقل: اللهم بلى[٢].

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٦٥)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٤٩٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٤٥١) (٤٠٥١)، من طريق معمر، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس.



ويُقال لها: سورة الإنسان.

وفيها ثلاثة أقْوالٍ:

أحدها: أنّها مدنيةٌ كلُّها، قاله الجمهور، ومنهم مجاهدٌ، وقتادة.

والثّاني: مكيَّةٌ، قاله ابْن يسار، ومقاتل، وحُكي عن ابن عباس.

والثالث: أنَّ فيها مكيًّا ومدنيًّا.

ثُمَّ في ذلك قوْلان:

أحدهما: أنَّ المكيَّ منها آيةٌ، وهو قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ وباقيها جميعُه مدنيٌّ، قالَه الحسن وعكرمة.

والثّاني: أنَّ أوّلها مدنيٌّ إلى قوْلِه تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ومن هذه الآية إلى آخرها مكيٌّ، حكاه الماورديُّ(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ١ - ٣].

(١) النكت والعيون (٦/ ١٦١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ قـال الفـرَّاء: معْنَـاه: قـد أتـى، و"هَـلْ" تكـون خـبرًا، وتكـون جحـدًا، فهـذا مـن الخـبر؛ لأنَّـك تقـول: هـل وعظتـك؟ هـل أعطيتـك؟ فتقـرره بأنَّـك قـد فعلـت ذلـك. والجحـدُ أنْ تقُـولَ: وهـلْ يقـدِرُ أحَـدٌ عـلَى مثـل هـذا[1]؟ وهـذا قـوْلُ المفَسِّريـنَ، وأهْـلُ اللغـة.

وفي هذا الإنسان قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه آدمُ عليه السلام.

والحـين الَّـذي أتـى عليـه: أربعـون سـنةً، وكان مصـوَّرًا مـن طـين لم تنفـخ[2] فيـه الـروح، هـذا قـول الجمهـور.

والثَّـاني: أنـه جميـع النَّـاس، روي عـن ابـن عبـاس، وابـن جريـج، فعـلى هـذا يكـون الإنسـانُ اسـم جنـس، ويكـون الحـين زمـان كونـه نطفـةً، وعلقـةً، ومضغـةً.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ المعنـى: أنَّـه كان شـيئًا، غـيرَ أنـه لم يكـن مذكـورًا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعنـي: ولـدَ آدم ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: أي: أخْـلاط، يُقـال: مَشَـجْتُه، فهُـوَ مَشِـيجٌ، يُريـد: اخْتـلاطَ مـاءِ المـرْأَةِ بـماءِ الرَّجُـلِ[3].

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٣).

(٢) في (ر): ينفخ.

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٠٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾.

قـال الفـرَّاءُ: هـذا مقـدَّم، ومعْنَـاه: التَّأْخـير؛ لأنَّ المعْنَـى: خلقنـاه وجعلناه سـمِيعًا بصـيرًا لنبتليه(١).

قال الزَّجَّاج: المعْنَى: جعلْنَاه كذلِك؛ لِنخْتبرَه(٢).

وقولـه تعـالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾؛ أي: بيَّنَّـا لـه سـبيلَ الهُـدى بنصـب الأدلَّـة، وبعْـثِ الرَّسُـول ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾؛ أي: خلقنَـاه إمَّـا شـاكرًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ قـالَ الفـرَّاءُ: معنـاه(٣): بيَّنَّـا لـه(٤) الطَّريـق إنْ شـكر أو كفـر(٥).

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ
مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ
وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ
لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا
يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن
فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا
﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٧).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في الأصل: لك، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) معاني القرآن (٣/ ٢١٤).

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: ٤ - ٣١].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وابْنُ عامِرٍ، وحمزة: "سَلَاسِلَ" بغَيرِ تنْوِينٍ ووقفوا بألفٍ، ووقف أبو عمْرو بألفٍ(١)(٢).

قالَ مكيُّ بْنُ أبي طالِبٍ النَّحويُّ: "سَلاسِلَ" و"قوارير" أصْلُه أن لا ينْصَرفَ، ومَن صرَفَهُ مِنَ القُرَّاءِ، فإنَّها لغةٌ لبعْضِ [العرَب](٣). وقيل: إنَّما صرَفَهُ؛ لأنَّه وقَعَ في المصحف بالألِفِ فصرَفَه لاتّباع خطِّ المصحفِ(٤).

قالَ مُقاتلٌ: السَّلاسل في أعْناقهم، والأغْلال في أيديهم(٥)، وقد [٨١٤/أ]

(١) توجد زيادة في الأصل وليست في سائر النسخ، وهي: بألف من غير تنوين، ووقف بألف، والباقون يصلون بالتنوين، ويقفون بالألف. والزيادة في غير محلها.

(٢) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٦٦٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٥/ ٦٣)، والحجة؛ لابن خالويه (ص: ٣٥٨).

(٣) من سائر النسخ.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٧٩٠٨).

(٥) تفسير مقاتل (٤/ ٥٢٤).

شرحنا معْنى السَّعير في سورة[1] النِّسَاء.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ واحِدُهم: برٌّ، وبارٌّ، وهم الصَّادقون، وقيل: المطيعون.

وقالَ الحسن: هم الَّذين لا يؤذون الذَّرَّ[2].

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾؛ أي: من إناءٍ فيه شرابٌ ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ يعني مزاجَ الكأس كافورًا.

وفيهِ ثلاثة أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الكافورُ المعْروفُ، قالُه مُجاهِدٌ، ومُقاتلٌ[3].

فعلَى هذا في المراد بالكَافور ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدها: برْدُه، قاله الحسن.

والثَّاني: ريحه، قاله قتادة.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٩٠)، من طريق ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا هشام، عن شيخ، عن الحسن، قال: سُئل عن الأبرار، قال: الذين لا يؤذون الذرّ، ومن طريق الفريابي، عن السري بن يحيى، عن الحسن، قال: الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذرّ.
وأخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦) (٤٦٨١) من طريق مسلم بن إبراهيم، ثنا هشام الدستوائي، عن رجل، عن الحسن قال: للأبرار: الذين لا يؤذون الذر. وأبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم من طريق الحميدي، عن سفيان، عن أسلم، عن مطرف، عن الحسن: أنه سئل عن الأبرار: من هم؟ فقال: هم الذين لا يؤذون الذر.

(٣) تفسير مقاتل (٤/ ٥٢٤).

والثَّالث: طعْمُه، قاله السُّدي.

والثَّاني: أنَّه اسم عينٍ في الجنة، قاله عطاء، وابْنُ السَّائب.

والثَّالث: أنَّ المعنى: مزاجُها كالكافور لِطيبِ رِيحِه، أجازَه الفرَّاءُ[١]، والزَّجَّاجُ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿عَيْنًا﴾ قال الفرَّاء: هي المفسرة للكافور[٣].

وقالَ الأخْفشُ: هيَ منْصُوبةٌ على معْنَى: أعْني عيْنًا[٤].

وقال الزَّجَّاج: الأجْودُ أن يكون المعْنَى: مِن عيْنٍ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ **فيهِ ثلَاثةُ أقْوَالٍ**:

أحدُها: يشرب منْهَا.

والثَّاني: يشربُها[٦]، والباءُ صِلةٌ.

والثَّالث: يشْرب بهَا عِبادُ اللهِ الخمر يمزجونها بها.

وفي هذه العين قوْلَانِ.

أحدهما: أنَّها الكافور الذي سبَقَ ذكرُه.

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٨).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢١٥).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٥٥٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٨).

(٦) في الأصل: يشرب، والمثبت من سائر النسخ.

والثَّاني: التَّسنيم.

و﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ هاهنا: أوْلياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ قالَ مُجاهد: يقُودُونَها إلى حيْثُ شاؤُوا مِنَ الجنَّة[١].

قال الفرَّاء: حيْثُما أحبَّ الرَّجُلُ مِن أهل الجنَّة فجَّرها لنفْسِه[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ قال الفرَّاء: فيه إضمارُ "كانوا" يُوفون بالنَّذر[٣].

وفيه قوْلَانِ:

أحدُهما: يُوفون بالنَّذر إذا نذروا في طاعة الله، قالَه مُجاهدٌ، وعِكرمَةُ.

والثَّاني: يُوفون بما فرضَ اللهُ عليهم، قالَه قتادَةُ.

ومعنى "النذر" في اللغة: الإيجاب، **فالمعنى:** يوفون بالواجب عليهم ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاس: فاشيًا[٤].

وقال ابْنُ قُتيبةَ: فاشيًا منتشرًا، يُقال: اسْتَطَار الحريقُ؛ إذا انْتشَر، واستطَارَ الفجْرُ؛ إذَا انْتشَر الضَّوء[٥]. وأنْشدوا للأعشى [من المتقارب]:

(١) ذكر ذلك الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٦٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٩٣).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢١٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٦٦)، وبلا نسبة في بحر العلوم؛ للسمرقندي (٣/ ٥٢٦).

(٥) غريب القرآن (ص: ٥٠٢).



فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي الْفُؤَا ... دِ صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا[١]

وقالَ مُقاتلٌ: كان شرُّه فاشيًا في السَّموات، فانْشقَّت، وتناثرتِ الكواكب، وفزِعتِ الملائكةُ، وكُوِّرتِ الشَّمس والقمر في الأرْض، ونُسفت الجبال، وغارَتِ المياه، وتكسر كلُّ شيء على وجه الأرض من جبلٍ، وبناءٍ، وفشا شرّ يوم القيامة فيها[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ اخْتلَفُوا فيمَن نزَلَتْ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها[٣] نزلَت فِي عليِّ بْنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، أجَّر نفْسَه لِيُسقي نخلًا بشيءٍ من شعير ليلةً حتى أصبح، فلمَّا قبضَ الشَّعير طحن ثلُثَه، وأصلحوا منه شيئًا يأكلُونه، فلمَّا استوى أتى مسكينٌ، فأخرجوه إليه، ثم عمل الثلث الثَّاني، فلما تمَّ أتى يتيم، فأطعموه، ثم عمل الثُّلث الباقي، فلمَّا استوى جاء أسير مِنَ المشركين، فأطْعَمُوه وطووا يومَهم ذلك، فنزلت هذه الآياتُ، رواه عطاء عن ابن عباس[٤].

---

(١) البيت في ديوانه: (ص: ٨٩) برواية: "وقد أورثت" بدلاً من: "أسأرت"، و"يخالط عثَّارها" بدلاً من: "على نأيها مستطيرا"، وتفسير الطبري (١/ ١٠٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٩٦)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٢٧)، والمحرر الوجيز الوجيز؛ لابن عطية (١/ ٥٦).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٥٢٤)، وذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٢٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٩٤).

(٣) ليست في (ر).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٧٠)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٣١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٩٩) لابن مردويه.

والثَّاني: أنَّها نزلت في أبي الدَّحداح الأنصاريِّ صام يومًا، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين، ويتيم، وأسير، فأطعمهم ثلاثَةَ أرغفة، وبقي له [٨١٤/ ب] ولأهله رغيفٌ واحِدٌ، فنزلت فيهم هذه الآية، قاله مقاتل(١).

وفي هاء الكناية في قوْلِه تعَالى: "على حبِّه" قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها(٢) ترجِع إلى الطَّعام، [فكأنهم](٣) كانوا يؤثرون وهم محتاجُون إليه، وهذا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ ومجاهد، والزَّجَّاج(٤)، والجمهور.

والثاني: أنَّها(٥) ترجع إلى الله تعالى، قاله الدَّاراني. وقد سبق معنى "المسكين، واليتيم" [البقرة: ٨٣].

وفي الأسير أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه المسجون من أهل القبلة، قاله مجاهد، وعطاء(٦)، وسعيد بن جبير.

والثَّاني: أنَّه الأسير المشرك، قاله الحسن، وقتادة.

والثَّالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالي(٧).

---

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٥٢٥).

(٢) ليست في (ر)، و(م).

(٣) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٩).

(٥) ليست في (ر).

(٦) في (ر): عطاء، ومجاهد.

(٧) أبو حمزة الثمالي اسمه: ثابت بن أبي صفية، روى عن عكرمة. قيل: سعيد الثمالي الأزدي الكوفي. قال أحمد وابن معين: ليس بشيء. وقال أبو زرعة وأبو حاتم: ليِّن الحديث.=



والرابع: العبد، ذكره الماوردي[١].

فَصْلٌ

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الآية تضمنت مدحَهم على إطعام الأسير المشرك. قال: وهذا منسوخٌ بآية السيف. وليس هذا القول بشيء فإنَّ في إطعام الأسير المشرك ثوابًا، وهذا محمولٌ على صدقة التطوع. فأمَّا الفرض فلا يجوز صرْفُه إلى الكفَّار، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لطلب ثواب الله.

قال مجاهد، وابن جبير: أمَّا إنهم ما تكلموا بهذا، ولكن علِمَه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب[٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾؛ أي: بالفعل ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ بالقول ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾؛ أي: ما في يوم. ﴿عَبُوسًا﴾ قالَ ابنُ قُتيبةَ: أي: تعْبُسُ فيهِ الوجوهُ، فجعلَه مِن صِفَةِ اليوْمِ؛ كقوْلِه تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾

=وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن حبان: كان كثير الوهم في الأخبار حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد مع غلوه في تشيعه. وعده السليماني في قوم من الرافضة. وقال الذهبي: ضعفوه. وقال ابن حجر: ضعيف رافضي من الخامسة. مات في خلافة أبي جعفر المنصور. انظر: تاريخ يحيى بن معين، رواية الدوري (٢/ ٦٩)، والمجروحين؛ لابن حبان (١/ ٢٠٦)، وتهذيب الكمال؛ للمزي (٤/ ٣٥٧)، وميزان الاعتدال؛ للذهبي (١/ ٣٦٣)، وتهذيب التهذيب؛ لابن حجر (٢/ ٧).

(١) النكت والعيون (٦/ ١٦٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ١٩٢).

[إبراهيم: ١٨] أراد: عاصف الريح[١].

فأمَّا "القمطرير": فروى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنَّه الطَّويل[٢].

وروى عنه العوفي أنَّه قال: هو الَّذي يُقبِّضُ فيه الرَّجلُ ما بين عيْنَيْه وجهَه[٣][٤].

فعلى هذا يكون اليوم موصوفًا بما يجري فيه، كما قلنا في "العبوس"؛ لأنَّ اليوم لا يوصف بتقبيض ما بين العينين.

وقال مجاهد[٥]، وقتادة[٦]: "القمطرير" الذي يُقلِّصُ الوجُوهَ، ويُقبِّضُ الجِباهَ، وما بين الأعين[٧] مِن شِدَّته.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٥٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره -كما في الإتقان- (٢/ ٥١) من طريق أبي صالح به، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨/ ٢١٥)، والماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٦٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٩٩) إلى ابن المنذر.

(٣) ليست في (ر).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٠٠) من طريق عطية العوفي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٩٩) إلى ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) أخرجه عبد بن حميد -كما في الدر المنثور؛ للسيوطي- (٦/ ٤٨٥)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ١٠٠)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٩٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨/ ٢١٦).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٧)، وعبد بن حميد -كما في الدر المنثور؛ للسيوطي- (٦/ ٤٨٥)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ١٠٠)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٩٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨/ ٢١٦).

(٧) في (ر): العين.

وقال الفرَّاء: هو الشَّديد، يُقال: يوم قَمْطرِيرٌ، ويومٌ قُماطِر[١]، وأنْشدني بعْضُهم [من الطويل]:

بَنِي عَمِّنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلَاءَنَا عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قُماطِرُ[٢]

وقال أبو عُبيدة: العبُوس، والقَمْطَرِيرُ، والقُماطِر، والعصيبُ، والعصبصب: أشدّ ما يكون من الأيَّام، وأطولُه في البلاء[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ بطاعتهم في الدُّنيا ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾؛ أي: حسنًا وبياضًا في الوجوه ﴿وَسُرُورًا﴾ لا انْقطاعَ له.

وقال الحسن: النّضْرةُ في الوُجُوه، والسُّرور في القلوب[٤] ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على طاعته، وعن معصيته ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ وهو لباس أهل الجنَّة.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ قال الزَّجَّاج: هو منصوب على الحال؛ أي: جزاهم جنةً في حال اتّكائِهم فيها[٥]. وقد شرحنا هذا في الْكَهْفِ.

قوْلُه تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ فيُؤذيهم حرُّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وهو البرد

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٢١٦).

(٢) البيت لعطَّاف بن وبرة العُذري في حماسة البحتري (ص: ٨٦)، والشكوى والعتاب (ص: ١٢٧)، وربيع الأبرار؛ للزمخشري (٣/ ٤٠٢)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٣/ ٢١٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٤٧)، والصحاح؛ للجوهري (٢/ ٧٩٧)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٢٨/ ٢١٧).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٩).

(٤) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا قبل حديث (٣٢٤٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٥٩).

الشَّـديد. والمعنـى: لا يجـدون فيهـا الحـرَّ والـبردَ. [٨١٥/أ]

وحكي عن ثعلَبٍ أنَّه قال: الزمهرير: القمر[١]، وأنشدوا[٢] [من الرجز]:

وَلَيْلَـةٍ ظَلَامُهَـا قَـدِ اعْتَكَـرْ قَطَعْتُهَـا وَالزَّمْهَرِيـرُ مَـا زَهَـرْ[٣]

أي: لم يطلع القمر.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَدَانِيَةً﴾ قـالَ الفـرَّاء: المعنـى: وجزاهـم جنـةً[٤]، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾؛ أي: قريبـةً منهـم ظـلال أشـجارها.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ قـال ابـن عبـاس: إذا هَـمَّ أن يتنـاولَ مـن ثمارهـا تدلَّـت إليـه حتـى يتنـاولَ منهـا[٥] مـا يُريـد[٦].

وقـال غـيره: قربـت إليهـم مذللـةً كيـف شـاؤوا، فهـم يتناولونهـا قيامًـا، وقعـودًا، ومضطجعـين، فهـو كقوْلِـه تعـالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقـة: ٢٣].

فأمَّا "الأكواب": فقد شرحناها في الزخرف: [آية: ٧١].

---

(١) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨/ ٢٢١).

(٢) في (ر)، و(م): وأنشد.

(٣) الرجـز بـلا نسـبة في الكشـف والبيـان (٢٨/ ٢٢١)، والنكـت والعيـون؛ للـماوردي (٦/ ١٦٩)، والكشـاف؛ للزمخشري (٤/ ٦٧٠)، وتفسـير القرطبـي (١٩/ ١٣٨)، والبحـر والمحيـط (١٠/ ٣٥٧).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢١٦).

(٥) ليست في (ر).

(٦) ذكر ذلك عنه الواحديُّ في التفسير البسيط (٢٣/ ٤٠)، والتفسير الوسيط (٤/ ٤٠٣).



قوْلُـه تعَـالى: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾؛ أي: تلـك الأكـواب هـي قواريـر، ولكنهـا مـن فضَّـةٍ. قـال ابـن عبـاس: لـو ضَرَبْـتَ فضَّـةَ الدُّنْيَـا حتَّـى جعَلْتَهَـا مثْـلَ جنَـاح الذُّبَـاب، لم يُـرَ المـاءُ مِـن ورَائِهـا، وقَوارِيـرُ الجنَّـة مِـن فِضَّـةٍ في صفَـاءِ القَـارُورةِ[١].

وقـال الفـرَّاء[٢]، وابْـنُ قُتيبـةَ[٣]: هـذا عـلى التَّشـبيه، المعنـى: كأنَّهـا مـن فضَّـةٍ؛ أي: لهـا بيـاضٌ كبيـاض الفضَّـةِ وصفـاءٌ كصَفـاء القَوَاريـر.

وكان نافـع، والكسـائي، وأبـو بكـر عـن عاصـم يقـرؤون: "قواريـرًا قواريـرًا" فيصلونهـما جميعًـا بالتنويـن، ويقفـون عليهـما بالألـف.

وكان ابن عامر، وحمزة، يصلانهما جميعًا بغير تنوين، ويقفان عليهما بغير ألف.

وكان ابـن كثـير يصـل الأوَّلَ بالتنويـن، ويقـف عليـه بالألـف، ويصـل الثَّـاني بغـير تنويـن، ويقـف بغـير ألـف.

وروى حفـص عـن عاصـم أنَّـه كان يقـرأ: "سلاسـل"، و"قواريـر

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٧٦) (٣٤٣٢) من ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، قال: "إنك لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب، لم تر الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة ببياض الفضة في مثل صفاء القارورة"، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص: ١١٨) من سفيان، عن عكرمة عن ابن عبَّاس، ومن طريقه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨/ ٢٤٠-٢٤١)، والبيهقي في البعث والنشور (ص: ٢٠٢).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢١٧).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٥).

[قواريـر](١)" يصـل الثَّلاثـة بغـير تنويـن ويقـف عـلى الثلاثـة بالألـف.

وكان أبـو عمْـرٍو يقـرأ الأول: "قواريـرا" فيقـف عليـه بالألـف، ويصـل بغـير تنويـن(٢).

قـال الزَّجَّـاج: الاختيـار عنـد النحويـين أن لا تـصرفَ(٣): "قواريـر"؛ لأنَّ كلَّ جمـعٍ يـأتي بعـد ألِفِـه حرْفـانِ لا ينـصرف، ومـن قـرَأَ: "قواريـرا" يـصرف الأوَّل فلأنَّـه رأسُ آيـةٍ، وتـرك صرف الثَّـاني؛ لأنـهَّ ليـس بآخـر آيـة.

ومَـن صرَف الثَّـاني: أتبـع اللَّفـظ اللفـظ؛ لأنَّ العـربَ ربـما قلبـت إعـراب الـشَّيء لتتبـع اللفـظ اللفـظ، كـما قالـوا: جحـر ضـبٍّ خـربٍ، وإنَّـما الخـربُ مـن نعـت الجحـر(٤).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ وقـرأ ابـن عبَّـاس، وأبـو عبـد الرَّحمـن السُّـلمي، وأبـو عمـران، والجحـدري، وابـن يعمـر: "قُدِّروهـا" برفـع القـاف وكـسر الـدال، وتشـديدها، وقـرأ حميـد، وعمـرو بـن دينـار: "قدروهـا" بفتـح القـاف والـدال وتخفيفهـا(٥).

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) انظـر: السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٦٦٣ - ٦٦٤)، والتيسـير؛ للـداني (ص: ٢١٧)، والنـشر في القـراءات العـشر؛ لابـن الجـزري (٢/ ٣٩٥- ٣٩٦).

(٣) في (ر): يصرف.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٠).

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٦٦)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٤٩٦).

ثُمَّ فِي معْنَى الآية قوْلَانِ:

أحدهما: قدروها في أنفسهم، فجاءت على ما قدروا، قاله الحسن.

وقال الزَّجَّاج: جُعل الإناءُ على قدْرِ ما يحتاجون إليْه ويُريدُونَه على تقديرِهِم[١].

والثَّاني: قدروها على مقدارٍ لا يزيد ولا ينقص، قاله مجاهد.

وقال غيره: قدر الكأس على قدر رِيِّهم، لا يزيد عن رِيِّهم فيثقل الكفُّ، ولا ينقص منه فيطلب الزِّيادة، وهذا ألذ الشَّراب.

فعلى هذا القول يكون الضمير في: "قدروا" للسقاة والخدم، وعلى الأوَّل للشَّاربين.

قوْلُه تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾، والعرب تضرب المثل بالزنجبيل، والخمر، ممزوجين، قال المسيّب [بن عَلَس][٢] يصف فَمَ[٣] امْرأةٍ [من الكامل]: [٨١٥/ب]

فَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ بِهِ إِذْ ذُقْتُهُ وَسُلَافَةَ الْخَمْرِ[٤]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٠).

(٢) من (ر)، و(م).

(٣) في (م): ثغر.

(٤) البيت له في الشعر والشعراء (١/ ١٧٣)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٥٠٣)، والكشاف؛ للزمخشري (٤/ ٦٧٢)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٤١٢)، وبلا نسبة في النكت والعيون؛ للماوردي (٦/ ١٧١).

وقَال آخَرُ [من المتقارب]:

كَأَنَّ الْقُرُنْفُلَ وَالزَّنْجَبِيـ ـلَ بَاتَا بِفِيهَا وَأَرْيًا مُشَارا[١]

الأَرْي: العسل. والمشار: المستخرج من بيوت النحل.

قال مجاهد: والزنجبيل: اسم العين التي منها شراب الأبرار[٢].

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: قال: الزَّنْجبيل معرَّبٌ. قال[٣]: وقال الدَّينوري: ينْبتُ في أرْيافِ عُمانَ، وهي عرُوقٌ تَسرِي في الأرض، وليس بشجرةٍ تُؤكل رطبًا، وأجودُ ما يُحمل مِن بلاد الصين[٤].

قال الزَّجَّاج: وجائز أن يكون فيها طعمُ الزَّنجبيل، والكلام فيه كالكلام السَّابق في الكافور[٥].

وقيل: شراب الجنة على برد الكافور، وطعم الزَّنجبيل، وريح المسك.

قوْلُه تعَالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾ قال الزَّجاج: يسقون عينًا[٦].

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه (ص: ١٣٥)، وللأعشى في ديوانه (ص: ٩٣)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (١/ ٤٨٥)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٧٧)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٤٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٠٧)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٧٠)، والقرطبي في تفسيره (١٩/ ١٤٢).

(٣) ليست في (ر).

(٤) المعرب من الكلام الأعجمي (ص: ٢٢٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٠).

(٦) المصدر السابق.

وسلسبيل: اسم العين، إلَّا أنه صرف؛ لأنَّه رأس آية. وهو في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة، فكأن العين وصفت وسميت بصفتها.

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قوله تعالى: ﴿تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ قيل: هو اسمٌ أعْجَمِيٌّ نكرِةٌ، فلذلِك انْصرف. وقيل: هو اسْمٌ معْرفةٌ إلَّا أنَّه أُجْريَ؛ لأنَّه رأسُ آيةٍ[1].

وعن مجاهدٍ، قالَ: حَدِيدة الجِرْيَةِ[2]. وقيل: سلسبيل سلسٌ ماؤُها، مُسْتَقيدٌ[3] لهم.

وقال ابن الأنباري: السلسبيل صفة للماء؛ لسلسه وسهولة مدخله في الحلق، يقال: شراب سلسل، وسلسال، وسلسبيل[4].

وحكى الماوردي: أنَّ عليًّا قال: المعنى: سَلْ سَبيلًا إليْهَا[5]، ولا يصحُّ.

قوْله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ قد سبق بيانه. ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾؛ أي: في بياض اللؤلؤ وحسنه واللؤلؤ، إذا نُثر من الخيط

---

(١) المعرب من الكلام الأعجمي (ص: ٢٣٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٨)، وهناد في الزهد (٩٦) من طريق الثوري به، وأخرجه سعيد بن منصور -كما في الدر المنثور (٦/ ٣٠١)- ومن طريقه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٠٨)، والبيهقي في البعث (٣٢١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٠١) إلى عبد بن حميد وابن المنذر. وحديدة الجرية: شديدة الجريان.

(٣) في الأصل: مستقيل، وفي (م): مستفيد. والمثبت من (ر)، و(س)، والمصادر.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٩٦)، وانظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (٢٣/ ٤٩).

(٥) تفسير النكت والعيون (٦/ ١٧١).

على البساط كان أحسن [منه][١] منظومًا[٢]، وإنما شُبّهوا باللؤلؤ المنثور؛ لانتشارهم في الخدمة، ولو كانوا صفًّا لشبهوه بالمنظوم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ يعني: الجنّة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾؛ أي: عظيمًا واسعًا لا يريدون شيئًا إلا قدروا عليه، ولا يدخل عليهم ملكٌ إلا باستئذانٍ.

قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ قرأ أهل المدينة، وحمزة، والمفضل عن عاصم: بإسكان الياء، وكسر الهاء.

وقرأ الباقون: بفتح الياء[٣]، إلا أنَّ الجعفي، عن أبي بكرٍ قرأ: "عَالِيَتُهُم" بزيادة تاء مضمومةٍ[٤].

وقرأ أنس بن مالك، ومجاهد، وقتادة: "عَلَيْهِم" بفتح اللام وإسكان الياء من غير تاء، ولا ألف[٥].

قال الزَّجَّاج: فأمَّا تفسير إعراب: "عاليهم" بإسْكان اليَاءِ، فيكون رفعُه بالابتداء. ويكون الخبر: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾.

وأمَّا "عاليهم" بفتْحِ الياءِ: فنصبه على الحال مِن شيْئَين: **أحدهما:** من الهاء والميم. **والمعنى:** يطوف على الأبرار ولدانٌ مخلدون عاليًا

---

(١) من سائر النسخ.

(٢) في (م): منظرًا.

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٨)، ورواية المفضل في السبعة (ص: ٦٦٤).

(٤) قراءة شاذة، انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٠/ ٣٦٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٦).

(٥) قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٣٦٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٦).

الأبرارَ(١) ثيابُ سُندسٍ؛ لأنَّه قد وصَفَ أحوالهم في الجنَّة، فيكون المعنى: يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء.

ويجوز أن يكون حالًا من الولدان، المعنى: إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا في حال علوّ الثياب إيَّاهم(٢).

وأمَّا "عَالِيَتُهُم": فقد قرئت بالرفع وبالنصب، وهما وجهان جيدان في العربية، إلا أنهما يخالفان المصحف، فلا أرى القراءة بهما، وتفسيرها كتفسير "عاليهم"(٣). [٨١٦/ أ]

قَوْلُه تعَالى: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو: "خضر" رفعًا، "وإستبرقٍ" خفضًا.

وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم: "خضرٍ" خفضًا، و"إستبرقٌ"، رفعًا، وقرأ نافع، وحفص عن عاصم: "خُضْرٌ وإستبرقٌ" كلاهما بالرَّفع.

وقرأ حمزة، والكسائي: "خضرٍ وإستبرقٍ" كلاهما بالخفض(٤).

قال الزَّجَّاج: من قرأ: "خضرٌ" بالرفع؛ فهو نعت الثياب، ولفظ

---

(١) في (ر): للأبرار.

(٢) ليست في (ر).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦١).

(٤) قراءات سبعية، كما في التيسير (ص: ٢١٨)؛ فنافع وحفص برفعهما، وابن كثير وشعبة بخفض الأول ورفع الثاني، وابن عامر وأبو عمرو برفع الأول وخفض الثاني، وحمزة والكسائي بخفضهما.

الثيـاب لفـظُ الجمـع[١].

ومـن قـرأ: "خـضرٍ"؛ فهـو مـن نعـت السـندس، والسـندس. في المعنـى راجـعٌ إلى الثيـاب.

ومن قرأ: "وإستبرق"؛ فهو نسق على "ثياب" والمعنى: وعليهم إستبرق.

ومـن خفـض؛ عطفـه عـلى السـندس، فيكـون المعنـى: عليهـم ثيـابٌ مـن هذَيـنِ النَّوْعـين، وقـد بيَّنَّـا في الْكَهْفِ معنى السـندس، والإسـتبرق، والأسـاور.

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدهما: أنَّهم[٢] لا يحدثون ولا يبولُون عن شرب خمر الجنة، قاله عطية.

والثاني: لأنَّ خمر الجنة طاهرة، وليست بنجسة كخمر الدنيا، قاله الفراء[٣].

وقـال أبـو قِلابـة: يُؤتـوْنَ بعـد الطَّعـام بالـشَّراب الطَّهُـور، فيَشْرَبُـون فتَضْمُـرُ بذلِـكَ بطُونُهُـم، ويَفِيـضُ مِـن جُلُودِهِـم عَـرقٌ مثْـلُ رِيـحِ المسْـكِ[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعنـي مـا وصـف مـن نعيـم الجنـة ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ بأعمالكـم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾؛ أي: عملكـم في الدُّنيـا بطاعـة الله[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٢).

(٢) ليست في (ر).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢١٩).

(٤) أخرجه ابـن المبـارك (٢/ ٧٧)، وعبـد الـرزاق في تفسـيره (٣/ ٣٧٧) (٣٤٣٦)، والطـبري في تفسـيره (٢٤/ ١١٤)، وذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٤/ ٤٠٥)، والبغـوي في معـالم التنزيـل (٨/ ٢٩٨).

(٥) في (ر)، و(م): بطاعته.



﴿مَشْكُورًا﴾ قال عطاء: يريد شكرتكم عليه، وأثبتكم أفضل الثَّواب[١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾؛ أي: فضلناه في الإنـزال، فلـم ننزلـه جملـةً واحـدة.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وقـد سـبق بيانُـه في مواضـع. والمفـسرون يقولـون: هـذا منسـوخٌ بآيـة السَّـيف، ولا يصـحُّ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾؛ أي: مـن مشركـي أهـل مكَّـة. ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ "أو" بمعنـى: الـواو؛ كقولـه تعـالى: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ [الأنعـام: ١٤٦]، وقـد سـبق بيـانُ[٢] هـذا.

وللمفسرين في المراد بالآثم والكفور ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهما صفتان لأبي جهل.

والثاني: أنَّ الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة.

والثالـث: الآثـم: الوليـد، والكفـور: عتبـة. وذلـك أنهـما قـالَا لـه ارْجـع عـن هـذا الأمـر ونحـن نرضيـك بالمـال والتَّزويـج.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾؛ أي: اذكـره بالتَّوحيد في الصلاة ﴿بُكْرَةً﴾ يعنـي: الفجـر ﴿وَأَصِيلًا﴾ يعنـي: العصر.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٤٠٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٩٨).

(٢) ليست في (ر).

وبعْضُهم يقول: [صلاة][(١)] الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعني: المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وهي صلاة الليل كانت فريضةً عليه، وهي لأمته تطوعٌ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفَّار مكَّة ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾؛ أي: الدارَ العاجلةَ، وهي: الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾؛ أي: أمامَهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾؛ أي: عسيرًا شديدًا، والمعنى: أنَّهم يتركون الإيمانَ به، والعملَ له.

ثم ذكر قدرته، فقال تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾؛ أي: خلقهم، قاله ابْنُ عبَّاسٍ، ومجاهِدٌ، وقتادة، والفراء[(٢)]، وابن قتيبة[(٣)]، والزَّجَّاج[(٤)].

قال ابن قُتيبةَ: يُقال امْرأةٌ حسَنةُ الأسْرِ؛ أي: حسنة الخلْقِ؛ كأنَّها أُسِرت؛ أي: شُدَّتْ، وأصْل هذا من الإسار، وهو: القِدُّ [الَّذي يُشدُّ به الأقْتابُ][(٥)]، [٨١٦/ ب] يُقال: ما أحسَنَ ما أسَرَ قَتَبَهُ؛ أي: ما أحسَنَ ما شَدَّه [بالقِدِّ][(٦)][(٧)].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٢٠).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٠٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٣).

(٥) الزيادة من (ر) فقط.

(٦) من (ر) فقط.

(٧) غريب القرآن (ص: ٥٠٤).



ورُوي عن أبي هريرة قال: مفَاصِلُهم[١]، وعن الحسن قال: أوصالهم بعْضُها إلى بعض بالعروق والعصب[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾؛ أي: إن شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم، فجعلناهم بدلًا منهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ قد شرحنا الآيةَ في المزمل.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ اتِّخاذ[٣] السَّبيل ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلك لكم، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: "وما يشاؤون" بالياء[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ قال المفسرون: الرَّحمة هاهنا: الجنَّةُ. والظَّالمون[٥]: المشركون.

قال أبو عبيدةَ: نصب "الظالمين" بالجوار. المعنى: ولا يُدخل الظالمين في رحمته[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١١٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨/ ٢٦١)، والماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٧٣).

(٢) أخرجه عبد بن حميد -كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٤٩٠)، وذكره والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨/ ٢٦١)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٤٠٦)، والسمعاني في تفسيره (٦/ ١٢٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٢٩٩).

(٣) في (ر): إيجاد.

(٤) قراءة متواترة، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٦٦٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ٢١٨)، وتفسير البغوي (٤/ ٥٢٩).

(٥) في (ر): الظالمين.

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٠).

وقال الزَّجَّاج: إنما نصب الظَّالمين، لأنَّ قبله منصوبًا. **المعنى**: يُدخل من يشاء في رحمته، ويُعذب الظالمين[١]. ويكون قولُه تعالى: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيرًا لهذا المضمر.

وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة: "والظالمون" رفعًا[٢].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٤).

(٢) قراءة شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٣٤٤)، وشواذ ابن خالويه (ص: ١٦٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٢).

سورة المرسلات

مكيَّةٌ كلُّها في قوْلِ الجمهور(١).

وحُكي عن ابْنِ عبَّاسٍ، وقتادة، ومقاتل(٢)، أنَّ فيها آيةً مدنيَّةً، وهي قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾
فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ
فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ
أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ
فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ

---

(١) في قول جمهور المفسرين من السلف: كابن عباس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر. أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣/ ١٣٢)، وابن مردويه -كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٦/ ٤٩١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢- ١٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: نزلت سورة المرسلات بمكة. وحكي عن ابن عباس، وقتادة، ومقاتل أن فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ على قول من قال: إنها حكاية عن حال المنافقين في القيامة، وإنها بمعنى قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾. انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٤١٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٥١)، مصاعد النظر؛ للبقاعي (٣/ ١٤٦).

(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٥٤١).

ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ١ - ٥٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الرِّياح يتبَع بعْضُها بعضًا، رواه أبو العُبيدين[1]، عن ابن مسعود[2]، والعوفي، عن ابن عباس[3]، وبه قال مجاهد، وقتادة.

(١) في حاشية الأصل بنفس خط الناسخ: واسمه: معاوية بن ميسرة النميري. وهذا خطأ فأبو العبيدين: هو معاوية بن سبرة السوائي، أبو العُبَيْدَين الكوفيُّ الأعمى، يروي عن: ابن مسعود، وعنه: سلمة بن كُهيل، وأبو إسحاق، ومسلم البَطِينُ، وثَّقه ابن معين، وهو مُقلٌّ، تُوفِّي سنة ثمانٍ وتسعين، وله في الأدب المفرد للبخاري. انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٢/ ١١٧٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢٢) من طريق المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العُبيدين أنَّه سأل ابن مسعود، فقال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح. وذكره النحاس في إعراب القرآن (٥/ ١١١)، والماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٧٥)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٧١)، والسمعاني في تفسيره (٦/ ١٢٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عبَّاس، قوله:=



والثَّاني: أنها الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمْر الله ونهيه، رواه مسروقٌ عن ابن مسعود[١]، وبه قال أبو هريرة[٢] ومقاتل[٣]، وقال الفرَّاء: هي الملائكة[٤].

فأمَّا قوْلُه تعَالى: ﴿عُرْفًا﴾ فيقال: أرسلت بالمعروف، ويُقال: تتابعت كعرف الفرس. والعرب تقول: يركب[٥] النَّاسُ إلى فلانٍ عرفًا واحدًا؛ إذا توجهوا إليه فأكثروا.

قال ابن قتيبة: يُريد أنَّ الملائِكَةَ متتابعَةٌ بما تُرسل بهِ، وأصْلُه: من عُرف الفرس؛ لأنَّه سَطْرٌ مُستوٍ بعْضه في إثْر بعض، فاسْتعير للقوْمِ يتبع بعْضُهم بعضًا[٦].

=﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ يعني: الريح.

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٢٤) من طريق شعبة، عن سليمان، قال: سمعت أبا الضحى، عن مسروق، عن عبد الله في قوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الملائكة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٠٣) إلى ابن جرير.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٥٥) من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾، قال: قَالَ: "هِيَ الْمَلَائِكَةُ أُرْسِلَتْ بِالْمَعْرُوفِ"، قال أبو عبد الله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه. وذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٧٥)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ٧٢).

(٣) تفسير مقاتل (٤/ ٥٤٣).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢٢١).

(٥) في الأصل: تركت، والمثبت من سائر النسخ.

(٦) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٦).

والثَّالث: أنَّهم الرُّسلُ بما يُعرفون به من المعجزات، وهذا معنى قولِ أبي صالح، ذكرَهُ الزَّجَّاج[١].

والرَّابع: الملائكة والريح، قاله أبو عبيدة. قال: ومعنى ﴿عُرْفًا﴾: يتبع بعضها بعضًا، يُقال: جاءُوني "عرفًا"[٢].

وفي ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الرِّياح الشَّدِيدة الهبوب، قاله الجمهور.

والثَّاني: الملائكة، قالَه مُسلم بْن صُبيح. قال الزَّجَّاج: تعْصِفُ بِرُوح الكافر[٣].

وفي ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ خمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها الرِّياح تنشر السَّحاب، قالَه ابْنُ مسْعودٍ، والجمهور.

والثاني: الملائكة تنشر الكتب، قاله أبو صالح.

والثَّالث: الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد، قالَه الضَّحَّاك.

والرابع: البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح، قاله الربيع.

والخامس: المطر ينشر النَّباتَ، حكاه الماوردي[٤].

---

(١)) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٥).

(٢)) مجاز القرآن (٢/ ٢٨١).

(٣)) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٥).

(٤)) النكت والعيون (٦/ ١٧٦).

وفي ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ﴾ أربعةُ أقوال:

أحدها: أنَّها[1] الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، قاله الأكثرون.

والثَّاني: آي القرآن فرقت بين الحلال والحرام، قاله الحسن، وقتادة، وابن كيسان.

[٨١٧/أ] والثَّالث: الرِّيح تفرق بين السحاب فتُبدِّده، قاله مجاهد.

والرَّابع: الرسل، حكاه الزَّجَّاج[2].

وفي ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ قوْلانِ:

أحدهما: الملائكة تُلْقي ما حملَتْ مِنَ الوحْي إلى الأنْبياء، وهذا مذْهَب ابنِ عبَّاس[3]، وقتادة، والجمهور.

والثاني: الرُّسل يُلقون مَا أُنزل عليهم إلى الأُمَم، قاله قُطربٌ[4].

قوْلُه تعالى: ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿عُذۡرًا﴾ خفيفًا، "أَوْ نُذُرًا" مثقلًا.

وقرأ أبو عمْرٍو، وحمزة، والكِسائِيُّ، وحفْصٌ، وخلَفٌ: "عُذْرًا أَوْ نُذْرًا" خَفِيفتانِ[5].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٥).

(٣) عزاه الماوردي إلى الكلبي في النكت والعيون (٦/ ١٧٧).

(٤) ذكر ذلك عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٧٧)، والقرطبي في تفسيره (١٩/ ١٥٦).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٨).

قَالَ الفَـرَّاء: وهـو مصْـدرٌ، مثقـلًا كانَ أو مخففًـا، ونصْبـه عـلى معنـى: أرسـلت بـها أرسـلت بـه إعـذارًا مـنَ الله وإنـذارًا(١).

وقَـال الزَّجَّـاج: المعنـى: فالملقيـات عُـذرًا أو نـذْرًا. ويجـوز أن يكـون المعنـى: فالملقيـات ذكْـرًا للإعْـذار والإنْـذَار. وهـذه المذْكُـورات مجـرُورات: بالقَسَـم. وجَـوابُ القسـم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾(٢).

قَـال المفَسِّرون: إن مـا تُوعـدون بـه مـن أمْـر السـاعة، والبعـث، والجـزاء ﴿لَوَاقِعٌ﴾؛ أي: لكائـن.

ثـم ذكـر متـى يقـع؟ فقـال تعـالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾؛ أي: مُحي نورهـا ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾؛ أي: شقت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾.

قـال الزَّجَّـاج: أي: ذهـب بهـا كلهـا بسرعـة. يُقـال: انْتسـفت الشَّيءَ؛ إذا أخذتـه بسرعـة(٣).

قوْلـه تعَـالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ قـرأ أبـو عمْـرو: {وُقِّتَـتْ} بـواوٍ مـع تشْـديدِ القـاف. ووَافقَـه أبـو جعفـر، إلَّا أنَّـه خفَّـف القـاف. وقـرأ الباقـون: "أُقِّتَـتْ" بألِـفٍ مـكان الـوَاو مـعَ تشْـديدِ القَـاف(٤).

قـال الزَّجَّـاج: وُقِّتـت وأُقِّتَـت بمعْنـى واحـد، فمَـن قـرأ: "أُقِّتَـتْ" بالهمـز فإنَّـه أبـدل الهمـزةَ مـن الـواو؛ لانْضِـمام الـواو، وكُلُّ واوٍ انْضمـت، وكانـت

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٢٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٦٦)، وانظر: أيضًا تفسير الثعلبي (١٠/ ١٠٩).

ضمَّتُها لازمةً؛ جاز أنْ تُبدلَ منهَا همزة[١].

وقال الفرَّاء: الواوُ إذا كانت أوَّل حرْفٍ، وضُمَّت هُمزَتْ، تقُول: صَلَّى القوْمُ أُحْدَانًا، وهذِه أُجُوهٌ[٢] حِسانٌ. ومعنى "أُقِّتت": جمعت لوقتها يوم القيامة[٣].

وقال ابن قتيبة: جُمعت لوقتٍ، وهو يوم القيامة[٤]. وقال الزَّجَّاج: جُعل لها وقتٌ واحد لفصْل القضاء بين الأمة[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾؛ أي: أُخِّرت وضُرب الأجل لجمْعِهم، يعْجبُ العبادُ مِن هوْل ذلك اليوم، ثم بيَّنه فقال تعالى: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ وهو يومٌ يفصل اللهُ تعالى فيه بين الخلائق.

ثم عظَّم ذلك اليومَ بقوْلِه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث. ثم أخبر الله تعالى عمَّا فعل بالأمم المكذبة، فقال: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: بالعذاب في الدُّنيا حين كذَّبوا رسلَهم.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ والقُرَّاء على رفْع العين في: "نتبعهم"[٦]، وقد

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٦).

(٢) أي: بالهمز؛ مبدلة من: وجوه.

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٢٣).

(٤) غريب القرآن (ص: ٥٠٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٧).

(٦) انظر: السبعة (ص: ٦٦٦).

قرأ قومٌ منهم أبو حيوة: بإسكان العين(١).

قال الفرَّاء: "نُتْبِعُهُم" مرْفُوعة؛ ويدلُّ على ذلك قراءةُ ابْنِ مسْعُودٍ: "وسَنتبعهم الآخرين"(٢) ولو جزَمْت علَى معْنى: ألم نقدرْ على إهْلاك الأولين وإتباعهم الآخرين؛ كانَ وجهًا جيدًا(٣).

وقال الزَّجَّاج: الجزْمُ عطْفٌ على "نُهْلِك"، ويكون المعنى: لمن أهلك أولًا وآخرًا. والرفع على معنى: ثُم نُتبع الأوَّل الآخر من كُلِّ مجرمٍ(٤).

وقال مُقاتل: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ يعني: كُفَّار مكَّةَ حين كذَّبوا [٨١٧/ب] بالنَّبيِّ ﷺ(٥).

وقال ابن جرير: الأوَّلون، قوم نوح، وعاد، وثمود، والآخرون: قوم إبراهيم، ولوط، ومدين(٦).

قوْلُه تعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعْنِي: المكذِّبين.

---

(١) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٤٥).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ١٦٧)، والمحتسب (٢/ ٣٤٦)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٨).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٢٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٧)، وعبارته في المعاني هكذا: بالجزم عطف على نهلك، ويكون المعنى: أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ؛ أي: أولًا وَآخِراً. ومن رفع فعلى معنى ثم نُتبع الأول الآخر من كل مجرم.

(٥) تفسير مقاتل (٤/ ٥٤٤).

(٦) تفسير الطبري (٢٤/ ١٣١).



فإن قيل: مَا الفائدةُ في تكْرار قوْلِه تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؟.

فالجواب: أنه أراد بكلِّ آية منها غير ما أراد بالأخرى؛ لأنَّه كلما ذكر شيئًا، قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذا.

قوْلُه تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾ قرأ قالون عن نافع: بإظهار القاف. وقرأ الباقون: بإدغامها[١].

قوْلُه تعالى: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾؛ أي: ضعيف ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: الرَّحم إلى ﴿قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: وهو مدة الحمل ﴿فَقَدَرْنَا﴾ قرأ أهل المدينة، والكسائي: "فقدَّرنا" بالتَّشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف[٢].

وهل بينهما فرْقٌ؟ فيه قوْلَانِ:

أحدهما: أنهما لُغتانِ بمعنى واحد.

قال الفرَّاء: تقول العَربُ: قدِّر علَيْه، وقُدِر علَيْه، وقد احْتجَّ مَن قرَأَ بالتَّخفيف، فقال: لو كانت مشدَّدةً؛ لقال: فنِعْم المقدّرون، فأجابَ الفرَّاءُ، فقال: قد تجمع العرب بين اللُّغتين[٣]؛ كقوْلِه تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق:١٧]، قال الشَّاعر [من البسيط]:

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ ... مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا[٤]

---

(١) انظر: الإتحاف (ص: ٣١).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٨).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٢٣).

(٤) البيت للأعشى في لغات القراء (ص: ٧٥)، ومعاني القرآن (٣/ ٢٢٤) كلاهما للفراء،=

يقول: ما أنكرت إلا ما يكون في الناس.

والثاني: [أنَّ][١] المخففة من القدرة والملك، والمشددة من التقدير والقضاء.

ثم بيَّن لهم صنعَه ليعتبروا فيُوحِّدوه؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ قال اللُّغويون: الكفت في اللغة: الضم، **والمعنى:** أنها تضم أهلها أحياءً على ظهرها، وأمواتًا في بطنها.

قالَ ابْنُ قتيبة: يُقال: اكْفِتْ هذا إليْكَ؛ أي: ضُمَّه، وكانوا يُسمّون بقيعَ الغرْقَد: كفْتَةً؛ لأنَّه مَقبرةٌ يضمُّ الموْتَى[٢].

وفي قوْلِه تعالى: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ **قوْلانِ:**

أحدُهما: أنَّ المعنى: تكفتهم أحياءً وأمواتًا، قاله الجمهور.

قال الفرَّاء: وانتصب الأحياء والأمْوات بوقُوع الكفات عليْهم، كأنَّك قلت: ألم نجعَلِ الأرْضَ كفاتَ أحياء وأموات، فإذا نونت نصب؛ كما يقرأ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤-١٥][٣].

وقال الأخْفشُ: انتصب على الحال[٤].

=ومجاز القرآن (١/ ٢٩٣)، وتفسير الطبري (١٥/ ٣٨٨)، وإعراب القرآن (٢/ ١٧٦)، والأغاني (٣/ ١٠١)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٠٩)، والخصائص؛ لابن جني (٣/ ٣١٣).

(١) من (ر)، و(م).

(٢) غريب القرآن (ص: ٥٠٦).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٢٤).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٥٦٢).



والقَـوْلُ الثَّـاني: أنَّ المعْنَـى: ألم نجعـل الأرض أحيـاءً بالنبـات والعـمارة، وأمواتًـا بالخـرَاب واليبـس، هـذا قـول، مجاهـد، وأبي عبيـدة[١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ قـد سـبَق بيـانُ ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾؛ أي: عاليـات. ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾ قـد سـبَق معْنَـى أسْـقينا[٢]، ومعنـى الفـرات[٣].

والمعنـى: إنَّ هـذه الأشـياءَ أعجـب مـن البعـث، ثـم ذكـر مـا يقـال لهـم في الآخـرة: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيـا، وهو النار.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ قـرأ الجمهـور هـذه الثانيـة: بكسْر الـلَّام عـلى الأمـر، وقـرأ أُبيُّ بْـنُ كعْـبٍ، وأبـو عمـران، ورويـس، عـن يعقـوب: بفتـح الـلام عـلى الخـبر بالفعـل المـاضي[٤].

قـالَ ابـن قُتيبـةَ: و"الظِّـل" هاهُنـا: ظِـلٌّ مِـن دُخـان نَـارِ جهَنَّـمَ، سـطَعَ ثُـمَّ افْـترق ثـلاثَ فـرقٍ، وكذلـك شـأنُ الدُّخـان العظيـم إذا ارْتفَـع أنْ يتشـعَّبَ، فيُقـال لهـم: كُونـوا فيـه إلى أن يفـرغَ مِـن الحسـاب، كـما يكـون أوْليـاء الله في ظِـلِّ عرْشِـه، أو حيـث شـاء مِـنَ الظِّـلِّ، ثُـمَّ يُؤمـر بـكُلِّ فريـقٍ إلى مسـتقرِّهِ مِـنَ الجنَّـة والنَّـار[٥]. [٨١٨/أ]

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٨١).

(٢) سبق في الحجر، آية: ٢٢، والجن، آية: ١٦.

(٣) سبق في الفرقان، آية: ٥٣، وفاطر، آية: ١٢.

(٤) قراءة عشرية، انظر: (٢/ ٣٩٧).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٩٤).

﴿لَا ظَلِيلٍ﴾؛ أي: لا يظلّكم من حرٍّ هذا اليوم، بل يُدنيكم من لهب النَّار إلى ما هو أشدّ عليكم مِن حرِّ الشَّمس.

قالَ مُجاهدٌ: تكون شعبة فوق الإنسان، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، فتحيط به(١).

وقال الضَّحَّاك، الشُّعب الثَّلاث: هي الضَّريع، والزَّقوم، والغِسْلين(٢). فعلى هذا القول يكون هذا بعد دخول النار.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾؛ أي: لا يدفع عنكم لهب جهنم.

ثم وصف النَّار فقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ وهو جمع: شررة، وهو ما يتطاير من النَّار متفرقًا.

﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ قرأ الجمهور: بإسْكان الصَّاد على أنَّه واحدُ القصور المبنية. وهذا المعنى في رواية ابن أبي، طلحة عن ابن عباس(٣). وهذا(٤) قول الجمهور.

---

(١) ذكر ذلك عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٧٩).

(٢) ذكر ذلك عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/ ١٧٩)، والقرطبي في تفسيره (١٩/ ١٦١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٣)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس، قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ يقول: كالقصر العظيم. ومن طريقه أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٥٧١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٠٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) في (ر): وهو.



وقَـرَأَ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وأبـو رَزِيـنٍ، ومُجاهِـدٌ، وأبـو الجـوزاء: "كالقَـصَر" بفتـح الصَّـاد[1].

وفي أفـراد البخـاري مـن حديـث ابـن عبـاس، قـال: كُنَّـا نرْفَـعُ الخَشَـبَ بقَـصَرٍ ثلَاثَـةَ أَذْرُعٍ أوْ أَقَـلَّ، فنَرْفَعُـهُ للشِّـتَاءِ، فَنُسَـمِّيهِ: القَـصَرَ[2].

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: مَـن فتَـحَ الصَّـاد أراد: أصـولَ النَّخـل المقطوعـة المقلوعـة[3]. قـالَ الزَّجَّـاج: أراد أعنـاق الإبـل[4].

وقـرأ سـعد بـن أبي وقـاص، وعائشـة، وعكرمـة، وأبـو مجلـز، وأبـو المتـوكل، وابـن يعمـر: "كالقَـصِر" بفتـح القـاف، وكـسر الصَّـاد[5].

وقـرأ ابـن مسـعود، وأبـو هريـرة، والنخعـي: "كالقُـصُر" برفـع القـاف والصَّـاد جميعًـا. وقـرأ أبـو الـدَّرداء، وسـعيد بـن جبـير: "كالقِـصَر" بكـسر القـاف وفتـح الصَّـاد. وقـرَأَ أبـو العاليـة، وأبـو عمـران، وأبـو نهيـك، ومعـاذ القـارئ: "كالقُـصْر" بضـم القـاف وإسـكان الصَّـاد[6].

---

(١) قـراءة شـاذة، انظـر: الكشـف والبيـان؛ للثعلبـي (١٠/ ١١٠)، والشـواذ؛ للكرمـاني (ص: ٤٩٩)، والبحـر المحيـط (٨/ ٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٤٩٣٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥٠٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٨).

(٥) قراءة شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٣٧٧).

(٦) قـراءات شـاذة، انظـر: شـواذ ابـن خالويـه (ص: ١٦٧)، والمحتسـب (٢/ ٣٤٧)، والشـواذ؛ للكرمـاني (ص: ٤٤٩).

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم: "جمالات" بألف، وكسر الجيم.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: "جِمَالَةٌ" على التوحيد[١]. وقرأ رويس، عن يعقوب: "جُمَالات" بضم الجيم[٢]. وقرأ أبو رزين، وحميد، وأبو حيوة: "جُمالة" برفع الجيم على التوحيد[٣].

قال الزَّجَّاج: مَن قرَأَ: "جِمَالات" بالكسْر، فهو جمع جِمَال؛ كما تقول: بُيُوت وبيوتات، وهو جمْعُ الجمْعِ، فالمعنى: كأنَّ الشَّرارات كالجمالات. ومَن قرَأ: "جُمالَات" بالضَّم، فهو جمْع: "جمالة"، ومَن قرأ: "جِمالة" فهو جمع جَمَل وجِمالة، كما قيل: حَجر، وحِجارة، وذَكر، وذِكَارة، وقُرِئت: "جُمالة" على ما فسرْناه في "جُمَالات" بالضم[٤].

و"الصُّفر" هاهُنا: السود، يقال للإبل التي هي سود تضرب إلى الصفرة: إبل صفر.

وقال الفرَّاء: الصُّفر: سُود الإبل، لا يُرى الأسود مِنَ الإبل إلَّا وهو مُشربٌ صُفرة[٥]، فلذلك سمتِ العربُ سودَ الإِبلِ: صفرًا، كما

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٨).

(٢) قراءة عشرية لرويس، انظر: النشر (٢/ ٣٩٧).

(٣) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٤٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٦٨).

(٥) في (م): بصفرة.



سَمُّوا الظِّبَاء أُدْمًا لما يعلوها مِنَ الظلمة في بياضها(١).

قَوْلُه تعَالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ قال المفسِّرون: هذا في بعْض مواقف القيامة.

قال عكرمة: تَكلَّمُوا واخْتصَمُوا، ثُمَّ خُتِم على أفْوَاهِهِم، فتكلَّمَتْ أيدِيهم، وأرْجُلُهم، فحينئذٍ لا ينْطِقُون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ وقال ابن الأنباري: لا ينطقون بحُجَّةٍ تنْفَعُهُم(٢). [٨١٨/ ب]

وقرأ أبو رجاء، والقاسم بن محمَّد، والأعمش، وابن أبي عبلة: "هذا يوْمَ لا ينْطِقُون" بنصب الميم(٣).

قَوْلُه تعَالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؛ أي: بين أهل الجنة وأهل النار ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾ يعني: مكذبي هذه الأمة، و﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ من المكذبين الذين كذبوا أنبياءهم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ أثبت فيها الياء في الحالين يعقوبُ(٤)؛ أي: إن قدرتم على حيلة، فاحتالوا لأنفسكم.

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٦٠) (٥٩٠)، من طريق معمر، عن قتادة، قال جاء رجلٌ إلى عكرمةَ، فقال: أرأيت قول الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]، قال: "إنها مواقف، فأمَّا موقف منها فتكلموا واختصموا، ثم ختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم، فحينئذ لا ينطقون"، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٣/ ١٠٢)، والتفسير الوسيط (٤/ ٤١٠).

(٣) قراءة شاذة، انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٢٥)، وشواذ ابن خالويه (ص: ١٦٧)، والشواذ؛ للكرماني (ص: ٤٩٩)، والبحر المحيط (١٠/ ٣٧٨).

(٤) عشرية، انظر: النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٩٧).

ثم ذكر ما للمؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ يعني: ظلال الشجر وظلال أكنان القصور ﴿وَعُيُونٍ﴾ الماء وهذا قد تقدَّم بيانُه إلى قوْلِه تعالى ﴿كُلُوا﴾؛ أي: ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون في الدنيا بطاعة الله عزَّ وجلَّ.

ثم قال لكفَّارِ مكَّة: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى منتهى آجالكم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾؛ أي: مشركون بالله.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنه حين يدعون إلى السجود يوم القيامة، رواه العوفي عن ابن عباس[١].

والثَّاني: أَنَّه في الدنيا كانوا إذا قيل لهم اركعوا؛ أي: صلوا لا يركعون؛ أي: لا يصلون، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد في آخرين، وهو الأَصَحُّ.

وقيل: نزَلَت في ثقِيفٍ حين أمَرَهم رسُولُ اللهِ ﷺ بالصَّلاة، فقَالُوا: لا نُجَبِّي[٢] فإنَّها مسبَّةٌ علَيْنَا. فقال: **"لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ"**[٣].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٤٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ يقول: يُدْعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا. وذكره مكيٌّ في الهداية (١٢/ ٧٩٧٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٣٠٨).

(٢) في (م): ننحني. ونجبى من التجبية: وهي الانحناء. يريدون الركوع في الصلاة. غريب الحديث؛ لابن قتيبة (١/ ١٤٧)، ولسان العرب (١٤/ ١٣٠).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ١٨٦) (١٥٢٠) عن عبيد الله بن معاذ، عن=

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي: إن لم يُصدّقـوا بهـذا القـرآنِ، فبـأي حديـثٍ بعْـده يصدقـون، ولا كتـاب بعْـدَه.

=أبيـه، عـن أشـعث. ورواه أبـو داود الطيالـسي في المسـند (٩٣٩)، وعنـه أبـو داود، كتـاب الخـراج، بـاب مـا جـاء في خـبر الطائـف (٣٠٢٧)، والبيهقـي في السـنن الكـبرى (٢/ ٦٢٣).

ورواه ابـن أبي عاصـم في الآحـاد والمثـاني (٣/ ١٨٦) (١٥٢٠١)، والطـبراني في المعجـم الكبير (٩/ ٥٤) (٨٣٧٢) عـن هدبـة بـن خالـد. ورواه ابـن الجـارود في المنتقـى (٣٧٣)، وابـن خزيمـة (٢/ ٢٨٥) (١٣٢٨)، والطـبراني في المعجـم الكبـير (٩/ ٥٤) (٨٣٧٢)، والبيهقـي في السـنن الكـبرى (٢/ ٦٢٣) (٤٣٣٤) مـن طريـق أبي الوليـد الطيالـسي.

ورواه أحمد في المسـند (٦/ ٢٧١) (١٧٩٣٤)، وابـن خزيمـة (٢/ ٢٨٥) (١٣٢٨) ولم يذكـر: لا خـير. مـن طريـق عفـان بـن مسـلم. أربعتهـم: أبـو داود، وأبـو الوليـد الطيالـسي، وهدبـة، وعفـان، عـن حمـاد بـن سـلمة، عـن حميـد.

قـال عبـد الحـق الإشـبيلي في الأحـكام، كـما في تخريـج أحاديـث وآثـار الكشـاف؛ للزيلعـي (٤/ ١٣٩): لا يعـرف للحسـن سـماع مـن عثـمان، وليـس طريـق الحديـث بقـوي. وقـال الحافـظ المنـذري في مختـصر سـنن أبي داود (٤/ ٢٤٤): قـد قيـل: إن الحسـن البـصري لم يسـمع مـن عثـمان بـن أبي العـاص.

ورواه الطـبري في تفسـيره (٢٤/ ١٤٥)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٦/ ٤٩٦) لعبـد ابـن حميـد، وابـن المنـذر، وابـن أبي حاتـم أيضًـا، عـن مجاهـد.

فهرس الآيات